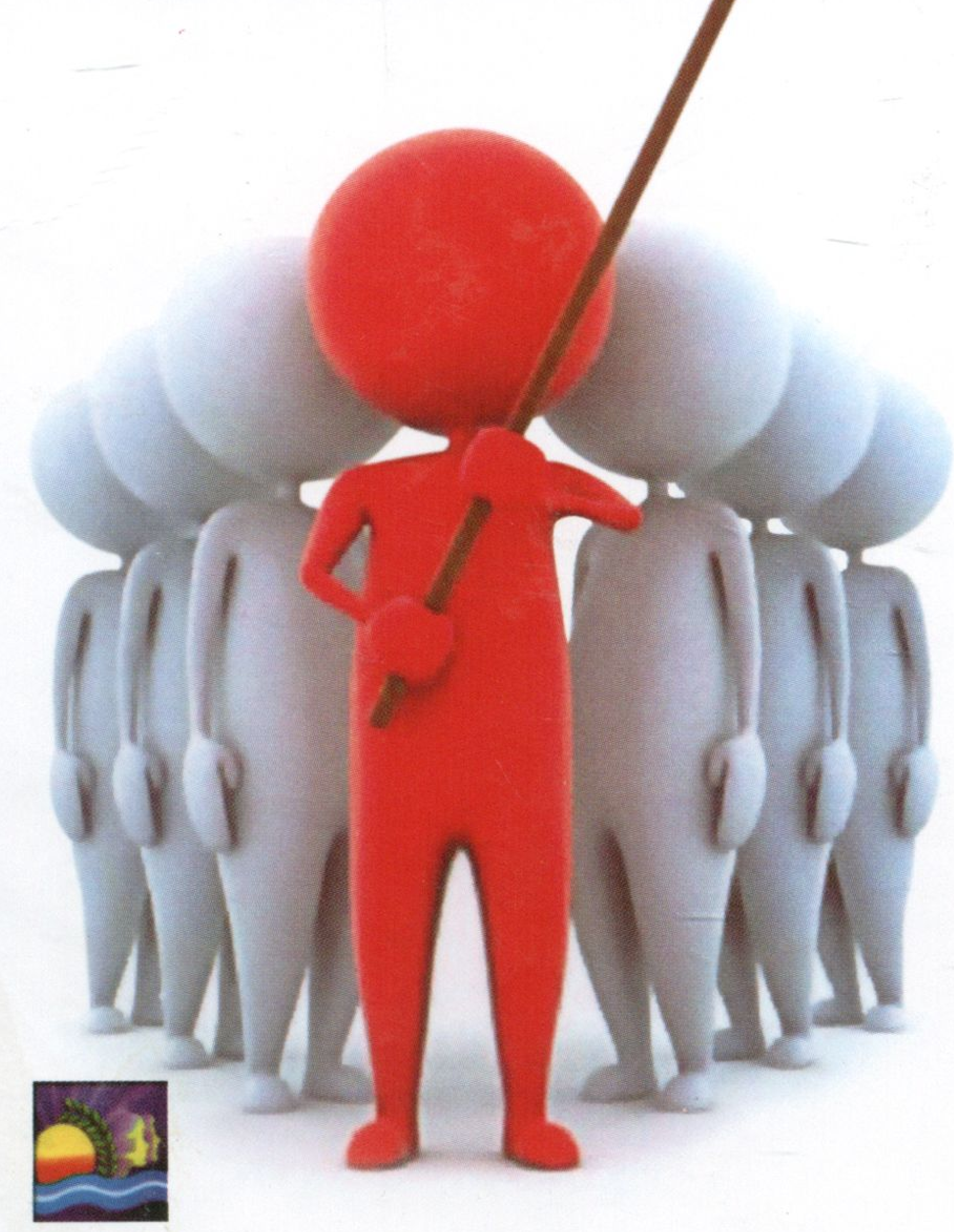
ثورات الربيع العربى

مقارنة بالثورات العالمية



دكتـــور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراه فى علم الإجتماع

كبير مدرسى علم الإجتماع بدرجة مدير عام

أستاذ بجامعة الإسكندرية (سابقا)

مؤسسة شباب الجامعة

40 ش د / مصطفى مشرفة

تليفاكس :4839496 الإسكندرية

Email:shabab_elgamaa2@yahoo.com

سلسلة كتب علم الاجتماع
الكتاب رقم (٨٨)

ثــورات الربيــع العربــى

مقارنة بالثورات العالمية

دكتــــور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتــوراه فى علم الاجتماع

كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام

أستاذ جامعة الاسكندرية (سابقاً)

٢٠١٤م

الناشر

مؤسســة شبــاب الجامعــة

٤٠ شارع الدكتور مصطفي مشرفة

إسكندرية – تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦

Email:Shabab_Elgamaa2@yahoo.com

لقطات

إهداء وشكر وتقدير

أهدى هذا الكتاب، وأقدم خالص شكرى وتقديرى للأستاذ الدكتور/ اسماعيل سراج الدين رئيس مكتبة الإسكندرية، وكذلك الأستاذة/ لمياء عبد الفتاح قائم بأعمال رئيس قطاع المكتبات، والسادة المسئولين عن موقع مكتبة الإسكندرية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) لإدراجهم قائمة كتبى به، وهى:

1) http/www. Bibalex.org, Arabic/index, aspx

وأعبر عن تقديرى وشكرى للمسئولين عن مواقع الإنترنت المذكورة لنفس السبب، وهى:

٢) جامعة لاجوت بفرنسا **universite de laguat**

٣) مكتبة جامعة الملك سعود **ksu.edu.sa**

٤) مكتبة جامعة الملك فهد الوطنية **www.kfnl.gov.sa**

٥) جامعة أم القرى **www.uqu.edu.sa**

٦) شبكة سعوديون الإخبارية **www.saudiyoon.com**

٧) جامعة النجاح الوطنية – نابلس **www.libraries najah.edu**

٨) الجامعة الأردنية **www.ju.edu.jo**

٩) الهيئة العامة للتعلم التطبيقى والتدريب – الكويت **www.Libranetpaaet.edu.kw**

١٠) جامعة البحرين **www.Libwebserver uob.edu.bh**

١١) مكتبة كلية الشرطة بالإمارات **www.police colledg.ac.ae**

١٢) جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا **www.sustech.edu**

١٣) جامعة المسيلة – الجزائر **www.univ-msila.dz**

١٤) جامعة ٨ مايو ١٩٤٥ الجزائرية – قالمة

www.univ-guelma.dz

١٥) شبكة الاعلام العربية – محيط www.moheet.com

١٦) شبكة كتاب العرب www.university.arabs book.com

١٧) مكتبة جامعة بيرزيت http://home.birzeit.edu/cds/arabic

١٨) مجلة علوم إنسانية www.ulume.nl

١٩) اجتماعى www.ejtemay.com

٢٠) د/ محمد جاسم – مقال فى منتدى الحصن النفسى

www.bafree.net

٢١) شبكة النبأ المعلوماتية www.annabaa.org.

٢٢) نيل وفرات. كوم www.neel waf urat.com

٢٣) موسوعة دهشة www.dahsha.com

٢٤) مكتبات جامعة البعث (مكتبة كلية التربية الثانية)

www.albaath-univ-edu.sy

٢٥) كتب مؤسسة شباب الجامعة library.bethlehem.edu

٢٦) مكتبة المصطفى الألكترونية www.al-mostafa.com

٢٧) ملتقى أهل الحديث www.ahl alhdeeth.com

٢٨) بوابة الأفق للمعلومات http://libranet.paaet.edu.kw

٢٩) دروب www.droob.com

٣٠) فيكوس www.veecos.net

٣١) اجتماعى – قضايا الثقافة والشخصية www-ejtemay.com

٣٢) النادى الألكترونى التطوعى لذوى الاحتياجات الخاصة

www.d52n.com .

٣٣) منتدى ستار تايمز www.startimes2.com

٣٤) اليمامة نت www.elyamama.net

٣٥) مكتبات وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع
Lihbraries gov.ae/Arabic

٣٦) مكتبة الشروق www.shorok.com

وقد وصفني بعض المواقع بأنني أكثر شعبية .

وشكرا

للسادة المسئولين عن برنامج كتاب اليوم - بالقناة الخامسة - تليفزيون الإسكندرية، وعرضهم ثلاثة من كتبي على القناة، وهي:

١- الطفل .

٢- الذكاء .

٣- علم الاجتماع النفسي.

وشكرا وتقديرا

للأخ الفنان الأستاذ الدكتور/ عبد الرازق محمد السيد - عميد كلية التربية النوعية (سابقاً) وأستاذ متفرغ بكلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية، فقد أثنى ثناءاً بالغاً على ما ألفته من كتب، وحثني على المزيد، وقدمني إلى العالم العلامةً الأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح مصطفى غنيمة - أستاذ متفرغ بكلية الآداب - جامعة المنوفية، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو اللجنة الوطنية لليونسكو، وعضو اللجنة القومية لتاريخ العلوم بأكاديمية البحث العلمي، وعضو المجالس القومية المتخصصة ولجنة السياحة.

تحية

تحية لروح شهداء ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، الذين أفنوا حياتهم من أجل عمليات التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مصر، وأدعوا لهم جميعاً

بالنعيم في الدار الآخرة، وأقول لحبيب العادلى وأذنابه، كفاكم دعوات آباء وأبناء وأمهات الشهداء عليكم، والتى تبدأ بـــ "حسبنا الله فيك ونعم الوكيل" وتنتهى بـــ "لكم في الدنيا خزى ولكم في الآخرة عذاب عظيم".

أ. د. عصام شرف وأحد الشباب

قال أحد الشباب بعد أن عدّل الأستاذ الدكتور/ عصام شـــرف الـــوزارة تلبية لرغبة شباب الثورة – قال: "أنا مش حاسس بأى تغيير". وأرد عليه قائلاً: طب حنعمل لك إيه! إذا كنت أنت عديم الإحساس.

الحرية

قال قائل: لا سقف للحرية. وأرد عليه بقولى: لا – الحرية سقف تقـــف عنده ولا تتعداه، الحرية لها شروط معينة، وإلا كانت فوضى، وعلى ذلك نقول: "نعم للحرية ذات السقف، ولا للحرية بلا سقف، لأنها هى الفوضى".

الإنتماء

أتساءل كيف يتحقق الإنتماء؟ وللإجابة على هذا الاستفسار أقول: يتحقق الإنتماء إذا وجد الزوج مستشفى تلد فيه زوجته مجاناً. وإذا وجد مكاناً لابنه في المدرسة الإبتدائية مجانية، وليس تجريبية، توفر له العلم ووجبـــة غذائيـــة، وإذا تخرج وبحث عن عمل أستطاع ان يلتحق به، وإذا عمل يحصل على أجر يوفر له ضرورات حاجياته، ويحقق له امتلاك أو تأجير شقة.

أما من لم يتحقق له هذه الضرورات، فإنه يبدأ يفكر في الهجرة حتى لو كانت غير شرعية، ويعرض نفسه لمخاطر البحر وللقبض عليه بواسطة شرطة البلد التى يذهب إليها، ويحكم عليه بالسجن أو ترحيله إلى بلده، فيعود إلى بلـــده خاوى اليدين ولا يجد مأوى يأوى إليه، ولا لقمة تسد رمقه.

تحية تقدير

تحية وتقدير للأخ السيد اللواء مهندس/ أحمد ماهر، فقد امتدح سيادته ما أهديته من كتب، وأثنى عليها، قائلاً: أنت تثرى عقولنا بعلمك ومعرفتك، وخص بالذكر كتابى بعنوان "المرأة والمجتمع – دراسة في علم اجتماع المرأة".

وكان سيادته قد شكى من تلويث يديه وأصابعه باللون الأسود بعد قراءة الصحف، وذكر أنه ذاهب إلى الحمام لغسلها، واقترح سيادته أن يخلط المسئولون عن الطباعة بالصحف الحبر بمادة مثبتة، ووأنا معه في هذا الرأى وأدعمه.

وأخيراً علمت بوفاته، وانتقاله إلى رحمة الله، وأدعو له بالرحمة والمغفرة.

بطاقة الرقم القومى

قرر وزير الداخلية السابق حبيب العادلى تجديد بطاقة الرقم القومى كل سبع سنوات، مستهدفاً بذلك أن تحصل الدونة مبلغ ١٥ جنيه نظير استمارة نجديد البطاقة، ودون اعتبار لكبر سن المواطن ومرضة وصعوبة تحركه، وفى رأيى إذا كان هناك ضرورة ملحة لتجديد البطاقة، فليكن كل عشر سنوات، مع إعفاء كبار السن الذين وصلت أعمارهم إلى سبعين عاماً حتى لا يتكلف مالاً وجهداً ومشقة ووقوفاً في الطوابير، وذهاباً إلى البوستة لشراء الاستمارة، ثم ختمها في إدارة المعاشات، ثم تردده على مركز استخراج بطاقة الرقم القومى، راجياً أن يلقى هذ الكلام استجابة لدى السيد اللواء/ محمد إبراهيم يوسف وزير الداخلية الحالى.

دعاء

اللهم اجعل هذا البلد آمناً، وانزع الغل والحقد من نفوسنا. وأغرس الحب في قلوبنا والحكمة في عقولنا.

ماذا نريد من الشرطة

الشرطة حائرة – هذه فزورة تحتاج إلى تفكير وحل، فإذا كبتت الشرطة جماحها، وكتمت أنفاسها، وكفت عن إطلاق النار على المتظاهرين. قال البعض أنها سلبية، وتقف موقف المتفرج من المستنجدين بهـا. وإذا استعان مواطن بالشرطة، قالوا له: مالناش دعوة – خذوا حقكم بأيديكم ولذلك ولول الناس وصرخوا: أين الشرطة؟ وكونوا لجاناً شعبية تحمي ذويهم، وتواجه البلطجية. وإذا دافع رجال الشرطة عن أنفسهم وأقسامهم وعن السجون، ولبوا نداء المواطنين، وأطلقوا النار على مقتحمى مبانى الشرطة، قيل لهم: أنتم قتلة، ويقدمونهم إلى المحاكمة.

نرجو من الحكماء والمسؤولين أن يحلوا لنا هذا اللغز، وكيف يسلك الشرطى إزاء المواطنين؟

والحق أننا نريد شرطة تلبى نداء المواطن بسرعة، وتحترمه، وتلتزم بسيادة القانون، وقد أرسلت وزارة الداخلية رسالة بالمحمول للشعب المصرى في يوم الأربعاء ٢٠١١/٢/٩ تقول: لن يكون تعاملنا من اليوم إلا بالصدق والأمانة، وسيادة القانون.

المعتصمون في ميدان التحرير

يتساءل الناس عن المعتصمين في ميدان التحرير قبل فك الاعتصام؛ كيف يأكلون؟ ومن يتحمل مصاريف إعاشتهم؟ وهل هم عاطلون؟ أم أنهم يعملون؟ وإذا كانوا يعملون فأين أصحاب ومديرو هيئاتهم ومؤسساتهم التي يعملون فيها، ألم يسألوا عن الغائبين عن أعمالهم؟ مع إجراء تحقيق لهم إذا لزم الأمر. وواقع الأمر أن معظم هؤلاء الشباب هم من العاطلين الذين لا عمل لهم.

والعلاج في يد الدولة – أوجدوا لهم عملاً وأجراً مناسباً. يقول سبحانه وتعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

المعتصمون المضربون عن الطعام

أقول للمضربين عن الطعام: عودوا إلى الصواب، ولا تغالوا في طلباتكم، فأنتم تطلبون مطلباً، وإذا تحقق تطلبون مطلبين، وإذا تحققا تطلبون أربعة مطالب، وهكذا أصبحت طلباتكم بلا سقف. واعلموا أن الثورة الفرنسية قد اكتملت جزئياً بعد عشر سنوات، وكلياً بعد مائة عام. واعلموا كذلك أنه إذا مات أحدكم نتيجة الإضراب عن الطعام حرم من الشهادة، ومات ممنتحراً، ومصيره إلى النار في الدار الآخرة، والله أعلم.

شكر وتقدير

لابنتى الدكتورة/ جيهان حسين عبد الحميد أخصائية أمراض نساء وتوليد، وزوجها الأستاذ الدكتور/ حسن منصور حجاب أستاذ أمراض النساء والتوليد – كلية الطب – جامعة الإسكندرية، فقد أهدونى جميع الجرائد التى نشرت منذ ٢٥ يناير ٢٠١١ عندما علما بطرقى موضوع ثورة ٢٥ يناير، وأتعهد بإرجاعها إليهما عند الإنتهاء من الكتاب. كما أشكر الأستاذ/ إبراهيم الشافعى مدير معهد الخدمة الاجتماعية للفتيات، فقد بعث إلى بعدد من الجرائد التى صدرت أثناء الثورة.

شكرا وتقديرا

للأستاذ/ عبد العزيز احمد عبد العزيز عيسى الشهير بالحاج خميس صاحب مركز الإسكندرية للكتاب ومديره، فقد أوعز إلىّ بالكتابة في موضوع ثورة ٢٥ يناير، فكان له الفضل في المبادرة.

إصلاح التعليم

سمعت برنامجاً بعنوان "إصلاح التعليم"، وحوار بين المذيع والضيف، وأحسست بأن المذيع يلقى أسئلة للضيف توحى بإجابة مؤداها أن التعليم يكون بمصاريف. وقد بدأت وزارة التربية والتعليم في هذا الاتجاه، فحولت الكثير من المدارس الابتدائية إلى مدارس تجريبية بمصاريف تصل إلى ألف جنيه في السنة. وتعد هذه إحدى الحيل التى تحصل بها الوزارة على أموال تضمها إلى خزانة الدولة.

وأحذر وزارة التربية والتعليم من هذا الأسلوب الذى ساعد على تهرب أولياء الأمور من أن يبعثوا بأولادهم إلى المدارس؛ مما يؤدى إلى زيادة نسبة المتسربين ومما يرفع من معدلات الأمية، ويأتى اليو ، الذى نجد فيه الأميين يمثلون ٩٠% من السكان.

في رأيى أقول – نعم للمصاريف في المرحلة الإعدادية والثانوية والجامعية، أما المرحلة الإبتدائية فينبغى أن تكون مجانية، بل وتقدم وجبة غذائية للأطفال.

نصيحة

نصحتك يا مصطفى يا كاتب الكمبيوتر أن تلتحق بفصول محو الأمية، وأسألك هل التحقت بهذه الفصول ولا لسَّه؟ أدرس يا مصطفى بهذه الفصول حتى تستطيع أن تقرأ مسودَّات الكتب المكتوبة باليد، ولا تكتب كلمة: الصين – الحصين، والعجب أن تقع أخطاء في صفحة العنوان وهى مكتوبة بحروف أكبر من العادى، فكتبت كبير – كاتب، مدرسى – مدرس. إن ما فعلته معى في أحد الكتب هو مأساة كتابية وقرائية وأخلاقية، تنم عن جهل واستهتار، ونتج عنها

خروج بعض الصفحات بأخطاء بلغت الخمسين خطأ في الصفحة الواحدة، ولم تخل صفحة من الأخطاء وبحد أدنى عشرين خطأ، وبعدد من الأسهم يستحيل معها تصحيحها. والحق أن العيب ليس فيك فقط، ولكنه يمتد إلى الناشر الذى أولاك كتابة الكتاب على الكمبيوتر.

آداب الحوار

في حوار بين مذيع في البرنامج العام بالإذاعة وأحد المواطنين قاطع المذيع المواطن عدة مرات وفى آحر مقاطعة قال المواطن بعصبية: أرجوك – ارتكنى أكمّل ولا تقاطعنى – الله يخليك، واوجه ندائى إلى الإعلاميين عموماً بعدم المقاطعة المستمرة، لأنه في ذلك مدعاة لنسيان المحاور ما يقوله وما قاله، وما سيقوله.

مراوغات

الناشرون في وقتنا الحالى هم خليط من الحاصلين على مؤهلات عالية والأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة، منهم من كان لا شيء إطلاقاً، وأصبح ناشراً يتعامل في الآلاف، بل والملايين، تحدث أحدهم مع أحد العاملين عنده أمام الحاضرين عن الشيك أبو مليون جنيه وكيفية توزيعه، ومن المفروض على الناشر أن يتبع سلوكاً طيباً وحسناً ومقبولاً قولاً وفعلاً خصوصاً إذا أشاع أنه حاج وأدى العمرة، ولكننا نرى العكس، ثلاثة أرباعهم يعطيك المواعيد، ولا يحضر، تطلبه على المحمول، ويستمر الجرس في الاشتغال، ولكنه لا يرد بعد أن لمح اسم الطالب على اللوخة، ويوصى العاملين بعدم الرد على فلان أو علان.

يتفق الناشر مع المؤلف على أسس ومبادئ للتعامل، ولكنه لا يوفى بوعوده، فمثلاً – الكتاب الـ٢٠ ملزمة وقد حددت الجامعات سعرة بـ١٨ جنيه،

يحدد سعره في القائمة بـ ٤٠ جنيه، ويتفق مع المؤلف أن حقه في الكتاب ٣٠٠٠ جنيه للكتاب ٢٠ ملزمة، و ٢٥٠٠ جنيه للكتاب ١٥ ملزمة، فإذا بالعقود دون بها ٢٥٠٠ جنيه للكتاب ٢٠ ملزمة، و ٢٠٠٠ جنيه للكتاب ١٥ ملزمة، ويتفق مع المؤلف على إعطائه حقوقه نصف المبلغ عند تسليم المسوَّدة باليد له، والنصف الآخر عن تسليم الهدايا، ولكنه لا يفي بذلك، ويتفق مع المؤلف على أن الهدايا ٣٥ نسخة للطبعة الأولى، و١٥ نسخة للطبعة الثانية، و٢٥ نسخة للطبعة الثالثة وما بعدها، ولكنه يرسل ٢٠ نسخة فقط.

أو تتفق معه أن حق المؤلف ٢٥% من السعر الذى حددته الجامعات، وبعد الانتهاء من الطبع وعمل العقد تراه وضع شروطاً – كأن يخصم من المبلغ ٣٠%، وهى قيمة الخصم الذى يجريه مع المتعاملين، يعنى يبقى حق المؤلف ١٥% – أى إذا كان الدخل مثلاً عشرة آلاف جنيه، يكون نصيب المؤلف منها ١٥٠٠ جنيه، ونصيب الناشر ٨٥٠٠ جنيه، بالإضافة إلى خروج الكتاب وقد امتلأ بالأخطاء، فقد ورد في أحد الكتب ما يزيد عن الثلاثين خطأ، وكتبوا أرقام الصفحات في المحتويات باللغة الأجنبية، وقد نبه المؤلف إلى ذلك ضرورة كتابة الأرقام باللغة العربية.

• ويتفق الناشر مع المؤلف على طبع ٥٠٠ نسخة + ٥٠ لزوم توزيع الهدايا، ولكنك تحس أنه طبع ٧٠٠ نسخة.

في رأيى أنه يجب البحث عن حل لهؤلاء الناشرين، فلو حصل الواحد منهم على قدر من العلم واشترط حصوله على مؤهل حتى لو كان متوسطاً، فلربما يكون هذا خطوة نحو تحسين أخلاقه وتعامله مع الآخرين، استدعوهم واعقدوا لهم اختبارات نفسية واجتماعية وأخلاقية.

أيها الناشرون اسلكوا سلوكاً يرضى الله سبحانه وتعالى، وأعطوا المؤلفين حقوقهم المالية قبل سفركم لأداء الحج والعمرة، أو قضاء الصيف في أحد المصايف، أو تزويج أبنائكم، إدفعوا للمؤلفين حقوقهم قبل تزويج أبنائكم أو شراء سيارة لأحد الأبناء.

غرف العناية المركزة

يشكو المرضى من عدم وجود أسرة للمرضى الذين تستدعى حالتهم تواجدهم في غرف العناية في مستشفيات التأمين الصحى: جمال عبد الناصر، وطوسون، وكرموز، ومستشفى طلبة الجامعة، وقد يتحايل مستشفى التأمين الصحى، فيبعث بالمريض إلى إحدى المستشفيات الخاصة لمدة أسبوع وبعد المدة المتفق عليها يخرج المريض من المستشفى حتى لو لم يتم شفاؤه.

سائقو التاكسى

امتد الإنفلات الأمنى إلى الإنفلات الأخلاقى، ويبدو ذلك على وجه الخصوص في سائقى التاكسيات، فالمشوار من محطة الرمل إلى بولكلى بالإسكندرية، كان قبل ثورة ٢٥ يناير ثلاثة جنيهات ونصف، ثم ارتفع إلى خمسة، ثم إلى ٦ جنيهات، ثم ٧ جنيهات، ولكن السائق هذه المرة طلب عشرة جنيهات، ونعت الراكب وهو أستاذ جامعى – بأنه كافر. فيا سائق التاكسى: أنت لست إلها حتى تحكم على أحد بأنه كافر أو مؤمن، أنت صعلوك، ونصاب، وحرامى، والخطأ ليس خطئك، وإنما هو خطأ إدارات المرور التى أعطتك رخصة من المفروض سحبها، حتى تعود إلى وظيفتك الأصلية، وهى وظيفة صايع وبلطجى.

نناشد إدارات المرور رفع بنديرة العدّاد، فهو الحكم بين ما يطلبه سائق التاكسى والراكب.

شكر وتقدير

للإبن المهندس / أحمد مصطفى شعبان - كاتب هذا الكتاب على الكمبيوتر، فقد أبلى بلاء حسناً فى الكتابة، وأذكر أنه اشار إلى صفحة مكررة، فقمت بإلغائها.

محتويات الكتاب

المقدمة

يلقى هذا المؤلف الضوء على أحداث وأسباب قيام ثورة الغضب، ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فالمواطن الذى حصل على تعليم جيد، وثقافة جيدة، والذى يجيد لغة عالمية أو أكثر، يستطيع ان يقرأ ويتابع أحوال بلاده، ويقارن بين ما يجرى في بلاده مصر، وبلدان أخرى متقدمة، ويقارن ثورته بثورات أخرى عالمية، ويلم بتعليقات رؤساء العالم والصحف الأجنبية عليها، فالثورة في انجلترا، والثورة الفرنسية، والثورة في أمريكا، وثورات دول أمريكا اللاتينية، والثورة في روسيا، وكذلك الانقلابات في الدول العربية، والثورات في مصر.

. إن من يلم بهذه الأحداث، ويدرك تلك المقارنات يستطيع أن يكتشف مدى الأزمة التى تعانى منها بلاده، فلقد عانى المصريون من نظام استبدادى ديكتاتورى قمعي فاسد تربع وتأصل على قلوب المصريين ثلاثين عاماً، يبطش بشعبه. فكم من أفراد وضعوا في السجون المظلمة، وحرموا من سنوات شبابهم لأنهم يبحثون عن الحق. وكم من إمام وداعية وكاتب كممت أفواههم، وقطعت ألسنتهم، وأجبروا على قول مالا يعتقدونه، وكم من أفراد صعقوا بالكهرباء، أو علقوا من أرجلهم، أو سلّط عليهم الكلاب المفترسة، وكم من آثار تركت نتيجة ضربهم على ظهورهم بالأسواط. وغرق بعضهم وهم في أحضان أمواج البحر حين حاولوا الهجرة إلى الخارج باحثين عن لقمة العيش، وضاع بعضهم لأنه لم يجد عملاً شريفاً لائقاً في بلده .. ووقع بعضهم فريسة الأمراض نتيجة ما استورده الحكام من أغذية فاسدة منتهية الصلاحية، والبذور المسرطنة مما أصاب الكثيرين بمرض الكبد والكلى والسرطان.

وفى مصر ما قبل الثورة أصبح إشباع الحاجات صعباً ومعقداً، لأنها أضحت كثيرة ومعقدة، كما ارتفعت أسعار السلع بشكل لا يتناسب مع زيادة

المرتبات، بالإضافة إلى عدم العدالة في توزيع الأجور، فترى الفرد الذى يحصل على مائتين أو ثلاثمائة جنيه شهرياً، يقابله مواطن آخر يحصل على نصف مليون أو مليون جنيه شهرياً، وترى من يعيش في قصور، يقابلهم من يعيش في العشوائيات، ويقوم بعضهم بفرز صناديق الزبالة في الشوارع وينتقون الأكياس التى يمكن تناول الطعام منها.

يضاف إلى ذلك عملية التزوير في الانتخابات حتى يتربع أعضاء الحزب الوطنى على كراس مجلس الشعب ومجلس الشورى، ونية توريث الحكم لابن الحاكم.

ولقد بح صوت المصريين مطالبين بالإصلاح، ولكن لم تجد الدعوات استجابة، بل ظل الحكام ينهبون أموال مصر ويبعثون بها إلى الخارج، ولهذا وعندما يستحيل الإصلاح في ظل نظام فاسد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، تصبح الثورة هى الحل، وهو حل يظل أملاً من الآمال، وليست كل الآمال ممكنة، فلقد أقر في مصر عام ٢٠٠٧ بعض التعديلات الدستورية التى يتجلى بها غلق الإصلاح، وعليه استطاع المصريون أن يصنعوا ثورة شعبية، وأجبروا الطاغية على الرحيل.

ويعد هذا الكتاب عبرة للحكام الطغاة والظالمين والمفسدين في الأرض، والذين اعتقدوا اعتقاداً خاطئاً بأن القوة لا تتخلى عنهم، وأنهم على حق فيما يفعلونه، وأن الشعب عبيد لهم، وأنه لا حد لما يفعلونه، ناسين أنه لكل طاغية نهاية.

واستخدم الباحث في هذا الكتاب المنهج التاريخى، فقد تتبع قيام الثورات في العالم على مدار التاريخ في العديد من الدول، كما استخدم المنهج المقارن، إذ عقد مقارنات بين ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، و ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر،

وبين ثورة ٢٥ يناير وثورة ١٩١٩، وثورة عرابى، وبين ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وغيرها من الثورات العالمية.

واستخدم الباحث ثلاثة وأربعين مرجعاً بعد المائة، منها خمسة وأربعين مرجعاً عربياً، لعل أبرزها كتاب حسين عبد الواحد. ثورة مصر – ١٨ يوماً هزت العالم. دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، وخمسة برامج وتقارير، وسبعة مواقع على الانترنت، وعشر مجلات وكراسات، وسبع وسبعين جردية، وعشر مراجع أجنبية.

وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب، تضم ثلاثة عشر فصلاً. عنوان الباب الأول – **تحديد مفهوم المصطلحات المستحدثة**، وهو ينقسم إلى ثلاثة فصول، **الفصل الأول** بعنوان **"ما الغضب"؟** فالغضب هو الشدة، والغضب والجعل شقيقان، والعلم والحلم حليفان وهو ينشأ بغياب العقل، ويسبب الكثير من الأمراض النفسية والجسمية. وتبدأ انفجارات الغضب للأولاد والبنات خلال السنتين الأوليتين. وطرق الفصل أنواع الغضب، فمنها الغضب المحمود، والغضب المذموم. وتناول العوامل المؤدية إلى الغضب، وبين كيف يسيطر الإنسان على الغضب.

وتناول **الفصل الثانى "التعريف بالثورة"**، وقد ارتبط مفهوم الثورة بحركتى النهضة والإصلاح، وهى حالة ثورة أو فتنة يقوم بها مهيجون لهدم المجتمع أو بمعنى أكثر صحة هى التغير المفاجئ والسريع والجذرى والعنيف والكبير في الحجم الذى يصيب المجتمع، ويؤثر على كل جوانب الحياة. وهى إما تكون ضد نظام استعمارى أو نظام وطنى. وطرق الفصل مفهومها في التراث الإسلامى. وهى ظاهرة اجتماعية، وبين الفصل مقومات وأصول الثورة الناجحة.

وفرق الفصل بين الثورة والإصلاح، والثورة والتطور، وألقى الضوء على معنى مصطلح الحركة الاجتماعية، والتمرد، والانقلاب، والثورة المضادة، والهبة.

وشرح **الفصل الثالث "مشروعية الثورة وأهدافها وخصائصها"**، وشرح الفصل مصطلح الأمر والأمير ومنها جاء مصطلح أمير المؤمنين والذى ينبغى أن تكون سلطته سلطة جماعية شورية، لا استبدادية. ويجب أن يطاع ولى الأمر بشرط أن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله، وأن يكون حكم أولياء الأمور بالشورى، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، ويحرم الدين الطاعة في المعصية.

وتهدف الثورات في عمومها إلى إحداث التغيير السياسى والاقتصادى والاجتماعى، وتلتقى الثورات في نقاط مشتركة، هى ان الثورة ظاهرة اجتماعية لها أسباب اقتصادية، وهى تصنف ما بين التمرد الفوضوى، والثورة الراديكالية، والانقلاب التآمرى، والعصيان الجماهيرى المسلح، وتستند إلى إحساس الفرد بالاغتراب، وهى ظاهرة سياسية.

وعُنون **الباب الثانى بـ "تاريخ الفكر الثورى والثورات العالمية"**، وجاء **الفصل الرابع** بنفس هذا العنوان، بادئاً بالفكر الثورى عند المفكرين اليونانيين والرومانيين، وكان أفلاطون من أوائل الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة التغيرات التى يمكن أن تطرأ على البناء السياسى. أما أرسطو فكان المؤسس الحقيقى لعلم الثورات ... وسادت نظرة تشاؤمية في الفكر الكلاسيكى عند فلاسفة الرومان حول مصير الإنسانية من هذه التغيرات المحتدمة. وتصور المفكرون المتأثرون بالمسيحية أن العصر الذهبى للإنسان هو الذى يأتى بعد الحياة الدنيا.

وأبان الفصل الثورة في انجلترا والصراع بين الملك شارل، وكرومويل الذى قاد جيش البرلمان. وانتصر هذا الأخير، وحكم على الملك شارل بالموت، ونفذ فيه الحكم عام ١٦٤٩م، وقامت الثورة الأمريكية خلال الفترة ١٧٧٥-١٧٨٣ وعرفت باسم حرب الاستقلال عن الوطن الأم (انجلترا)، والتى كانت قد

فرضت ضرائب جديدة بلا حساب على سكان المستعمرات، واختير جورج واشنطن رئيساً للدولة، وهو يؤيد رئيساً قوياً وحكومة مركزية، وفى مقابل ذلك برز توماس جيفرسون الذى فضل منح الولايات قدراً أكبر من السلطة، وإقامة توازن بين الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات، وأكد مبدأ الحرية والديموقراطية، وقامت الثورة فى دول أمريكا اللاتينية (كوبا) تحت قيادة فيدل كاسترو، وهرب الطاغية باتيستا في أول ديسمبر ١٩٥٩.

وعرض الفصل الخامس "الثورة الفرنسية والثورة البلشفية وثورات آسيا"، وتعود الثورة الفرنسية إلى حركة عقلية استنارية حرة، قامت في القرن الثامن عشر وهى ترجع إلى حالة الإفلاس التى كانت عليها خزانة الدولة(*)، وقد لعبت الثورة الفرنسية دوراً هاماً في القضاء على الكنيسة، واشترك فيها الشعب الفرنسي كله(**)، وكان شعار الثورة الحرية والأخاء والمساواة، وفر الملك، وقبض عليه وأعيد إلى باريس وأعدم في ٣١ يناير ١٧٩٣.

وفى روسيا قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وكانت تطبيقاً لأفكار كارل ماركس وزميله فريدريك أنجلز. وتزعم الثورة لينين وستالين اللذان هربا من الجحيم الروسى إلى ألمانيا، وحيث عادوا إلى روسيا انفجرت الثورة وكان شعارها "الخبز والسلام والأرض للجميع"، وقضت الثورة على كل رموز الحكم العنصرى، وبدأ العمل على إلغاء الملكية الخاصة بالأراضى. وفى آسيا قامت ثورات سلمية تمثلت فى المهاتما غاندى.

(*) يتشابه هذا مع حالة خزانة مصر عند قيام ثورة ٢٥ يناير، إذ نهب أموال مصر رأس النظام وبطانته.

(**) يماثل ذلك ما حدث فى ثورة ٢٥ يناير فى مصر، إذ بدأت بالشباب ثم انضم إليهم بقية أفراد الشعب وحماها الجيش.

وعنون **الفصل السادس بـ "الثورات والانقلابات في الدول العربيـة"**. فقد وفرت البيئة العربية نمو ظاهرة الانقلابات، فعندما لا تحترم الأنظمة القائمة الحريات، وتبتعد عن الحكم الديمقراطى، وتزور الانتخابات، وعنـدما تكتفـى بحزب واحد هو حزب السلطة، تغشاه التناقضات بسبب اختلاف المصالح واتباع سياسة القمع، ومنع تأسيس الصحافة الحرة، وإلغـاء الرقابـة علـى الحكومـة ومؤسسات الدولة، تقوم الانقلابات.

فقد حدث انقلاب في الأردن عام ١٩٢٥، وفي عُمان ١٩٧٠، وفى قطر عام ١٩٧٢، حدث انقلابات متعددة في العراق، وفى سوريا، وفى اليمن، وفـى السودان، وفى الجزائر، وفى ليبيا، وتونس.

وألقى **الباب الثالث** الضوء على **"الثورات في مصر"** ففى **الفصل السابع "شرح لكفاح المصريين ضد الرومان"**، وقدم الأقباط شهداء، ولم تتراخ عزيمتهم عن رؤيتهم الدينية. كما كافح المصريون ضد تعسف حكام وأمـراء الأمـويين والعباسين. وثار المصريون ضد الوالى العثمانى "خورشيد"، وثاروا كذلك ضـد الاحتلال الفرنسى في ثورة القاهرة الأولى وثـوزة القـاهرة الثانيـة. وكـافح المصريون ضد الإنجليز، وثار عرابى ضد الخديوى توفيق، وقاد سعد زغلـول ثورة ١٩١٩.

وتناول **الفصل الثامن ثورة يوليو ١٩٥٢** والتى قادها الضباط الأحرار، وتعتبر قضية الأسلحة الفاسدة على رأس الأسباب التى أدت إلى قيـام الثـورة، وتركزت حول حكم الأغلبية وتطهير البلاد من الحاشـية، وقامـت محـاولات انقلابية واغتيال، واضطرابات عمالية. وأعلنت الثورة مبادئها السـتة، وكانـت ثورة بيضاء، وأصدرت القوانين الاشتراكية، واستهدفت الإصلاح والتطهير في الجيش وفى جميع مرافق البلاد، ورفع لواء الدستور. وحلل الفـصل شخـصية جمال عبد الناصر، وعطلت الثورة دستور ١٩٢٣ وأصدرت وثيقة أوليـة، ثـم

دستورا مؤقت ١٩٥٤، والدستور الدائم ١٩٧١. وقد دخلت عليه تعديلات عام ١٩٨٠، ثم ١٩٨١، وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ تم إلغاء النظام الملكى، وإعلان الجمهورية، وبدأت الثورة مفاوضات الجلاء، وخرج المحتل في ١٣ نوفمبر ١٩٥٦، وأصدرت قانون الإصلاح الزراعى، والقوانين الاشتراكية، واختارت طريق الحياد الإيجابى، ورفضت الأحلاف، وأممت قناة السويس، وأقامت السد العالى، ورفع جمال عبد الناصر شعار القومية العربية.

أما سلبيات الثورة فتتمثل في الحكم الاستبدادى، وأعدمت اثنين من عمال كفر الدوار، وكانت حرب اليمن، وانخفض مستوى الديمقراطية، وأممت الصحافة، وألغت الأحزاب، وحدثت نكبة ١٩٦٧، وظهر في عهد السادات الجماعات المتطرفة، وتدنى مستوى المشاركة السياسية، وأحدثت تفاوت في مستويات المعيشة.

وإزاء ذلك ظهرت انتفاضة ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧، وأحدثت معاهدة السلام مع إسرائيل تغيرات سريعة ومفاجئة.

وحمل **الباب الرابع** عنوان **"ثورة الغضب – ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م"** وألقى **الفصل التاسع** الضوء على **"سمات وأهداف ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١"**، فقد تفجرت ثورة ٢٥ يناير كمثيلاتها من الثورات العالمية وما سبقها من ثورات في العالم العربى نتيجة الاختلاف في الثقافة السياسية ببين النخبة المالكة وجماهير الشباب. ولقد تفجرت ثورة ٢٥ يناير نتيجة عدوان حسنى مبارك عن النظام الجمهورى والبقاء في الرئاسة ٣٠ سنة، ورغبته في توريث السلطة لابنه جمال، تفجرت الثورة نتيجة التدهور والفساد وهزال الاقتصاد، وتدنى مستوى المعيشة.

وقامت الثورة دون وجود قيادة، وضمت خليط من الطبقات والفئات، واستخدمت وسائل تكنولوجية معاصرة. وهى ثورة تلقائية، بان فييا اتجاهان اتجاه إصلاحى واتجاه ثورى، وكان الغضب هو راعى الثورة.

وتطرق الفصل العاشر إلى سؤال مؤداه "لماذا الغضب"؟ وأجاب الفصل أن الغضب ناتج عن أن حسنى مبارك كان يتمتع بسطة مطلقة، وعدّل الدستور بما يسمح بأن يحكم مصر ثلاثين عاماً، وبما يسمح بالتوريث. كما ساهم غياب أسس ومبادئ الحكم الرشيد في القيام بالثورة، وانتشار الفقر، ومحاصرة الفساد، ومنع الانحرافات. أدى هذا كله إلى ضرورة تغيير النظام، كما بدى ضعف الدولة ووهنها، وتجلت أزمة ثقة بين الحكومة والمحكومين.

كذلك فإن الحزب الوطنى قد سيطر على الحكم، وأصبحت الأحزاب المعارضة لا فائدة منها، والتزييف في الانتخابات كان له دوره في غضب الشارع. وأصاب الغزو الأمريكى للعراق وإعدام صدام حسين، والغزو الإسرائيلى لقطاع غزة غضب الشعب في مصر. ولعب الحزب الوطنى دوراً في توزيع المنحرفين على الدوائر الانتخابية، وخطط لهجوم البلطجية والمنحرفين لإرهاب المتظاهرين. وشهدت الإسكندرية تفجير كنيسة القديسين، وتوالى مسلسل التعذيب داخل أقسام الشرطة.

ويقال إنه إذا كان الشاب الجامعى التونسى الذى قام بإحراق نفسه هو الذى أشعل نار الثورة التونسية، فإن مقتل الشاب خالد محمد سعيد والشاب سيد بلال على أيدى الشرطة المصرية هو الذى أعز بقيام الثورة في مصر. كما أن تفشى الفساد وتدهور الوضع الاقتصادى، وانتشار البطالة وعدم العدالة في توزيع الأجور، وزيادة الفقر وعدد الفقراء، كان لها دور بارز في غضب الشعب وقيام الثورة. كما كانت العشوائيات مصدر من مصادر بزوغ البلطجية، وقد تدنى كذلك مستوى التعليم، وانخفض المستوى الصحى.

وطرق الفصل الحادى عشر "مسيرة الثورة" ففى البداية دعى موقع الانترنت من خلال صفحة "كلنا خالد سعيد" إلى مظاهرات الغضب يوم ٢٠١١/١/٢٥ وهو عيد الشرطة، وكان أقصى طموحاتها أن يستجيب ألف أو

ألفان من الشباب لدعوتهم. وفي يوم الثلاثاء ٢٥ يناير، وهو يوم الاحتفال بعيد الشرطة بدأت المظاهرات من حي إمبابة وشبرا وبولاق الدكرور. ثم ازداد أعداد المتظاهرين، ودخل المتظاهرون أقسام الشرطة وأحدثوا تلفيات، وحدث اشتباك بين المتظاهرين ورجال الشرطة.

وفي يوم الأربعاء ٢٠١١/١/٢٦ بدأت الاشتباكات وأعمال العنف بين المتظاهرين ورجال الشرطة، ونجح المتظاهرون في السيطرة على مدينتي الاسكندرية والسويس، وتم إحراق جميع مراكز الشرطة. وفي يوم الخميس ٢٠١١/١/٢٧ بدأت عدة مظاهرات في طنطا والاسماعيلية. وفي يوم الجمعة ١/٢٨ والتي سميت بجمعة الغضب انطلقت عدة مظاهرات عقب صلاة الجمعة تحولت في بعض المحافظات إلى أعمال عنف وتخريب، وطالب المتظاهرون بمحاربة الفساد، وأطلقت الشرطة الرصاص على المتظاهرين، ونزلت القوات المسلحة لحماية بعض الأماكن المهمة والمواطنين، وأغلقت جميع شركات الصرافة، وإنهارت البورصة، وفرض حظر التجول في القاهرة والإسكندرية والسويس.

وتوالت الأيام وخلال الفترة الممتدة من ٢٠١١/١/٢٥ حتى تنحى الرئيس في الجمعة ٢٠١١/٢/١١ اشتد التظاهر وامتد حتى وصل إلى قصور الرئاسة وإلى مجلس الشعب والشورى ومجلس الوزراء، وتقبّل الرئيس التخلي عن الحكم.

وناقش **الفصل الثاني عشر "نتاج ثورة ٢٥ يناير"** فقد نجحت الثورة المصرية، ولكنها لم تصل إلى مرحلة النصر التي تعني تحقيق الهدف، وبدت نتائج سلبية تمثلت في الملف الأمني، وزيادة عدد المظاهرات الفئوية، وإضراب العمال، وانتشار البلطجة وانتشار السرقة بالإكراه، والتجرؤ على منصات القضاء، وأقسام الشرطة، وتهريب المساجين.

وقد نقلت الثورة المصرية عن الثورة الفرنسية، وكانت ثورة مصر نبراسا لثورات في البلاد العربية، وقد تردت الأوضاع الاقتصادية فقلت الاستثمارات، وأغلقت العديد من المصانع، وخسرت البورصة والسياحة الكثير، وازداد الفقر. وكان للثورة نتائج عملية تمثلت في مشروع زويل للعلوم والتكنولوجية كما بدى الكثير من المظاهر السياسية، وقامت أحزاب جديدة، وتعدل الدستور.

وقد أسفرت الثورة عن ٨٤٦ قتيلا وآلاف المصابين، وبدى الانفلات الأمنى، ووقعت أحداث اختطاف واغتصاب، والهجوم على المستشفيات، واعتدى البلطجية على رئيس محكمة وسرقوه، وزادت البطالة، وقامت أحداث فتن طائفية.

وبدت نتائج اجتماعية تمثلت في عقد قران وزفاف في ميدان التحرير، وشارك الشعب الشرطة عن طريق اللجان الشعبية.

وبدا في **الفصل الثالث عشر "تعليقات أجنبية على ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١"**، فقد قال العالم الغربى أن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ هى أنبل ثورة في العالم، ووصفها آخرون بأنها أهم ثورة في تاريخ البشرية، فقد حققت انجازات لم تكن في الحسبان. وقال باراك أوباما: أنْ تنحى مبارك يعكس إرادة الشعب، ودعا الجيش المصرى إلى ضمان الانتقال إلى ديمقراطية حقيقية، وأشارت المجلات الأمريكية إلى الأوضاع السيئة التى كان الشعب المصرى يعيش فيها، وقالت صحيفة أخرى أن مبارك سمح بوجود معارض بلا أنياب.

وقال ديفيد كاميرون رئيس الوزراء البريطانى أن الثورة المصرية نموذج مثالى يجب أن يدرس في المدارس البريطانية، ومن أبرز المقالات الإنجليزية مقال الصحفى البريطانى روبرت فيسك، والتى قال فيه أن الثورة

المصرية هى أم الثورات. وتطلع الرئيس الفرنسي ساركوزى على انتخابات حرة وشفافة تحول مصر إلى بلد حر ديموقراطي. وشاطرت المستشارة الألمانية "أنجيلا كيرمل" الشعب المصرى فرحته، وقالت صحيفة ألمانية أن رحيل الرئيس المصرى يمثل انتصار للشباب، وقال سيلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا: إن الشعب المصرى هو الذى يصنع التاريخ.

وقال رئيس وزراء النرويج: اليوم كلنا مصريون، وتمنى أن تعم الديمقراطية أجواء مصر بعد الثورة. وأكد رئيس وزراء النمسا أن الشعب المصرى أعظم شعب على وجه الأرض. وأعلنت سويسرا انها ستجمد الأرصدة المحتملة للرئيس المصرى ومساعديه، وأعرب الرئيس الروسى عن أمله في إقامة انتخابات نزيهة، واكد ان وجود مصر قوية وديموقراطية هو عنصر مهم للسلام. وعبر رئيس الوزراء اليابانى عن احترامه لإرادة الشعب المصرى. وأعلن وزير خارجية تركيا أن بلاده تأمل أن تؤدى استقالة الرئيس حسنى مبارك إلى تشكيل حكومة جديدة تستجيب لمتطلبات الشعب المصرى وتطلعاته. وقال مسؤول إسرائيلى أن إسرائيل تأمل ألا يؤدى تنحى مبارك إلى أى تغيير في علاقتها مع القاهرة.

دكتور/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان

تحريراً فى / / ٢٠١٢

الباب الأول

تحديد مفهوم المصطلحات المستخدمة

الفصل الأول : الغضب

الفصل الثانى : معنى الثورة

الفصل الثالث : الثورة - مشروعيتها - أهدافها - خصائصها

الفصل الأول
الغضب

ورد في المعاجم أن الغضب هو الشدة، والرجل الغضوب هو شديد الخلق، والغضوب هو الحسية الخبيثة بشدتها – الشديدة الحمرة والصخرة الصلبة، والغضب ضد الرخا. والغضب هو الإنفعال المصاحب لدافع المقاتلة والعدوان. فمن المبادئ الأساسية التى ينبغى أن نلقنها للطفل نبذ فكرة الإنتقام، وفكرة الأخذ بالثأر. فهى غير أخلاقية وغير صالحة وغير مجدية، ذلك أن الإنتقام يقود إلى مزيد من الإنتقام.

والغضب والجهل شقيقان، أما العلم والحلم فهما حليفان يقضيان على الغضب والجهل. والغضب من قوام الأخلاق المذمومة، وهو لا يكون مذموما إلا إذا عمل فى غير أوانه، وعلى غير إذن القاموس والحق به[١].

وينشأ الغضب نتيجة لإعاقة السلوك الإنسانى المدفوع الحاجات، وينشأ من تلك الإعاقة بسلوك آخر من شأنه أن يتصرف صاحبه بشكل عدوانى، فإذا كان الغضب سلوكٍ عدوانى، فإن الضرب هو انفعال الخوف. والشخص الغاضب هو الشخص دائم الاعتقاد بأن احتياجاته وآراءه ومشاعره، أهم من احتياجات وآراء ومشاعر الآخرين ممن يحيطون به، وأى مثير ولو بسيط يعد إهانة لذاته. لذلك هو يشعر أنه دائما فى حالة استنفار واستعداد لمواجهة أى مؤثر خارجي يعترض سلوكه، سواء هذا المؤثر كان حدثا أو شخصا أو ضوضاء أو زحام. فهو دائما يضع نفسه فى وضع المستهدف أو النواة للأحداث التى تدور حوله .

ولا ينشأ الغضب إلا بغياب العقل، سواء عند توقف العقل عن وظيفة التفكير، أو لأن العقل ملئ بمعلومات خاطئة تؤدى إلى قرارات وترجيحات

١- أبو حيان التوحيدى. الإمتاع والمؤانسة، ص٣٦٣ .

خاطئة يبنى عليها الشخص تصرفاته وأفعاله. فالعلم نـور العقـل، والعقـل يصرع الغضب، والجهل عدو العقل حليف الغضب. والغضب يسيطر علـى العقل ويتحكم فيه، ومن ثم فى أفعال الناس كلها.

ولذا يقول الإمام أبو حامد الغزالى، إن من أبواب الـشيطان الغـضب والشهوة، فإن الغضب غول العقل، وإذا ضعف جُند العقل هجم جند الشيطان. وكلما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى الكرة.

وتلعب معتقدات الإنسان دورا هاما فى استثارة الغضب، فما يفكر فيـه المرء أو يشعر به فى أثناء موقف معين سوف يؤثر فى استجابته ورد فعله.

ويسبب الغضب كثيرا من الأمراض النفسية والجسمية، كما أنه يعرقل عملية التفكير، ويفسد على الإنسان استدلالاته وأحكامه، ويعد الغضب مسئولا عن وقوع كثير من جرائم القتل والعنف، ومن حوادث التـدمير والإتـلاف والتحطيم. وهو يؤدى إلى الإنفجار الذى يشعل نار الثورة .

وقد بينت دراسة جودإنف Goodenough[١] للغضب عنـد صـغار الأطفال كيف أن التعبير عن هذا الدافع يتعدل فى صورته ومدته عن طريق التعليم فى السنوات الأولى، فالطفل الكبير لابـد قـد تعلـم أن الإنفجـارات العدوانية القوية تؤدى إلى العقاب.

إن الرضَّع الذين لمْ يكملوا عامِهم الأول، كانـت انفجـارات الغـضب عندهم أطول نسبيا (المدة الوسيطة عبارة عن عـشر دقـائق)، إذا قورنـت بالأطفال الذين هم أكبر سنا (المدة الوسيطة – حوالى ثلاث دقائق). وقد تبين أن الغالبية العظمى من انفجارات الغضب للأولاد عن البنات خلال الـسنتين الأوليتين من الحياة كانت تتألف من النشاط الحركى الظـاهر. كمـا بينـت

١- د. حسين عبد الحميد رشوان – الطفل –. دراسة فى علـم الاجتمـاع النفـسى، ص ص١٣٦- ١٣٧ .

الدراسات أن الاستجابات المركبة واللغوية الموجهة لا تلبث أن تلعب دورا في التعبير عن الغضب. وبتقدم الطفل فى العمر تتناقص ظواهر النشاط البسيط غير الموجه، ويزداد شيوع التوتر والبكاء والإمتناع الغاضب عن الكلام.

ويمكن تحديد الظروف والأسباب التى تؤدى إلى غضب الطفل، بالملابس الضيقة، والتعويد على ضبط الإخراج - (أى الاضطرار إلى الجلوس على المقعد حتى يحدث الإخراج والإضطرار إلى النوم كانت من أهم العوامل المعجلة بانفجارات الغضب والأطفال دون الثانية.

هذا ويجب أن يؤمن الآباء والأمهات أن ميل الطفل للغضب، أمر يمكن علاجه، وليس من الأمور المستحيلة. وخاصة إذا كان غضب الطفل أتى كاستجابة طبيعية لعدوان أو كيد أو بإغاظته من الخارج ، نتيجة لشعوره بالإحباط والفشل فى إشباع حاجاته الضرورية، ولكن لا يمكن الوصول إلى علاج حالة الغضب إلا بدراستها دراسة فلسفية وصادقة والوقوف على السبب الذى أدى إلى الغضب .

وتختلف شدة السلوك العدوانى من شخص لآخر، ومن مجتمع لآخر، فالأيرلنديون[١] يميلون إلى المناقشات الساخنة، ويغضبون بسرعة، بينما غيرهم من الشعوب تميل إلى الهدوء والإستقرار. ويبدو هذا الإختلاف من الآتى:

١- التوتر .
٢- الإندفاع والتهور .
٣- القسوة .
٤- عدم التكيف مع الإحباط .
٥- مشكلات الثقة بالنفس .

١- أنظر: محمد إبراهيم الدسوقى. الغضب بين الدين والعلم، ص٥.

وبالغضب يدفع الإنسان عن نفسه ما يؤذيه[١].

أنواع الغضب

١- الغضب المحمود :

هناك من المواقف ما يكون فيها الغضب سلوكا ايجابيا. فمن ثمرات الغضب الحميدة ... الغيرة على الحرام، فنقصها خنوث. يقول الإمام الغزالي: "كل أمة وضعت الغيرة في رجالها، ووضعت الصيانة في نسائها. ولما ضاعت الغيرة من المجتمع الغربي بدعوى الحضارة، واختلطت الأنساب وشاع بينهم الخنوث. ويقول الإمام الشافعي: إن من استغضب ولم يغضب فهو حمار. فنصرة الله تحتاج إلى غضبة على الكفار .

ولم يغضب رسول الله (ص) لنفسه قط، وإنما كان غضب في الحق لله. وفي حديث لأبي هريرة: "اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر" (أخرجه مسلم). ولقد غضب شباب، ولحقهم وانضم إليهم جميع فئات الشعب وقاموا بثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، والتي حماها الجيش .

إذن فضوابط هذا الغضب المحمود أن يكون في الحق وللحق وبالحق، فإذا خرج عن دائرة الحق أصبح باطلاً. والحق يحتاج إلى حكمة العقل من علم وحلم وتفكير وتدبير، فطالما أن العقل يسيطر على الأفعال والأقوال وقادر على عملية المفاضلة والإختيار بين البدائل، يصبح الغضب تحت السيطرة، أما إذا انفرط منه عقد الحكمة، فقد خرج الغضب من دائرة السيطرة، وأصبح المحمود مذموما، حتى لو كان الهدف هو الحق.

الغضب المرفوض - المذموم :

الغضب المرفوض هو الغضب الذي لا يقره الدين، فالدين لا يقر الغضب للباطل، أو توجيه الغضب ضد الحق. والغضب المرفوض هو الذي

١- الإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي. ذم الهوى، ص٧.

يوقع أذى فى الآخرين. سواء كان نفسيا أو جسديا لقدرة الغاضب عليه، فهذا هو العدوان المرفوض الذى يستخدم كوسيلة لترويع الناس لإجبارهم على احترام المعتدى. كما أنه مرفوض إذا كان على نعمة أصابت شخصا آخر ولم تصبه مع تمنى زوالها منه، فيسمى هذا حسداً. والحسد هو نوع من أنواع الغضب المذموم[1].

العوامل المؤدية إلى الغضب :

تزيد السخرية من البعض والكراهية والغضب. والتنابز بالألقاب – أى تدعو شخصا باسم يكرهه. فقد قال الأمام أحمد عن ابن الضاحك: نزلت فى بنى سلمى، قال: قدم رسول الله (ص) إلى المدينة، وليس فينا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة، إذا دعى أحد منهم باسم من الأسماء قالوا: إن رسول الله لن يغضب من هذا. فنزلت الآية الكريمة: "ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان" "الحجرات: ١١".

والمشى بالغيبة والنميمة يفسد الحب فى المجتمع. ويولد البغضاء، والبغض يولد العداء والغضب. والنميمة، هى أن يتكلم خلف إنسان، مستور بسوء، وبما يغمه لو سمعه، وإن كان فيه صدقا فهو غيبة، وإن كان كذبا فهو البهتان. قال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضاً) "الحجرات من آية ١٢" .

والنميمة هى تناقل الأخبار بين الناس فى محاولة تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه .

والتقليد هو ما يكتسبه الطفل من عادات نتيجة رؤية للوالدين، فالأب والأم الغاضبات سينقلان إلى أطفالهم هذا السلوك، فيصبحون سريعى الغضب[2] لشعورهم بالظلم الذى هو أحد الأسلحة التى تؤدى إلى الغضب.

١- محمد ابراهيم الدسوقى. الغضب بين الدين والعلم، ص ص٢٠- ٢١.

٢- أنظر: محمد إبراهيم الدسوقى. المرجع السابق، ص ص٣٤- ٦٤.

ويتكون الشعور بالظلم عندما يعجز الإنسان عن التعامل بشكل نـــاجح، مـــع عدم حصوله على ما يريده، ومن ثم يشرع فى تخصيص مساحة من عقلـــه لهذا الظلم الذى يوقع عليه. وقد كانت ثورة ٢٥ يناير بسبب الظلم الذى وقع عليهم، وسوف يستبين ذلك فى فصل بعنوان: لماذا الغضب ؟

كيف يسيطر الإنسان على *الغضب* ؟

إن السيطرة على الغضب ليست بالأمر المستحيل. فعلـــى الإنـــسان أن يعرف المواقف التى تسبب له الغضب والأشخاص الذين يغـــضبون، ســـواء بكلامهم أو تصرفاتهم. وكظم الغيظ هنا ليس هو الهـــدف، وإنمـــا الهـــدف الحقيقى المنشود هو الوصول إلى العفو، فبلا عفو تستمر الأحداث السيئة فى الذاكرة ولن تبرح، بل وسوف تعود إلى الذاكرة حتى لو حدث موقف مشابه.

وعلى ذلك فالعبرة هنا ليست فى كظم الغيظ، بل فى العفو الـــذى هـــو أقرب للتقوى وعلى العبد أن يطلب من ربه أن يعفو عن سيئاته، فيقول اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني، والعفو أشد من المغفرة، لأن العفو هو المحو، إنما غفر يعني شر العيب[١] .

١- نفس المرجع، ص ص١٠٨- ١٠٩.

الفصل الثانى

التعريف بالثورة

يعالج هذا الفصل شرح وتحليل وتعريف مصطلح الثورة، والذى اختلط بغيره من المصطلحات الأخرى، مثل: الحركة والتمرد والإنقلاب، والثـورة المضادة والإنتفاضة .

ويشير هذا المصطلح إلى معنيين أولهما: التغير الدائرى الذى يكـشف عن أنماط جديدة، ثانيهما: التحول الجـذرى فـى التكوينـات الاجتماعيـة والسياسية، وفى العلاقات والخبرات المتبادلة بين الناس[١].

ولقد ارتبط مفهوم الثورة بحركتى النهضة Renaissance والإصلاح Reformation فقد قدم ابن خلدون وابن الأزرق تصورات ترتبط بعـصر النهضة. ويرتبط هذا التطور بالنظام الاجتماعى، وبسلوك الساسة والحكـام. وهو يسمى قدراً محتوماً على البشر، إذ لابد من العمل لإقامة الحياة وبنـاء الحضارة. وقد نهض الفكر والبحث على العلم والمعرفة والخبرة والإيمـان بالواقع، واستخدام المنهج الإستقرائى .

وبرهنت الثورة الفرنسية ١٧٨٩، وأتباع سان سيمون، وماركس علـى أن الثورة مرحلة من مراحل التطور التاريخى، وأن حتمية الحركة الثوريـة تكمن فى عدم ملازمة النظام القديم وضرورة استبداله بنظام آخر أكثر فعالية وتعبيرا عن جماهير الشعب .

وطبقا للمفهوم الحديث للثورة، اختلفت فكـرة الثـورة الـسياسية، أو التغيير السياسى الدائرى الذى لا ينتهى، وأصـبح الإنـسان متحـررا مـن الخضوع لدوران هذه العجلة، وأنه قادر على إحداث التغيرات والتحـولات.

١- أنظر: محمد ابراهيم الدسوقى. المرجع السابق، ص ص٣٤- ٦٤.

وهكذا أصبح مفهوم الثورة متميزا عن مفهوم العصيان والتمـرد، فـالأخيرة تعنى فقط مقاومة حكم فرد، أما الثورة فلا تعنى مقاومة السلطة الشخصية – أى من سيكون الملك، وإنما تعنى مقاومة نظام الملكية ذاته ... فالتمرد يمكن أن يسقط ملكا معينا ليحل محله ملك آخر ولكن الثورة عليها أن تحدث تحولا جذريا فى النظام الاجتماعى، تحولا دائما، وليس موقوتا .

ويعتقد البعض أن الثورة هى حالة فورة أو فتنة هوائيـة يقـوم علـى مهيجون لهدم المجتمع، والحقيقة أن الثورة هى شكل من أشكال التغير غيـر الهادى، إنها التغير المفاجئ والسريع والجذرى والعنيف، والكبير فى الحجـم الذى يصيب المجتمع، ويؤثر على كل جوانب الحياة، وأوضـاع المجتمـع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويتأتى ذلك بوسائل تخرج عن المألوف، ويتخللها العنف والهياج، وتلعب فيه الإدارة الإنسانية دورا كبيرا. فهى قمـة التعبير الإنسانى إنها عملية الخلق لأنها تؤدى إلى حدوث تغييـرات لا فـى نظام واحد من النظم الاجتماعية، أو أجزاء عرضية سطحية، وإنما تؤدى إلى تغيير أساسى وجذرى وعميق فى النظم الاجتماعية جميعها .

ولقد علق جونتشوك[١] على الثورة الفرنسية بقوله: الثورة جوهريا تعنى التغير. ويرى ميلز[٢]: أن التغير الاجتماعى حقيقة دائمة، ولكن الفرد العادى قد لا يشعر بهذا التغير إلا إذا اتخذ شكلا مفاجئاً وعنيفاً. وجذريا يطلق عليه الثورة الاجتماعية. ولهذا يرى أن الثورة هـى تغييـر عميـق فـى البنـاء الاجتماعى بشكل مفاجئ وعنيف، ولكنه يبدو مفاجئـا فـى الظـاهر فقـط

1- John w. Bennett, & Melvin, M, Tumin, Social life and function, P.249

٢- أنظر د. مريم أحمد مصطفى وآخرين. التغير الاجتماعى ودراسـة المـستقبل، ص ص٢١٦- ٢٢٤.

بالنسبة للشخص الذى أخذ على غرة، إلا أنه يشترط أن يكون مصحوبا بالعنف .

وغالباً يبدأ هذا التغير الجذرى بتغيير شكل الأبنية النظامية للقوة – أى تغيير النظام السياسى وهو تغيير قد يتم فى وقت قصير نسبياً، بحيث قد لا يصدق المرء أن التغيير قد حدث فعلاً. وينذر هذا التغيير فى النظام السياسى بتغييرات تستنزف كل أوجه الحياة، وهى تغييرات تثرى وتتوالى لتحدث تحولا بالجملة. ولذلك فإننا نجد أن الثورات تختلف فى سرعتها وشمولها، بحيث يمكن التفرقة بين الثورة السياسية التى تحدث بسرعة، والثورة البطيئة التى تغير المجتمع فى فترة أطول، كما تختلف فى أسلوبها بحيث يمكن التفرقة بين الثورة العنيفة والثورة السلمية. وتختلف كذلك من حيث القائمين بها، حيث يفرق بين الثورة الشعبية وجبش الانقلاب الذى يتم من أعلى .

وهناك سلسلة متصلة من المكونات لا تنفصل عن مجرى الأحداث فى المجتمع ولكن الثورة تقطع هذه السلسلة، وتحدث قطيعة مع الماضى، والدليل على ذلك، أن كل ثورة تحاول أن تفسر طابع العمل، فتعطى أبعاد جديدة وتضيف له مستويات جديدة، وترتب له حقوقا لم تكن معروفة أو متفق عليها من قبل. كما أنها تعبر عن الأوضاع الطبقية، بحيث تذوب الطبقة التقليدية، وتخلى مكانها لطبقات جديدة لم تكن يوماً قادرة على أن تصعد السلم الاجتماعى، لتقف فى مراكز القوة، وهذا يؤدى إلى نوع من التنقل الاجتماعى السريع الذى لا يلتزم بقواعد معينة[١].

ويرى بعض الباحثين أن نظام الحكم الذى يسبق الثورة يتسم فى بعض الأحيان بالطابع الأوليجاركى الذى يستحوذ على كل مصادر الدخل والرفاهية

١- د. محمد عاطف غيث. تطبيقات فى علم الاجتماع، ص ص١٩٤- ١٩٧.

فى المجتمع. ومن ثم يؤدى ذلك إلى إهمال أو إغفال حاجات المجتمع بغالبية فئاته، مما يجعل الجو ملائما لنمو السخط والشقاق الاجتماعى، والذى غالبا يواجه من قبل النظام القائم بالقمع .

والشائع أنه عندما تسود الأوليجاركية فى أى شكل من أشكال الحكم، تكون القوى الراغبة فى التغيير مكبولة أو قليلة. ومن ثم تصبح الأوليجاركية طبقة جامدة معرضة للتخلخل والإنهيار بواسطة الثورة الاجتماعية .

كذلك إذا ازداد التوتر السياسى فى أى نظام، يقل التكيف مع قوى التغير، وتتخذ الجماعات الساخطة مواقف ضد الحكومة، مما قد يتطور إلى نشاط غير دستورى، وقد يهدف هذا النشاط إلى مجرد جذب الاهتمام والإعلان عن متاعب معينة. فالمظاهرات ضد القنبلة النووية – على سبيل المثال – لها هدف محدود، وهو تغيير السياسة. وإذا تم تحقيق ذلك، فإنها تعود إلى ما كانت عليه من قبل .

ويعتمد السماح بهذه الاحتجاجات السياسية من جانب النظام الحاكم فى رسوخه على رأى الجماهير، وعلى قدر الخطر الذى يتهدده من وجود بعض المظاهرات. وقد تتطور هذه الاحتياجات السياسية إلى ثورات إذا ما اتسعت الأهداف وتغيرت الأساليب، ولكنها فى النهاية تسعى إلى الإصلاح[١].

والثورة إما أن تكون ضد نظام استعمارى أو نظام وطنى، فهى طوفان يجتاح أمامها أى قوة سائدة للنظام الأسبق سواء أكانت قوة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. وهى ليس باللازم أن تكون الثورة مرتبطة بأيديولوجية واضحة المعالم والسمات، إنما هى تقوم أساسا وابتداءً على التخلص من النظام الأسبق بمختلف الإجراءات والسبل حتى تتهيأ لها فرص

١- د. إسماعيل على سعد. الاتجاهات الحديثة فى علم الإجتماع، ص٨٠.

مناسبة أو موائمة لتعلن أيديولوجيتها، أو فكرها بعد أن تكون قد انتهت أو على وشك الإجهاز على عوامل وعناصر النظام الأسبق[١].

وفى المفهوم الإسلامى فإن الإصلاح هو تغيير جذرى وشامل، كالثورة تماماً، ومع ذلك فإن الثورة والإصلاح متمايزان، ففى الثورة عنف وهياج وسرعة لا توجد فى الإصلاح الذى يتم سلمياً وبالتدريج. ولقد وصفت رسالات الرسل بأنها "إصلاح" يقول سبحانه وتعالى: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله) "هود:٨٨". وفى الحديث النبوى نبوءة تقول: "كيف فى فتنة تثور فى أفكار الأرض كأنها صياصى - قرون - بقر" (الإمام أحمد).

وقد استخدم مصطلح الثورة فى الأدبيات السياسية الإسلامية، فقد دعى نافع بن الأزرق (٦٥ هـ - ٦٨٥م) أصحابه - الخوارج - إلى تأييد ثورة عبدالله بن الزبير (١-٧٣هـ / ٦٢٢- ٦٩٢م)، فيقول لهم ".... وهذا، من قد ثار بمكة، فأخرجوا بنا نأت البيت، ونلق هذا الرجل الثائر.

ومن المصطلحات التى شاعت بالتراث الإسلامى للتعبير عن معنى الثورة، "الفتنة"، لأن فيها الإبتلاء والامتحان والاختلاف والصراع حول الأفكار، والملحمة، وفيها التلاحم فى الصراع والقتال، وأيضا الإصلاح العميق الذى يشمل الأمة فيقوى لُحمتها. والخروج، وفيه شق عصا الله والوثوب والنهوض "القيام"، وفيها الوثوب والإنقضاض والصراع. وفى حديث أنس بن مالك، حضرت عند مناهضة حصن (تستر)، عند إضاءة الفجر، (رواه البخارى).

ومن المصطلحات القرآنية الدالة على معنى الثورة ومضمونها مصطلح "الانتصار" لأن فيه الإنتصاف من الظلم وأهله والإنتقام منهم، ومن صفات

١- محمد الطويل. برلمان الثورة، ص٩.

المؤمنين الثورة على البغى والظلم، يقول تعـالى: ﴿فِيهِمْ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ (الشورى:٣٩- ٤١).

والشعراء الثوار على الظلم ليسوا "مذمومين كالذين يتبعهم الغاوون" يقول سبحانه: ﴿فِيهِمْ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء: ٢٢٤- ٢٢٧)[١].

وهناك ثورات تنقل أوطانها إلى الأمام، وثورات تعود ببلادها إلى الخلف، وثورات تقف لتراوح مكانها، فلا هى تقدمت خطوة، ولا هى حافظت على مواقعها القديمة. والثورات الشعبية فى أوربا الشرقية نقلت شعوبها إلى المعسكر الديموقراطى من العالم وتنعمت بمزايا الاستقرار الحقيقى القائم على إدارة شعب. يشارك فى قراره عبر دولة ديموقراطية مدنية حديثة .

ويبدو وجود فروق بين ثورات الشعوب وثورات الجيوش، فالثانية حتى لو احتضنها الشعب يمكن أن يقال عنها أنها انقلاب عسكرى - ولو أن الإنقلاب له معنى مخالف، أو حركة ضباط. وما بين الحديث عن الإنقلابات السوداء والبيضاء، تبقى الثورات الشعبية خارج التصنيف، فهى تستمد مشروعيتها من الشعب، وليس من أحد غيره[٢].

والثورات ظاهرة اجتماعية. ومن ثم خضعت للدراسة العلمية شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى. وقد أمكن عن طريق الدراسة والبحث

١- د. محمد عمارة. ثورة ٢٥ يناير وكسر حاجز الخوف، ص ص٩- ١٠.

٢- السيد عبد الفتاح. ثورة التنوير، ص٢٢٨.

التوصل إلى تقسيمات حول السلوك الجمعى، والفعل الجماهيرى، الإرادى الواعى، والتنمية الاجتماعية التى تستلزم العمل الثورى الجماهيرى. كما أمكن التنبؤ بها وبنتائجها. فزوار انجلترا فى القرن السابع عشر، وأمريكا وفرنسا فى القرن الثامن عشر، وروسيا فى القرن التاسع عشر، قد أمكنهم بعد دراسة هذه المجتمعات التنبؤ بحدوث ثورات فيها، وبنتائجها وما تسفر عنه، وفى الواقع فإن الثورة لحظة أو حدث فى تاريخ المجتمعات الإنسانية الطويل.

والثورات الاجتماعية هى عمليات ضرورية. وهى تستهدف إجراء عمليتين أساسيتين، هما:

١- عملية هدم لكل مقومات فترة ما قبل الثورة .
٢- عملية بناء لإقامة بناء اجتماعى تنتفى فيه كل العوامل التى سببت أزمة النظام الجديد.

ويشكل العمل الثورى عملية قطع وتوثب، إذ ينتقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى، وهذا الإنتقال لا يمكن أن يتمّ إلا بتدمير البيئة القديمة، والظروف والأوضاع الاجتماعية والسياسية فى المجتمعات، ويتم من خلال تغيير نظام شرعى أو اجتماعى بالقوة والسرعة وإحلال بيئة جديدة محلها.

وقد لاحظ أرنولد فيلدمان[1]، أن الثورات تمثل المظهر المتطرف للضغوط والمعاناة الاجتماعية أو السياسية التى توجد دائما بدرجة معينة. وهى تتسم بالعنف، وتحدث فجأة وبلا سابق إنذار .

وقد تكون الثورة فى شكل مقاومة سلبية جماهيرية، وذلك كما حدث فى الهند قبل استقلالها. فقد قامت مقاومة غير موجهة ضد سياسات معينة،

1- See Chalmers Johnson. Revolutionary change, pp. 119–120.

ولكنها كانت ضد فكرة الحكم الاستعمارى بأكمله، وكان الهدف هو استقلال وحكم الهند بواسطة أبنائها. والموقف فى هذه الحالة ثورى، لأنه يهدف إلى الإطاحة بالنظام وتغيير السياسات تغييرا جذرياً .

والثورة إذا كانت متمشية مع العقل الجمعى، ووفق اتجاهات الجماعة، فإنها ستصل إلى ما تصبو إليه، وحتى إذا ما فشلت مرة، فإنها ستتكرر مرات حتى تصل الجماعة إلى ما تريد، وذلك مثل الثورات المتتالية التى حدثت فى مصر من سنة ١٨٨٢-٢٠١١. أما إذا كانت بعيدة عن أهداف الجماعة، وغير متمشية مع العقل الجمعى، فإنها لو نجحت فى إحداث انقلاب، فإنه مقضى عليها بالفشل. وعلى ذلك فالثورة هى تغيير جذرى فى المجتمع، وتتمتع بتأييد شعبى، فتشمل اتحاد الدولة بأكملها .

وظاهرة الثورة قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، وذلك لمعايشة الإنسان لها منذ قرون طويلة، وما زال يعيشها حتى الآن، والقرن العشرين، بل والحادى والعشرين هو عصر الثورة نظرا لتعدد الثورات فيهما، وعلى الأخص فى منطقة العالم الثالث .

وترجع الثورة إلى مجموعة من الأسباب يمكن حصرها فى الظروف الخارجية والظروف الداخلية. والظروف الخارجية هى كالغزو، وذلك كما حدث حين غزى العرب مصر فى القرن السابع الميلادى. ومنها أيضاً الهجرة، وذلك كهجرة الأوربيين إلى أمريكا، إذ قد أحدثت تغييرا فى النظم الاجتماعية للأقوام الأصليين .

وقد ترجع الثورة إلى ظروف داخلية، نتيجة تعاملات كثيرة لم تعد تجارى الوضع القائم، فأصبح هناك حال من القلق الاجتماعى الذى تأصل وطال أمده، أو قد يكون السبب وجود طبقات فى المجتمع تحول بين التطور،

ومجراه العادى، وحينئذ تقوم الثورة لتصل بالجماعة إلى مـا لـم تـستطع الوصول إليه بالتطور العادى، ولو ساير نبلاء فرنسا وأشرافها وحكامها فى القرن الثامن عشر الروح السائدة فـى مملكـتهم حينـذاك وروح التطـور الاجتماعى لما حدثت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، ولو كفّ قياصرة روسيا عن تشجيع ما ساد فى إمبراطوريتهم من رشوة ومفاسد أخلاقية فى العـصر القيصرى، لما نجحت الثورة البلشفية الروسية سنة ١٩١٧، وكذلك الثورتان المصريتان عام ١٩٥٢، ٢٠١١م .

وفى العادة تكون الثورة وليدة عدم المساواة الاجتماعية التـى تـسود المجتمع من طريق السيطرة على مقدرات المجتمع، فضلاً عن عدم التوزيع العادل للدخل القومى نتيجة لسيطرة الأوليجاركية وأفكارها لنظام الحكم ومـا يترتب على هذا الاحتكار من استحواذ على مصادر الدخل والثـروة داخـل المجتمع، وما يترتب عليه من تمايز اجتماعى بعيد المدى بين من يملكـون ومن لا يملكون .

والثورة تتحرك فى بدايتها الأولى من واقع اجتماعى بواسطة أفـراد – قادة سياسيين أو دعاة فكر جديد، يكونون أكثر من غيرهم قدرة على الحركة والتعبير عن مطالب المجموع. فهناك قلة تكون دوما فى مواقع القيادة بالنسبة للجماهير، حتى وإن قامت الجماهير بدون قيادة بحركة أو ثورة، فإنها تنتهى عادة إلى قيام عدد قليل من الأفراد بامتلاك مقاليد الحكم .

إذن هناك أقلية أوليجاركية تحكم، وقلة تثور عليها محاولـة أن تحـل محلها وهكذا – وكما يرى باريتو – دورة صفوة، تحل صفوة مـن خلالهـا محل صفوة أخرى. وهكذا فهى سنة التاريخ البشرى منذ فجره وحتى اليوم، فالمجتمعات عند بدء تكوينها حتى اليوم تحكم بواسطة صفوة أو أقلية تـسمو فى تراث الفكر الاجتماعى والسياسى بصفوة القوة أو الصفوة الحاكمة.

فالثورات الاجتماعية يترتب عليها تجديد المجتمعات، وإلغاء وانهيار خط الاستمرار فى أوضاع تتحرك ببطء، فكل ثورة فى العالم غيّرت إلى درجة عميقة فى البناء الاجتماعى القديم، وذلك عن طريق الضربات المتتالية التى توجهها قادة النظام الجديد إلى الأساس الذى ارتكزت عليه العلاقات الاجتماعية القديمة، ويترتب على ذلك أن الروابط السياسية والاقتصادية التى كانت تشكل نوعا من الانسجام تصبح عديمة الفائدة .

وفى مقابل ذلك، تصنع الثورة نوعاً جديداً من التنظيم الاجتماعى جديد كل الجدة على تجربة البشرية التقليدية، ولهذا يقال أن المجتمع أثر الثورة يكون فى حالتين: حالة من الحماس الثورى، والمتطلع لكل جديد، وحالة من التجمع المستمر نتيجة لعدم إدراك أبعاد المستقبل لاستحالة التنبؤ، وخصوصا ذات البناء الاجتماعى القديم لكونه مصدراً لإثارة نوع من البناء يحجب الرؤيا الواضحة أمام المخططين الجدد .

ويتمثل ذلك فيما حدث فى فرنسا وروسيا والصين ومصر. والثورة بذلك تختصر الزمن، وتعجل بالتقدم متجاوزة الفعل الاستمرارى ، والتطور السلمى البطئ المتدرج .

وقد يترتب على الثورة اختلاط المعايير الخلقية بالقواعد القانونية. ويتبع ذلك وعلى المدى القصير ظهور قواعد جديدة قد لا تكون مدروسة بعناية وعند تجربتها قد لا تثبت نوعا من الصلاحية، وعند ذلك تستمر الثورة للقضاء على هذه المعوقات، فتصبح الثورة عملية اضطرادية .

والثورة الناجحة تعوزها مقومات وأصولاً لتضمن باستمرار الروح الثورية التى بدأت بها. ومن تلك المقومات[1]:

١- المستشار محمد أحمد رجب. ثورة رائدة، ص ص١٢ وما بعده.

١- الوعى هو أصل الثورة، ويتحدد على ضوئه ما يجب عرضه من المظالم، ولذلك فإنه يتحتم على قائد الثورة أو قادتها أن يحيطوا الشعب بمبررات النضال فتتكون لديه عقيدة جديدة فى التغيرات، وفى البذل والفداء فيتم الثورة، فهو يثور عن فهم ويناضل عن عقيدة، ويجاهد بسبب الألم ويثور من أجل الألم .

وفى هذا الصدد يقول جمال عبد الناصر[1]، إذا لم تقو روح الشعب، وإذا لم يعرف كل فرد منا أن يقف ومتى يجاهد وكيف يجاهد، فلا يصل إلى حقيقة أهدافنا الوطنية، ويضيف أنتم أيها المتعلمون تعرفون ذلك ولكن الشعب يجب أن يعرفه، ويجب أن يعلم بكل شئ. فإن اليوم الذى ثبت فيه روح العزيمة القوية فى نفوس الشعب هو اليوم الذى نبدأ فيه الحصول على حريتنا، وبث روح العزيمة هو واجب كل منكم .

٢- أن يكون هدف الثورة الصالح العالم. ذلك أن المصالح الطبقية تعوق الدفع الثورى، كما أنها الدوافع الإنتهازية من اختيار لأسهل السبل فى الكفاح أو توفير لأسباب الحياة اليومية وغيرها من أسباب مماثلة أخرى قد لعبت دورا خطيراً فى تخريب الحركات الثورية، وجد الكثير منها خارج النطاق الثورى.

٣- الترتيب والتدرج من مستلزمات الثورة الحقيقية .

الثورة والإصلاح :

تختلف الثورة عن الإصلاح من حيث أن الثورة تغير فى البناء الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية، تتناول الأساس المادى والمعنوى معا، أما

١- خطاب جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى بجامعة القاهرة فى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٣.

الإصلاح فهو محاولة لتقليل الأخطار والنتائج غير المرغوبة التـــى تتـصل بأداء البناء الاجتماعى لبعض وظائفه. كما يفرق بينهما على أســـاس قـــدر التغيرات المقترحة وأهميتها .

وإذا كانت الثورة هى التغيرات المفاجئة والسريعة والجذرية والعنيفـــة، والتى تعبر عن مرحلة من الغضب ودرجة من الإنفعال، مع رفــض كامــل لكل ما هو قائم، فإن الإصلاح يكون مبتهلا وجزئيا وبطيئا، ويستخدم التدرج السلمى، ويتسم بالتغير السطحى والجزئى وغير الشامل، بينما الثـــورة هـــى التغير الجذرى والشامل للواقع وللأنساق الفكرية. والإصلاح نزعة تاريخيـــة تستند إلى فكر محدد، وتنطلق من رؤى واضحة، وكأنها تطبيق عملى لمقولة شهيرة "إن مالا يدرك كله لايترك كله، فتوسع قاعدة الانتماءات شئ طبيعـــى فى الإصلاح إذا ما تحقق بوسائل سلمية مثل الالتماسات، وقد يعجل التهديـــد بالثورة من الإصلاح، وقد يحول العجز عن تحقيقه إلى ثورة. ومع ذلك فمن الممكن أن يطلق عليه إصلاحاً إذا كانت الأسلحة المستخدمة تتسم بخلوها من العنف، وتستمر فى حالها لو حدث عنف بسيط أدت إليه الممارســـة، ولـــيس سبق الإصرار.

فلقد كانت انتفاضة المجر، والمتاعب فى أيرلنده، ثورات وليست حركة إصلاح، لأن العنف كان مقبولا وليس شيئا عارضا. ويعتمد كـــون الحـــادث ثورة أو إصلاحا على السرعة والإيقاع، فالثورة سواء كانـــت صـــناعية أو سياسية ترتبط فى الأذهان بسرعة التغير.

وعادة ما يقوم بالثورات عدد غير قليل من الأفراد يستطيع عن طريق العنف استخدامه أو التأييد السياسى أن يحرز السبق، مثلما حدث فى العصر الحديث فى أفريقيا وجنوب أمريكا، حيث يتصدر العسكريون قائمـــة الثـــوار

ويشكل العسكريون الحياة الوحيدة فى الأنظمة التى تتمتع بـالتعليم العـالى، والمهارة الفنية، وأسلحة الدمار الشامل .

أما القائمون بالإصلاح فمن الصعب تحديدهم، وخاصة فـى الأنظمـة السياسية المعقدة. وغالبا ما يشترك فى الإصلاح الأفراد والجماعات داخـل الحكم، وخارجه، كما يشتركون فى المسئولية .

وفى حالة الثورات لا يوجد سوى طرفين فى الصراع يقومان بالقتـال بينما يراقب الكثيرون الموقف. وفى النهاية تنتـصر جماعـة منهـا علـى الأخرى. أما فى حالة الإصلاح، فالحكومة الطرف فى الصراع بين الـذين يؤيدون الإصلاح من خارج الحكومة، وأولئك الذين يعارضون. وفـى هـذه الحالة تقوم الحكومة بالتحكم كما فى المجتمعات التى تتعدد فيها الأحـزاب، فتعلق الحكومة الفائز، أو تقسم الجائزة بين الطرفين، وقد تنتظر الحكومة قبل التدخل للتقريب بين الطرفين، وقد تحسم الصراع بناء على طلب الطـرفين، وقد تعلق هدف، أو تحيل الأمر إلى لجنة تقصى الحقـائق. فالإصـلاح إذن سابقة فيها حكم، ولها قواعد. أما الثورة فمطلقة للجميع[١].

والفارق بين الإجراءات الثورية والحركات الإصلاحية يبدو كالفـارق بين مدرستين فى الطب، تؤمن الأولى بالتدخل الجراحى الـسريع، وتعتمـد الثانية على العلاج طويل المدى بالعقاقير. وكلتا المدرستين لها وجهة نظرها وأسلوب تعاملها، كذلك فإن لكل منهما أولوية فى مرحلـة معينـة بالتـدخل الجراحى حتى فى حالات الإلتهاب الحاد للزائدة الدودية – مثلا – بينما قـد يحسن العلاج بالعقاقير فى حالات الالتهاب المزمن الذى لا يصل إلى مرحلة الخطورة.

١– د. عبد الهادى الجوهرى. أصول علم الاجتماع السياسى، ص ص٢٣٢– ٢٣٤.

وتبقى الشعوب دائما هى الشريك الأساسى عند التقييم، فهى التى تسدد فواتير الثورات والانقلابات بما تدفعه من ثمن لتحديد الشعارات وافتعال المواقف، وهى التى تتحمل نفقات الإصلاح طويلة المدى وتكاليف انتظار نتائجه بعد وقت قد يطول .

وتظل التفرقة الجوهرية بين مفهوم الثورة ونزعة الإصلاح متمثلة بالدرجة الأولى، فى طبيعة الإجراءات الاستثنائية التى ترتبط بالثروات دائما، وتؤدى إلى تعطيل الديمقراطية أحيانا، كما تكمن بعض عناصر التمييز، كذلك فى حجم التركيز الذى يقترن بحركات الإصلاح، والذى يعطى زعماؤه أدواراً، لا تخلو من مبالغة، ولا تبرأ من غموض. فالثورة الفرنسية، عرفت بالعنف وشهوة الإنتقام كما ارتبطت الثورة البلشفية بالدماء، وبقيت معها استثناء عبر النظم السياسية التى خرجت عن عباءتها، وتلطخت بالدماء. كذلك السنوات الأولى للثورة الإسلامية فى إيران، بينما عرفت الثورة المصرية درجة من الإعتدال بالمقارنة بغيرها، وارتبطت بالشخصية المصرية الذاتية، ولم تفقد هويتها فى زحام السيطرة الدولية للقوى العظمى فى ظل تأثيرات الحرب الباردة .

الثورة والتطور :

يفرق بين التطور والثورة من حيث أن التطور هو التغير التدريجى الذى يصيب النظام، وقد لا يصيب إلا الأجزاء العرضية والسطحية. أما الثورة فإنها تشير إلى كل تغير أساسى يصيب النظم الاجتماعية كلها .

الحركة الإجتماعية Social Movement :

الحركة الاجتماعية هى سلسلة الأفعال والجهود التى يقوم بها الأشخاص، والجهود التى تبذلها الجماعات والطبقات الاجتماعية من أجل

تحقيق غايات خاصة وهدف معين[١]. وتسعى الحركة الاجتماعية إلى إحداث التغيير الاجتماعى من خلال جماعات من الأفراد. وهى حركة جمعية مقصودة تهدف إلى تغيير فى أى اتجاه وأى وسيلة. وهى تشمل الحركات العنيفة الغير قانونية، وينبغى أن تتضمن الحركة الاجتماعية حدا أدنى من التنظيم وترتكز الحركة الاجتماعية على الإرادة الواعية والالتزام المعيارى بأهداف ومعتقدات الحركة، والمشاركة الإيجابية من جانب أعضائها[٢].

التمرد :

تختلف الثورة عن التمرد، فهذا الأخير يهدف إلى التغيير، ولكنه تغيير جزئى لا يتجاوز الوضع الراهن، وهو يتم فى حدود الوسط ، ولا يملك إرادة التغيير، ذلك أن إرادة التغيير المجاوزة ليست إرادة فردية، ولكنها إرادة قوى عريضة من الشعب .

أما الثورة فهى فعل شامل وجماعى – أى لا تتحقق بعمل فردى؛ وهى تعبر عن حركة الغالبية من الناس لتفرض إرادتها على التقدم الاجتماعى، وإذا التفت إليها الوسط تجاوزته، وهى أشمل وأعم من التمرد .

والتمرد هو رد فعل محدود، وفردى للوسط. وليس فعل، وهو لا يبغى تجاوزه وإقامة مجتمع جديد، وإذا التفت إليه الوسط توقف. وهو كرد فعل جزء من حركة الأشياء فى سبيل الحركة العامة، ولكن عمل سلبى قد يؤدى إلى تصفية عناصر الثورة . . .

ويعلق د. حسن شحاته[٣] على التمرد قائلا أنه، إذا نجح القائمون لتدبير

١– د. أحمد محمد حجازى. الثورة المصرية، علاقات حضارية فارقة، نقلا عن مجلة الديمقراطية، العدد٤٢، ص١٠٠٢، ص٣.

٢– د. محمد على محمد. أصول علم الاجتماع السياسى، ص ص٤٣٩– ٤٤٠.

٣– د. حسن شحاته سعفان. أسس علم الاجتماع، ص٣٠٦.

التغير الاجتماعى سمى عملهم ثورة Revoltion، ولكن إذا فشل بسبب من الأسباب فإنهم فى العادة يقدمون إلى المحاكمة من الهيئات التى ثاروا عليها، ويسمى عملهم عصيانا أو تمرد Revolt .

الإنقلاب :

الإنقلاب هو التغير فى المظهر دون الجوهر، يقوم به قطاع من قوى السلطة القائمة، القوى التى تمارس القهر والإستغلال والظلم الاجتماعى فى مواجهة قوى الثورة النامية، وقد يساندها وحدة جيش أو شرطة، ولا يمتد الانقلاب إلى فكرة تغيير المجتمع مثل الثورة، بل هو يهدف إلى إزاحة قطاع من قطاعات السلطة ثم الإنفراد بها. وباتمام عملية الإستيلاء على السلطة. تنتهى الحركة الانقلابية، وهو على هذا الأساس لا يعمل إلا على تغيير الأشخاص الحاكمين وإخوانهم الكبار. ويمكن أن نطلق على عملية الانقلاب السطو على السلطة، وهناك فارق بين من يسطو على السلطة وبين من يثور.

ويعمل الانقلاب على تثبيت النظام الاجتماعى القائم. وهو بذلك يفقد كل مضمون اجتماعى تقدمى - ويحدث إما للمحافظة على مصالح الطبقات الرجعية من تقدم الثورة الشعبية وتدعيمها. وإما للمحافظة على الارتباط أو التبعية للقوى الأجنبية الاستعمارية التى تهددها ثورة شعبية .

ومن أمثلة الإنقلابات ثورات القصور، والانقلابات الكثيرة التى تحدث فى أمريكا اللاتينية بغرض طرد دكتاتوراً لتضع دكتاتور آخر، وكذلك انقلاب نابليون سنة ١٧٩٩، وانقلاب نابليون الثالث سنة ١٨٥١، والحركات الانقلابية التى قامت فى سوريا بعد الحرب العالمية الثانية .

ومن النادر ما يطلق أصحاب الحركات الانقلابية على حركتهم لفظ انقلاب، بل غالباً ما يطلقون عليها ثورة. والعبرة هنا هى بمدى التأييد

الشعبى للحركة، وبمدى شمولها للأهداف، والتحقق من ذلك يتطلب مرور وقت بعد قيام الحركة ليحكم على إنجازاتها، وبالتالى يمكن أن يطلق عليها لفظ ثورة أو انقلاب .

ويتبين من ذلك الفارق بين الثورة والانقلاب، فالثورة تهدف إلى إسقاط السلطة القائمة وما تمثله من تحالف قوى اجتماعية، وتسعى إلى تغيير جذرى فى النظام القائم، وإقامة نظام جديد، يقوم به غالبية أفراد المجتمع بوعيها، وتنظيمها، وإرادتها فى تجاوز الوضع الراهن.

أما الإنقلاب فهو يعبر عن صراعات بين قوى السلطة القائمة وبين مواجهة حركة الجماهير. وهو عمل فردى لا يستمد إلى قوى الشعب، وهو يسعى إلى تثبيت السلطة القائمة باستقطاب قطاعات أخرى – أى مجرد اغتصاب للحكم[١].

الثورة المضادة :

يدلنا التاريخ على أن المستقبل دائما ملك لما هو جديد، معبرا عن التقدم. ولكن القديم قد يقاوم فى يأس. والثورة عمل تقدمى يسعى إلى تغيير جذرى فى الحياة الاجتماعية، بجميع جوانبها، ولكن هناك قوى النظام القديم، هى قوى الثورة المضادة – قوى الاستعمار والعملاء والاستغلال والرجعية – تلك التى لا تستسلم لإجراءات الثورة، فتحاول الانقضاض على النظام الجديد بالعنف وسحقه .

وتستند الثورة المضادة فى حركتها إلى نظرية رجعية، وتستخدم أساليب معينة ومتعددة، وتقوم بحرب نفسية وتشكك فى الثورة، محاولة بذلك ضرب قوى الثورة ذاتها، ويشير التاريخ أن استمرار الثورة كفيل بوقف الثورة المضادة، أو على الأقل يجهدها.

١- أنظر د. مصطفى الفقى. من نهج الثورة إلى فكر الإصلاح، ص ص٩- ١٠.

الهبة :

تتم الهبة عن إرادة التغيير، إلا أنها كالجنين الذى لم يستكمل بعد نمـوه فيخرج إلى الحياة قبل مولده الطبيعى، ومن ثم لا تكون لديه كـل مقومـات الحياة وعليه فإن الهبة وإن كانت مضمونها كالثورة، إذ أنها تعبر عـن آلام الجماهير، إلا أنها معرضة للقضاء عليها، لأن الظروف غير مهيأة لها بقاعدة عريضة من الشعب، ويترتب على القضاء عليها أن يمتد أثرها إلى الأفـراد المكونين لها والأفراد الذين كانوا يعطفون عليها، فيقضى عليها فى المهد.

الهبة تختلف عن الثورة التى هى وليد اكتمل نموه وخرج إلى الحياة فى موعده الطبيعى، وله مقومات الحياة[١].

١- د. محمد طه بدوى، وإسماعيل محمد هاشم. ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ص١١٥.

الفصل الثالث

الثورة

مشروعيتها - أهدافها - خصائصها

مشروعية الثورة

يعبر مصطلح "الأمر" في الدولة الإسلامية، والمجتمع الإسلامى عن الإئتمار والتشاور ومن مصطلح "الأمر" جاء مصطلح "الأمير" ثم أمير المؤمنين. وقد حدثنا القرآن الكريم عن أولى الأمر للدلالة على أن السلطة العليا فى الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامى، لابد أن تكون جماعية ثورية، لا فردية استبدادية. قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ "النساء: ٥٩" .

ونبه القرآن الكريم إلى أن أولى الأمر الذين يتولون السلطة فى الدولة والمجتمع والأمة، والذين لهم الطاعة، لابد أن يكونوا من الأمة مختارين منها بالشورى، والإختيار والبيعة، ومعبرين عن هويتها الحضارية، ومصالحها الشرعية، لا مفروضين عليها بسلطة القهر والتغلب أو بوسائل الغش والتزوير.

وقد قال عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ - ٢٣هـ/ ٦٤٤م) فى أول خطبة له بعد خلافة أبى بكر - ليعلم من ولى هذا الأمر من بعدى أنه سيمر يده عنه القريب والبعيد". وقال كذلك "أن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التى لا جبر فيها، واللين الذى لا وهن فيه"[١].

١- الشهرستانى. نهاية الإقدام فى علم الكلام، ص٤٧٩.

وعن ماهية أولى الأمر، قال العلماء والمفسرون: أنهم العلماء والأمراء والقادة فى المجتمع الإسلامى الذين رضيهم جمهور الأمة، والذين يميل الناس معهم حيث مالوا وهم – كما يقول الشيخ محمد عبده (١٢٦٦- ١٣٢٣هـ/ ١٨١٩- ١٩٠٥م) – جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين، وهم الأفراد والحكام والعلماء ورؤساء الجند، وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم. وجب أن يطاعوا فيه، بشرط أن يكونوا منا، وأن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله (ص) التى عُرفت بالتواتر، وأن يكونوا مختارين فى مجتمعهم فى الأمر واتفاقاتهم عليه، وان يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة، وهو مما لأولى الأمر سلطة فيه وتعرف عليه .

ويضيف الشيخ محمد عبده أن أهل الحل والعقد من المؤمنين إذا أجمعوا على أمر من مصالح الأمة ليس فيه نص من الشارع، مختارين فى ذلك غير مكرهين عليه بقوة أحد ولا نفوذه، فطاعتهم واجبة، ويصح أن يقال هم معصومون فى هذا الإجماع[١].

فطاعة أولى الأمر المختارين بالشورى والبيعة، والممثلين للأمة، والذين يحكمون حكما جماعيا شورياً وليس فردياً استبدادياً – طاعتهم مشروطة بأن تكون فى غير معصية، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. وقد عبّر الخليفة الأول أبو بكر عن هذا المبدأ الإسلامى – عندما أعلن فى خطابه الأول أن تطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم، إن استقمت فأعينونى، وإن زغت فقوّمونى[٢].

١- الإمام محمد عبده. الأعمال الكاملة ٥/٢٢٩- ٢٣.

٢- النويرى. نهاية الأدب. ١٩١ /٤٢- ٤٥.

وكان العزل للحكام الذين لا يحكمون بالشورى واجباً. وعبارة الفقيه المفسر للقرآن ابن عطية (٤٨١- ٥٤٢هـ/ ١٠٨٨- ١١٤٨م). التي ينقلها عن الإمام القرطبي (٦٧١/ ١٢٧٣م) "إن الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام .... ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب "وهذا مما لا خلاف فيه"[1].

وهذا التغير حق من حقوق الأمة التي هي مصدر السلطات .. يقول السيد عمر مكرم (١١٦٨- ١٢٣٧هـ/ ١٧٥٥ - ١٨٢٢) عندما عزل "مجلس الشرع" الوالي الذي عينه السلطان العثماني على مصر-: لقد جرت العادة من قديم الزمان، أن أهل البلد يعزلون الولاة، وهذا شئ من زمان، حتى الخليفة والسلطان إذا ساروا فيهم بالجور فإنهم - أي أهل البلد - الأمة، يعزلونه ويخلعونه[2].

وقد اختلفت المذاهب الإسلامية بخصوص الخروج المسلح. فقد قال ابن الخوارج، الخروج المسلح على أئمة الجور. إذا توافر الحد الأدنى للخارجين، وهم أربعة من الثوار، واشترط الحسن البصري (٢١- ١١٠هـ/ ٦٤٢- ٧٢٨م) للخروج المسلح أن يكون للثوار إمام - أي بديل للحاكم الذي يثورون عليه ويخلعونه، وأن يكون معهم سلطان - أي قوة تمكنهم وترجّح انتصارهم، وتغييرهم ولاة الجور بولاة العدل، وذلك حتى لا يكون الأمر هبات عشوائية - كهبّات الخوارج، تثير الفتن وتسيل الدماء، دونما تحقيق للتغيير والإصلاح.

١- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٩/٤).

٢- انظر الجبرتي. عجائب الآثار. (٢١٩/٦- ٢٢٣)، وانظر عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية (٢/ ٣٣٦- ٣٣٧).

وقال المعتزلة: وما يحل لمسلم أن يخلى أئمة الضلالة وولاة الجور إذا وجد أعواناً، وغلب فى ظنه أن يتمكن من منعهم من الجور[١].

وعارض أهل الحديث ومنهم الإمام ابن حنبل ١٦٤-٢٤١هـ /٧٨٠-٨٥٥م)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٨هـ/ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م) - عارضوا الخروج المسلح، وذلك مخافة الفتنة وتعطيل مصالح الأمة، ووقف تنفيذ الشريعة وأحكامها، ولكنهم لم يعارضوا التغيير السلمى الذى نسميه الثورات البيضاء، وذلك بالمعارضة والنصيحة، والتظاهرات التى هى جهر بالمظالم، ووازن ابن تيمية فى الخروج المسلح، واستخدام السيف فى تغيير ولاة الجور - بين المصالح والمفاسد، فإذا رجحت كفة المفاسد عند الخروج المسلح كان الصبر على الجور أوْلى بالخروج، وإلا رجحت كفة الخروج[٢].

وروى الإمام مسلم ابن الحجاج (٢٠٤ - ٢٦١هـ/ ٨٢٠- ٨٧٥م) فى كتاب الإمارة فى "صحيح مسلم" فى الباب الحادى عشر بعنوان، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، وفى الباب الثانى عشر بعنوان: باب فى طاعة الأمراء، وان منعوا الحقوق، بينما جاء فى الباب الثامن بعنوان: باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، وتجريمها فى المعصية" فى نفس الكتاب - كتاب الإمارة .

ويحرم هذا العنوان الطاعة فى المعصية، كما يحرم ظلم الولاة: واستئثارهم وكذلك منعهم الحقوق من أصحابها، وهى معاصى تحرم على الرعية الطاعة فيها.

وإذا قيل أن ابن عباس روى قول الرسول (ص) "من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا، فمات، فميتته جاهلية. رواه مسلم.

١- القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى. تثبيت أوائل النبوة (٢/٥٧٤- ٥٧٥).

٢- ابن تيمية. منهاج السنة النبوية (٢ / ٨٧).

فيرد على ذلك أن المطلوب هو الصبر على أمر يكرهه الإنسان، وليس على أمر يخالف منطوق الشريعة أو روحها، فلقد يستدعى الأمير الناس ليقاتلوا فى سبيل الله، أو لينفقوا فى المصالح العامة ما فضل من حوائجهم. ولقد يكره البعض هذا الذى يطلبه هذا الأمير. فالصبر على ما يكرهه الإنسان – فى هذه الحال وما ماثلها هو المراد فى الحديث، لأن الخروج عن الطاعة هنا، وعدم تحمل المكاره فيه مفارقة للجماعة، وهى التى ينهى عنها الحديث الشريف ويحذر منها(١).

واصطلاح الخوارج فى الفقه يشير بوجه خاص إلى الثورة المسلحة، ولكن تطورت وسائل الكفاح السياسى فى عصرنا، وشهدنا تجارب عديدة لثورات مسلحة حيث أدت إلى إسقاط نظم سياسية بوسائل العصيان المدنى، وهى أكبر الوسائل تواؤما مع الإسلام الذى يعلى من شأن حقن دماء المسلمين، ودماء البشر عموماً .

أما حجة الإسلام، أبو حامد الغزالى (٤٥٠- ٥٠٥ هـ /١٠٥٨-١١١١م) فهو مع خلع الحاكم المستبد الذى لم يستكمل شروط الإمامة، ومنها الكفاءة والشورى والعدل – إذا أمكن خلعه دون قتال .

ويقول الإمام أنه يجب خلعه إن قُدر على أن يستبدل عنه من هو موصوف بجميع الشروط (شروط الإمامة) – من غير إثارة فتنة ولا تهييج قتال، وإن لم يكن ذلك (الخلع) إلا بتحريك قتال وجبت طاعته وحُكم إمامته(٢).

أهداف الثورة

المعنى الشائع للثورة هو معنى واسع، فهو يغطى أشكالا متعددة لاستخدام القوة ولا تبدو قانونية أو شرعية، ولكن تهدف الثورات فى عمومها

١- د. محمد عمارة. المرجع السابق، ص ص٢٧- ٣١.

٢- الغزالى. إحياء علوم الدين. ص٨٩٣- ٨٩٤.

إلى إحداث التغيير السياسى والإقتصادى والإجتماعى. فهى مجموعة من الأحداث تستخدم فيها القوة بنجاح للإطاحة بحكومة أو نظام سياسى معين.

خصائص الثورة

هناك شبه اتفاق بين العلماء على أن لكل ثورة خصوصيتها التاريخية وعلى ذلك تختلف كل ثورة عن الأخرى باختلاف الزمان والمكان. وتنبع هذه الاختلافات عن الظروف والسياقات التى تحيط بالثورة، وحيث المعلومات المصاحبة لها والنتائج المترتبة عليها. وبالرغم من هذه الخصوصية فى قيام الثورات، إلا أنه تبدو عوامل مشتركة يمكن أن تولد الثورة أيا كانت الظروف المحيطة بها. ومن أهم المحاولات التى تفسر قيام الثورات ما أورده "تيد جور" Ted Gur فى كتابه بعنوان: "لماذا يثور الناس (١٩٧٠).

وافترض جور أن الثورة هى نتاج تلاحم بين الحرمان وتدهور شرعية النظام السياسى. وتمثل الأفكار الثورية كلما زادت رقعة الحرمان، وكلما تقلصت شرعية النظام، وكلما نمت الأفكار الثورية، كلما كانت قدرة الناس على الثورة والتمرد كبيرة.

وتبدو النقاط المشتركة بين الثورات فى الآتى[١]:

١- تنطلق الثورة من مفاهيم وتصورات اقتصادية. والثورة فى المحل الأول هى ظاهرة لها أسباب اقتصادية واضحة. ويبدو أن وجهة نظر ماركس تتمتع بميزة خاصة فى هذا المجال، فالثورة تنجم عن زيادة البؤس وانتشار الفقر.

٢- والثورة ظاهرة سياسية تتعلق أساسا باستبدال القوة السياسية، وينتج عن ذلك إمكانية تفسير التحولات الاجتماعية فى ضوء المعنى السياسى

١- أنظر د. السيد الحسينى. علم الإجتماع السياسى - المفاهيم والقضايا، ص ص ٣٥٥-٣٦٧.

للثورة، إذ بدون التميز السياسى يصعب وصف التغيرات الاقتـصادية والاجتماعية والسيكلوجية بأنها تغيرات ثورية.

٣- والثورة ظاهرة اجتماعية فقد قدم جونسون Johnson تصنيفاً لمختلف الثورات ميّز فيه بين التمرد الفوضوى، والثورة الراديكالية، والإنقلاب الثأرى، والعصيان الجماهيرى المسلح.

٤- تستند الثورة إلى إحساس الفرد بالإغتراب عن المجتمع الذى عاش فيه. ويكشف هذا التحليل عن نزعة سيكلوجية.

وتتصل هذه النقاط الأربع بتقييم السلوك الجماعى المرتبط بالثورة، بما فى ذلك سلوك الزعماء والجماهير والصفوة الحاكمة.

الباب الثانى

تاريخ الفكر الثورى والثورات العالمية

الفصل الرابع : تاريخ الفكر الثورى والثورات العالمية

الفصل الخامس : الثورة الفرنسية - البلشفية- ثورات فى آسيا.

الفصل السادس : الثورات والانقلابات فى الدول العربية.

الفصل الرابع
تاريخ الفكر الثورى والثورات العالمية

تمهيد :

تمتلىء أفكار الفلاسفة والآراء المتعلقة بالتغيرات التى تعترى المجتمعات نتيجة الثورات الشعبية والإنقلابات العسكرية، بينما ساد فى القرن التاسع عشر الثورات الفكرية والإنقلابات السياسية.

فلقد كانت الثورة تعنى عند المفكرين اليونانيين والرومانيين التغير السياسى، الذى بمقتضاه تتحول الحكومة أو مجموعة القواعد إلى شكل جديد مختلف عما هو قائم، وذلك نمط محدد مسبقاً للتتابع والتطور السياسى. فالحياة السياسية أشبه ما تكون بعجلة دائرة، تجلب الحظ والسلطة لبعض الناس، وتفرض الحكم والتبعية على الآخرين. وهذه التغيرات السياسية تسير وفق نظام ثابت لا يتغير ولا يتبدل.

ويعد **أفلاطون** من أوائل الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة التغيرات التى يمكن أن تطرأ على البناء السياسى. إذ اعتقد أن تحول الأنظمة السياسية فى الجمهورية المثالية التى يحكمها الأرستقراطيين، ثم الأوليجاركية (حكم الأقلية)، ثم الديموقراطية (حكم الأغلبية)، ثم الدكتاتورية (حكم الطاغية) تحكمه دورة سياسية تنشأ عن طبيعة الترتيبات والأنظمة السياسية ذاتها، أكثر ما تنشأ عن الإرادة والسلوك الإنسانى.

ويعد **أرسطو** المؤسس الحقيقى لدراسة الثورات إذ قدم فى مؤلف السياسة أول محاولة شاملة لدراسة الثورة. وقَبِل أرسطو فكرة وجود الدولة، ولكن الأفكار الخاطئة تؤدى إلى الإحساس بعدم الرضا، وبالتالى حدوث انقلاب سياسى يعمل على تغيير شكل الدولة وينتج عنه نتائج سياسية، وعلى ذلك فالثورة ظاهرة سياسية .

وتصور بعض فلاسفة الرومان أن التغير فى الشئون الإنسانية يمثل نمط متكرراً، وذلك لأن مقومات الحياة الإنسانية ذاتها مرتكزة على القدر الذى يلعب دورا رئيسياً فى توجيه هذه الحياة. وعلى الرغم من أن البشر عليهم أن يتعلموا قدرهم، لكنهم لا يستطيعون تغييره. وهكذا سادت نظرة تشاؤمية فى الفكر الكلاسيكى حول مصير الإنسانية من هذه التغيرات المحتومة. ومن ثم انعكس هذا الفكر على تأمل الماضى بدلا من المستقبل.

وصاغ المفكرون المتأثرون بالمسيحية الأمل فى الخلاص، وتصوروا أن العصر الذهبى للإنسان هو ذلك العصر الذى يأتى بعد الحياة الدنيا، أى بعد التخلص من المملكة الدنيوية، وانطوى ذلك على رفض للقدرية والتشاؤمية التى سادت على الكتابات الكلاسيكية. فقد انطوى التاريخ على معنى، بداية ونهاية، وهو يرى قصة التقدم نحو هذه النهاية. ويتصل هذا المعنى باعتقاد الإنسان وطموحه فى الحياة بعد الموت أى الحياة الأبدية(١).

الثورة فى انجلترا

عاصر جون لوك الحرب الأهلية بين الملك شارل الأول والبرلمان، ففى عهد شارل قام انقلاب كروموبل، وقد تهيأ هذا الإنقلاب بسبب ما شجر من خلاف بين شارل وبين البرلمان. فالملك يظلم الشعب بدعوى أنه ظل الله فى أرضه، وبمقتضى ذلك يحكم كما يشاء وينكّل الناس. يمتص دماؤهم ويدخل تعديلات على دياناتهم بلا مسبب، أما البرلمان فهو ينكر عليه هذه الدعوى ويطالبه بحق الشعب فى العدالة والتقدير .

وقد اتسعت حدة الخلاف بين الملك والبرلمان، وبان ذلك فى أمرين، هما:

١- د. محمد على محمد. المرجع السابق. ص ص١٦٠- ١٦١.

١- اضطر البرلمان إزاء استمرار تحدى الملك أن يتقدم بعريضة طلب منه فيها أن يكف عن فرض الضرائب ومن سجن الناس دون مبرر .

٢- حاول شارل أن يفرض على الإنجليز البروتستانت نظما مقننة من الكنيسة الكاثوليكية لا عن عقيدة فيكون له العذر، وإنما المحبة ورغبته فى إرضاء زوجته التى كانت تعتنق المذهب الكاثوليكى، وقد عز على الملك أن يعارض أمره فحل البرلمان، وعندما احتاج إلى المال فرض ضرائب جديدة، فدعاه للانعقاد، غير أنه عارضه في فرض الضرائب ووقف صامداء فكان ذلك سببا فى قيام الحرب الأهلية بين الملك ومن معه من النبلاء ورجال الجيش من جهة، وبين البرلمان ومعه آخرون من المواطنين من جهة أخرى .

وبدأت تلك الحرب فى سنة ١٦٤٢، وبرز من خلالها "أوليفر كرومويل" وقاد جيش البرلمان الذى عرف رجاله بالبيوريتانز (المتطهرين) واستغل حماسهم الدينى ضد جيش الملك الذى عرف رجاله بالفرسان، وانتصر كرومويل وسقط شارل أسيراً. وقد اختلف الرأى فى شأن الملك، فقد رغب بعض رجال البرلمان فى عقد الصلح معه وعارض فكرة الصلح فريق آخر.

وقد قرر مجلس العموم البريطانى محاكمة الملك على طغيانه وخيانته وإسرافه فى اضطهاد الشعب. ولما مثل أمام المحكمة كان رأسه مخمورا بالحق الإلهى، فرفض أن تحاكمه المحكمة وأبى أن يدافع عن نفسه تهمتى الخيانة والاضطهاد وقال: "ليس فى الإمكان محاكمة ملك بواسطة رعاياه. فإذا كانت قوانين البلاد تداس بهذه الطريقة، فإن ذلك نهاية العدالة والدستور والحرية. واقنع كرومويل المحكمة بأن من حقها أن تحاكم الملك فحاكمته، وحكمت عليه بالموت. ونفذ الحكم فيه سنة ١٦٤٩.

وأقام كرومويل جمهورية سقطت سنة ١٦٥٨، بعد عامين من وفاته[١].

الثورة الأمريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣م)

وتعرف كذلك بحرب الإستقلال. وهى أول الثورات الكبرى فى التاريخ الحديث، حيث سبقت الثورة الفرنسية بست وعشرين سنة، والروسية بأربعة وستين عاما، والهندية، والعربية بما يزيد عن القرن ونصف القرن .

ولقد كانت الثورة الأمريكية ثورة دستورية، لأن المشكلة الأساسية دارت حول حق حكومة الوطن الأم فى إصدار قوانين تفرض الضرائب وتحدد التجارة، وتجيّش الجيوش للدفاع عن صراع استعمارى، إذ كان النظام السابق للثورة يفرض على المستوطنين أن يتحملوا نصيبا كبيرا من نفقات هذه الكتائب، التى قالت الحكومة بأنها حشدت من أجل الدفاع عن المستوطنين، بينما الحقيقة أنها استخدمت لتنفيذ جباية الضرائب ولحماية من يجبونها .

ولقد توالى وصول المهاجرين وعلى الأخص الإنجليز إلى المستعمرات ونشأ فى المستعمرات مجتمع جديد يرتبط بالولاء للوطن الأم انجلترا، فقد كان سكان المستعمرات يحملون معهم أفكار البريطانيين الأحرار، كما كانت لهم مجالسهم النيابية المنتخبة، التى تصنع القوانين وتفرض الضرائب وتحدد الإعتمادات المالية وتسيطر على الخزائن وعند اندماج المهاجرين الجدد بالوافدين الإنجليز، نتج عن هذا الاندماج الشعب الأمريكى.

ويرجع التذمر فى المستعمرات الأمريكية إلى السياسة الاقتصادية التى اتبعتها انجلترا فقد ضم قانون الملاحة (التجارة) الذى صدر عام ١٦٥١ فقد كانت الصادرات من المستعمرات إلى انجلترا على سفن يملكها الإنجليز،

١- المستشار محمد أحمد رجب. المرجع السابق، ص ص٩٥- ٩٦.

ويتولى تشغيلها انجليز، كما حتمت التشريعات أن يعتاد شحن صادرات المستعمرات إلى القارة الأوربية فى الموانى الإنجليزية. ونظمت استيراد السلع الأوربية إلى المستعمرات بطريقة تعطى أفضلية للمصنوعات الإنجليزية، وفرضت على المستعمرات إمداد البلد الأم بالمواد الخام، وألا تنافسها فى الصناعة. كذلك خرجت انجلترا من حرب السنين السبع مع فرنسا، وهى تعانى من أزمة مالية حادة، نتيجة للنفقات الباهظة التى تكبدتها فيها، فلجأت إلى فرض ضرائب جديدة بلا حساب على سكان المستعمرات، وقد أصر الأمريكيون على عدم دفع الضرائب، إلا لمجالس المستعمرات التشريعية، والتفوا جميعا حول شعار "لا ضرائب بدون تمثيل".

. وقد أثارت قوانين الضرائب التأسيسية الغضب(*)، وانتهز الأمريكيون فى ديسمبر ١٧٧٣ فرصة تفريغ شحنة من شاى شركة الهند الشرقية فى بوسطن، فألقوا بها فى البحر. وقامت الحرب الفعلية بين انجلترا وتلك المستعمرات، ودخل الجنود الإنجليز عام ١٧٧٥ فى مواجهة وقرر البرلمان الإنجليزى ضرب الثوار، ودخل الجنود الإنجليز عام ١٧٧٥ فى مواجهة متمردى المستعمرات، مما أدى إلى ظهور مناخ الحرب فى المستعمرات.

واستهدفت أمريكا من هذه الحرب الحد من غلواء الإنجليز فى فرض الضرائب، والتخفيف من قيود التجارة فجدد الأمريكيون جيشاً لملاقاة الإنجليز، وأقاموا على رأسه جورج واشنطون الذى نصبوه فيما بعد رئيسا لجمهوريتهم. وأقبل الناس على شراء الأسلحة والتدريب. وبدأ الرأى العام يتقبل فكرة الإستقلال عن الوطن الأم. وفى ٤ يوليو ١٧٧٦م قام الكونجرس الأمريكى بإقرار إعلان الاستقلال مقررا المساواة بين الناس .

* ركز على كلمة الغضب، وهى تشبه ما قالته ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بأنها ثورة الغضب.

ولقد كان تحديد شكل وحقوق المواطنين وواجباتهم والروابط التى تربط الولايات المتحدة بالدولة من أهم القضايا التى واجهت الدولة الوحيدة. ولما انتهت الحرب سنة ١٧٨٢ سميت المستعمرات الإنجليزية بالولايات المتحدة الأمريكية، وأصبحت دولة مستقلة لها كيانها الخاص .

وفى مايو ١٧٨٧ اجتمع مندوبون عن الولايات لإقرار دستور البلاد، واختير جورج واشنطن بالإجماع ليكون رئيسا للدولة. ولقد ترأس واشنطن حزبا يؤيد وجود رئيس قوى وحكومة مركزية وفى مقابل ذلك برز توماس جيفرسون، وهو المؤلف الرئيس لوثيقة الاستقلال، وقد ترأس حزبا يفضل منح الولايات قدرا أكبر من السلطة، وقد ساعد دستور الولايات المتحدة على قيام حكومة تتوازن فيها السلطات الثلاث، كما أقام التوازن بين الحكومة الإتحادية وحكومات الولايات.

وقد أكد جيفرسون على مبدأ الحرية والديموقراطية. وهو يعنى خير المجتمع بأكمله وآلية صيانة حقوق الإنسان[١].

المستعمرات فى دول أمريكا اللاتينية - كوبا

وقفت دول أمريكا اللاتينية – لمدة ثلاثة قرون تحت السيطرة الاستعمارية، وشهدت ٥٣٥ انقلابا، وأكثر من ألف حركة تمرد عسكرية خلال ١٥٠ سنة من الاستقلال، إذ نالت دول أمريكا اللاتينية استقلالها السياسى بين ١٨١٠– ١٨٣٠، وانتصرت كوبا لوحدها حتى القرن التاسع عشر لتحصل على استقلالها.

وبذلت الولايات المتحدة جهدا كبيرا للتدخل فى شئون أمريكا اللاتينية، وخططت ومارست ٢٥ انقلابا ناجحا لمصلحتها، وحاولت اغتيال قيادات وطنية، وإسقاط نظم مناهضة لها .

١– السيد أبو داود. الأمة فى مواجهة الإستبداد، ص ص١٧٩– ١٨٤.

ويبلغ عدد سكان دول أمريكا اللاتينية حوالى ٦٠٠ مليون نسمة فى نهاية القرن السالف. ونصف سكانها يصل دخلهم السنوى إلى ١٠٠٠٠دولار. وحوالى ١٧٠ مليون إنسان يعملون على أسوأ الظروف بسبب سوء التغذية، فضلا عن ١٠٠ مليون أمى(*).

وتمتلىء أراضى دول أمريكا اللاتينية بالثروات والموارد الطبيعية وينقسم المزارعون إلى فئتين: فئة الأغلبية الساحقة التى تشكل الفلاحين الصغار، وفئة المالكين الكبار الذين يشكلون ١,٥% من السكان، ويحتكرون أكثر من ٥٠% من الأراضى" (**).

والواقع أن جميع الحركات الثورية فى دول أمريكا اللاتينية كانت تقوم بها فى السنوات الأخيرة قوى من الطبقة المتوسطة. فقد قامت الولايات المتحدة بتقوية تحالفها من الطبقات الرأسمالية والإقطاعية والعسكرية لتشكيل جبهة اجتماعية تحول دون وجود أنظمة مناهضة فى القارة. كما قامت بتحويل منظمات سرية وميليشيات لمواجهة الثوار، أو قتل قادة المعارضة. ففى بنما أقامت الولايات المتحدة مراكز لتدريب الجنود على محاربة الثوار ورجال العصابات، ويلتحقون بعد تخرجهم بجيوشهم الأصلية. وفى البرازيل أسست أمريكا وحدات خاصة فى الجيش البرازيلى، وأقامت معسكرات لتدريب الفلاحين الشبان على أصول مكافحة حرب العصابات[1].

(*) تتشابه ظروف أمريكا اللاتينية مع الظروف التى عاشها المصريون قبل ثورة ١٩٥٢، وثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ من حيث الفقر وانخفاض مستوى المعيشة. كما تتشابه ظروف أمريكا اللاتينية مع ما قبل ثورة ١٩١٩ من حيث استهدافها الحصول على الإستقلال.

** تشبه هذه الظروف لمشكلة التقسيم الطبقى فى مصر فى عهد ما قبل ثورة ١٩٥٢، وكانوا يطلقون عليه مجتمع ال ٠,٥%.

١- عادل الجوهرى. فيدل كاسترو، ص ص١٧- ٥٣.

وقد أرسلت الحكومة الأسبانية عام ١٥٣٩ أسطولا بحريا بقيادة كورتيز إلى كوبا ونهب الأسبان خيرات الشعب الكوبى، خاصة المعادن النفيسة كالذهب. ونشروا جوا من الإرهاب وجعلوا الشعب يحيا فى ظل الجوع والفقر والحرمان. ولكن الشعب الكوبى أبى، وظل يقاوم الإستعمار، ويحقق انتصارات واخفاقات دون أن يستسلم.

ويسجل التاريخ قيام شعب كوبا بالعديد من الثورات حتى قيام ثورة كاسترو. ومن أشهر هذه الثورات انتفاضة ديسمبر ١٨٤٨، حيث خرج أهالى مدينة. مانزانيلو لاستقبال بطل المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الأسبانى (جيروس مينيوز) والتى حملته الجماهير وهى تهتف من أجل الحرية والإستقلال. وتربص الاحتلال بمينيوز، وأطلق الرصاص عليه، وأعلن جوزى مارتى، الثورة على الاستعمار الأسبانى فى أوائل عام ١٨٩٨، ودارت معارك دامية سقط فيها حوالى ١٧ ألف قتيل. وكاد الاحتلال أن يرحل من الأراضى الكوبية. وتحت ضغط الإنتفاضات استجابت الحكومة الجديدة لبعض مطالب الشعب الملحة، وأن ترد بعض الأراضى التى نهبها ضباط وجنود الإحتلال .

وعندما اندلعت الانتفاضات، تظاهرت الولايات المتحدة بأنها تؤيد كفاح الشعب الكوبى من أجل استقلاله وحريته. ولكنها اتخذت هذه الحجة ستارا لتحل محل المستعمرين الأسبان. ولم يكن مبدأ مونرو الذى يقول "أن أمريكا للأمريكيين لا للسيطرة على كوبا. والدول الواقعة فى أمريكا اللاتينية والخاضعة للاستعمار الأسبانى. وقامت السلطات الأمريكية فى كوبا بالضغط على الجمعية التشريعية "البرلمان" وأرغمت أعضاؤه على تعديل الدستور بشكل يحد من سيادة كوبا، ويمنح أمريكا الحق فى بناء قواتها المسلحة فى كوبا من أجل حماية الحرية واستقلال البلاد وادعت أمريكا أن جيشها موجود

فى كوبا بناء على طلبها[١].

وفى عام ١٩٣٤ جاء فيدل كاسترو إلى العاصمة "هافانا"، وانتسب إلى كلية الحقوق، وعندما كانت الحرب العالمية تضع أوزارها، انتخب كاسترو سكرتيرا عاماً لطلاب الجامعة بأغلبية الأصوات. وكان كاستروا عاشقاً للعدالة بارعاً فى مواجهة الظلم .

وفى عام ١٩٤٧ قاد أول مظاهرة ضد نظام الديكتاتور باتيستا، لكن المظاهرة فشلت. وفى عام ١٩٥٠ اندلعت انتفاضة ضارية ضد الديكتاتور باتيستا وشارك فيها ١٠٠ طالب وردت الشرطة بوحشية، واستخدمت الرصاص الحى، مما أسفر عن مصرع وجرح عدد من الطلاب، واعتقال المئات. وقد زاد هذا الحدث من غليان البرلمان الثورى فى أوساط الكوبيين.

وفى عام ١٩٥٢ عقد كاسترو إجتماعاً سرياً، تحديدا لانطلاقه بالثورة الشعبية لتحرير كوبا وتقرر نشر الوعى الثورى فى كل المدن وليس فى هافانا وحدها، وراحت الشرطة تضبط المنشورات، وتلقى القبض على من تضبط، وتضعهم فى السجن مما دفع كاسترو إلى التفكير فى النضال باستخدام الكفاح المسلح .

وفى صباح ٢٦ يوليو ١٩٥٣ قام كاسترو وعدد من رفاقه بالهجوم على قلعة "مونكادا" فى مدينة سالنتياجو، بهدف الحصول على الأسلحة الأمريكية الموجودة داخل القلعة، ولكن فشل الهجوم، وقبض على فيدل كاسترو ورفاقه ووضعوا فى السجن، وتحولت القضية إلى قضية رأى عام، وقامت حملة احتجاجات بهدف الإفراج عن كاسترو وباقى المعتقلين وتحت الضغط أفرجت

١- نفس المرجع. ص ص٣٤- ٣٨.

السلطات عن المعتقلين مع نفيهم إلى المكسيك، والتى التقى فيهـا كاسـترو بصديق له هو أرنستوتش جينارا المثقف الأرجنتينى .

وفى اليوم الموعود من عام ١٩٥٦ أبحر فيدل كاسترو علـى ظهـر مركب، وغادروا المكسيك إلى كوبا، ونجـح الثـوار فـى الوصـول إلـى الشاطىء، ووصلوا إلى أعالى جبال "سيرماستير" واحتلوها وأقاموا مراكـز مراقبة لرصد تحركات جنود الحكومة والتعامـل معهـا، وهـب الـشعب لنصرتهم(١).

وسيطر الرعب على باتيستا الذى انهار أمام ضغط الـشعب الكـوبى، وفى أول ديسمبر ١٩٥٩ هرب الطاغية باتيستا إلى جمهوريـة الـدومينكان. وبعد ثلاثة شهور سافر إلى واشنطن التى منحته قصرا يعيش فيه هو وأولاده نظير ما قدمه لأمريكا من خدمات على حساب شعبه. وحرص كاسترو على الاستعانة بالخبرات الوطنية فى المجالات الاقتصادية، وتسلم الثـوار قيـادة الدولة وأجهزتها الحيوية ومنها الجيش والشرطة، لمنع تسلل أعوان الإستبداد، وأجرى تغييرات اجتماعية واقتصادية، تعمل على رفـع مـستوى معيـشة الشعب، وشكل جيشا جديداً، وجهزه بالأسلحة الحديثة، وشكلت الحكومة عددا من المحاكم الشعبية لتحاكم الخونة وعملاء العهد الماضى. وكانت المحاكمات تجرى بصورة علنية وأمام جماهير الشعب، وتنفذ أحكامها فوراً. وكان أكثرها يقضى بالموت رميا بالرصاص لكل من ثبت خيانته للوطن. كمـا صـادرت الحكومة جميع ممتلكات عملاء الإستعمار وأعطتها للشعب(*).

١- نفس المرجع ، ص ص٥٨- ٦٣.

* حاكم كاسترو الخونة وأعوان الاستعمار بواسطة محاكم شعبية وفى مصر حاكمت ثورة ٢٥ يناير بعض رجال العهد البائد بواسطة المحاكم العادية.

وقد وقعت الثورة فى عدد من السلبيات. فقد سجلت المعارضة الحكومية أن الثوار قد أكلت بعض أبنائها، فالدكتور خوسيه مبروكاردونا الذى كان أستاذ القانون، وكان أحد قيادات المعارضة ضد باتيستا، وكرمته الثورة وعينته رئيس وزراء حكومة الثورة، تعرض للنفى لأنه رفض تحول كوبا إلى الشيوعية، وينطبق نفس الحال على الدكتور مانويل أوروتيا، والذى كان من أشد أنصار كاسترو والثورة، وتم تعيينه أول رئيس جمهورية بعد الثورة. ولما اعترض على الشيوعية وتمت إقالته. وتحديد إقامته، وعلى نفس الطريقة التى تعاملت بها الثورة المصرية ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع الرئيس محمد نجيب الذى تم تحديد إقامته عندما اختلف مع الثورة[١].

١- نفس المرجع، ص ص٦٣- ٨٠ .

الفصل الخامس

الثورة الفرنسية - البلشفية - ثورات فى آسيا

الثورة الفرنسية ١٧٨٩م

ترجع الثورة الفرنسية إلى حركة عقلية نشأت من حركة الاستنارة الحرة فى القرن الثامن عشر. وهى تمثل نجاحا منقطع النظير فى القضاء على حكومة قديمة واستبدالها بحكومة أخرى أكثر رشداً، فقد ثارت الطبقات المحرومة من الإمتيازات ضد الطغيان الإقطاعى، أو توطيد السلطة البورجوازية الرأسمالية الحديثة ضد نظام اقتصادى واجتماعى ظالم.

وترجع الثورة الفرنسية إلى حالة الإفلاس التى كانت عليها خزانة الدولة(*) إذ نشأ عن حرب القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقصور النظام الضريبى، ومجافاته، والإسراف والتدخل فى الثورة الأمريكية دين ضخم عجزت ميزانية الدولة عن سداده.

ولقد بدأ الثوريون يعتقدون أن الثورة قد أصبحت هدفا فى حد ذاته. فقد زاد مفهوم الإرادة العامة، وأصبح أكثر وضوحا، وشكل أساسى لحقوق الإنسان، وانتشرت فكرة مؤداها أن الثورة ما هى إلا خطوة على طريق الكمال الذى يجب أن يسعى إليه الإنسان..

ولقد لعبت الثورة الفرنسية دورا هاما فى القضاء على الكنيسة، وعلى الحكم المطلق، والإقطاع، ومع ذلك بقيت تأثيرات قوة الدين فى السياسة لها فاعليتها فى استخدم الرموز الدينية. ومما استلزم إصدار قرارات قاطعة بإلغائها، فهى تعمل على زرع الانقسامات إزاء المبادئ الوطنية التى تجمع

(*) وهى حالة تشبه حالة شبه الإفلاس التى نتجت من حكم النظام السياسى فى مصر. فقد نهب الحكام والوزارات أموال الدولة.

ولاءات المجتمع كله مهما اختلفت الأديان وتباينت مذاهبها. فكان لابد من تبلور أسس مدنية إزاء النزعات الدينية التى تكون معـولا أساسـياً بأيـدى الأغلبيات إن حكمت، أو بأيدى الأقليات إن وصلت إلى السلطة لتمارس كـل واحدة منها قسوتها الدينية إزاء الأخرى(١) .

واشترك فى هذه الثورة الشعب الفرنسى كله(*)، فقد انضم إليهـا عـدد كبير من صغار رجال الدين، وقليل من النبلاء، واستطاع الشعب أن يـسقط النظام القائم، وتخرج المساجين، وطالب بإصلاحات سياسـية واجتماعيـة، وتحدوا الملك، وأعلنوا أنفسهم جمعية وطنيـة ١٧ يونيـو ١٧٨٩م) وبـدأ السياسيون والقانونيون فى صياغة الدسـتور الفرنـسى، وتحـدد ملامـح الديموقراطية. وقبل الملك ذلك، ولكن أدى طرده لأحـد الإصـلاحيين إلـى هجوم الناس المتحمسين على سجن الباستيل المرعب(**) وهرب المسجونين فى ١٤ يوليو ١٧٨٩، وتخريج المساجين، وكان نتائج هذه الثورة انفجـارا طبيعيا لآلام وشعب مظلوم واستجابة لغضبه على حكامه المستبدين، وأذعن الملك مرة أخرى، وأعاد ذلك الشخص. لكن قيادات الثورة أنـشأت مجلـسا خاصاً عرف بالكومون، لحكم مدينة باريس، ونظم الحرس الوطنى فيما ألغت الجمعية الوطنية فى أغسطس ١٧٨٩ جميع الإمتيازات الإقطاعية.

وفى ٥ أكتوبر سارت الجماهير إلى مقر فرساى، وأجبـرت الأسـرة المالكة والجيش على الإنتقال إلى باريس، وقامت الجمعية الوطنيـة برسـم

١- د. سيار الجميل. فلسفة الحكم - دور الأغلبية ومسألة الأقليـة، نقـلا عـن مجلـة الديموقراطية العدد٤٢، ٢٠١١، ص٩٧.

(*) وهى تتماثل فى ذلك مع ثورة ٢٣ يوليو، فقد قام بها الجيش وأيدها الشعب، وثـورة ٢٥ يناير فقد قام بها الشعب وحماها الجيش.

(**) وتتقارب هذه الصورة مما حدث فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بمصر إذ هجم البلطجية على السجون، وأخرجوا المساجين.

دستور، وكانت مقدمة إعلان حقوق الإنسان. وفر الملك في ٢١ يونيو ١٧٩١، ولكن قبض عليه وأعادوه إلى باريس، وقبل الدستور الجديد. وأصبح الشعار الجديد هو الحرية والإخاء والمساواة. ودفع الملك رأسه ثمنا لأخطائه في ٣١ يناير ١٧٩٣م.

ولقد قامت هذه الثورة في عهد الملك لويس السادس عشر، الذي ولّي الملك في سنة ١٧٧٤ عقب وفاة والده لويس الخامس عشر الذي حكم فرنسا ٥١ عاماً، فاستبد بشعبها أقسى ما يكون الاستبداد، وأفقره غاية ما يكون الفقر، وكان شعاره "فليأت من بعدى الطوفان" وبالفعل جاء الطوفان(*). وكان لويس السادس عشر شابا معتوها مستهزأ مستبداً، زاد حكمه سوءاً وزواجه من مارى أنطوانين شقيقة إمبراطور النمسا التى استطاعت في يسر أن تحكم قبضتها على الملك(**)، الأمر الذى عجل بقيام الثورة .

ومن أبرز العوامل التى ساعدت على وقوع الثورة :

١- استهتار الملك بحقوق الشعب، ونظرته إليهم على أنهم ماشية، فحين تضرع الفلاحون جوعا يسترضونه: القوت ... القوت .. رد عليهم قائلا لقد نبت العيش في الحقول فارعوه.

٢- باعد الملك بينه وبين الشعب، فلم يشعر بآلامه، وكان له صحبة من الوزراء والأشراف ورجال الدين الذين كان لهم مصلحة في ألا يصل

(*) حكم لويس الخامس عشر فرنسا ٥١عاما، وحكم زين العابدين بن على تونس ٢٣ عاما، وحكم حسنى مبارك مصر ٣٠ عاما وعلى ذلك حدثت المقولة التى مؤداها "طول البقاء في الحكم مفسدة للسياسة".

(**) حكمت مارى أنطوانيت قبضتها على لويس السادس عشر، وأحكمت سوزان مبارك قبضتها على مبارك حتى أن مبارك الأب قال لابنه: أنت وأمك أوصلتمونى إلى هذه النهاية المأساوية.

صوت الشعب إلى الملك بشكوى أو حتى بمجرد سماعه، لأنهم كانوا يخشون أن يؤثر ذلك على جشعهم وعلى وضعهم، إذ انحصرت بينهم ملكية ثلاثة أخماس الأرض المزروعة فى فرنسا، لا يدفعون عنها أى نوع من أنواع الضرائب. ولقد حدث ذلك فى مصر فى أواخر عهد مبارك، إذ كان جمال مبارك هو حلقة الاتصال بين الوزراء وبين مبارك الأب، وحتى لا تصل إلى سمع الأب أخبار سيئة .

٣- كانت فرنسا مفككة إلى قطاعات كل منها مستقل بقوانينه ، ولم تجد محاولات التوحيد .

٤- حرص ملوك فرنسا وعلى رأسهم لويس الثالث عشر على التفرقة بين الطبقات الثلاث التى كانت قائمة فى فرنسا، وهى طبقة الأشراف وطبقة رجال الدين، والطبقة الثالثة، التى لاقت الكثير من الجراح قال خطيب طبقة الأشراف لا أخاء بين طبقة الأشراف والطبقة الثالثة .

٥- كانت حالة فرنسا المالية سيئة بسبب الحرب ضد انجلترا، وعلى ذلك استمر الملك وزوجته على إسرافهما وبعثرتهما للمال، وتراكمت الديون، ولقد كان الملك يملك ألفى جواد ومائتى عربة فى الإسطبلات الملكية. واستخدمت الملكة مارى أنطوانيت ٥٠٠ خادم، وكانت ميزانية البلاط أكثر من ميزانية الدولة ١٢مرة .

٦- لعبت الثورة الفكرية دورا هاما فى توجيه الشعب توجيها نضالياً واستقلالياً .

٧- كان غرور الملوك واستهتارهم بمقدرات الشعب أساسه اعتقاد فاسد لا يقبله العقل، فهم يعتقدون أن سلطانهم من لدن الله ألا ساء ما يزعمون. وكثر الجدل حول تلك التقاليد فانهارت، وانهار معها النظام من أساسه[1].

١- المستشار محمد أحمد رجب. المرجع السابق، ص ص١٠٤ - ١٠٧.

وفى الجبهة التشريعية تغلب الثوريون، وأصبح الشعار الجديد هو "الحرية والإخاء والمساواة". لقد كان الملكيون يزعمون أن الملك يحكم بالحق الإلهى، وأن سلطانه مستمر من سلطان الزمان، فليس للرعية حرية من راعيها، أما الثائرون، فكانت مشيئة الشعب عندهم هى قوام الحكم وعلى الملوك أن يطيعوا شعوبهم ويعملوا على رضاها، وإلا فإنهم الخارجون على سلطان الأرض والسماء .

أما بالنسبة للإخاء فقد كانت العقيدة التالية أن الخلاف بين الأبرار والأشرار، أو بين حزب الله وحزب الشيطان، أدى إلى أنه لا هوادة بين الفريقين، وعلى ذلك صدرت الأوامر بنفى كل فرنسى يدين بنحلة غير النحل التى ارتضاها ولاة الأمور. أما دعاة الثورة فقد نادوا بشريعة الآخاء فى الوطن الواحد بلا عداء بين أبناء الوطن الواحد، لأن الوطن أبو الجميع، وكل أتباعه متحابون.

وكانت كذلك المساواة مبدأ خلاف ومجادلات ومناظرات بين المفكرين فقد واجهت الثورة اتجاه مضاد يتبناه الفيلسوف الأيرلندى أيدموند بيرك (١٧٢٩- ١٧٩٧) وكانت فكرة اللامساواة هو الفكرة المحورية لهذا الإتجاه المضاد، وقامت حجة بيرك على أساس أن اللامساواة كامنة فى الدين والأخلاق والملكية كذلك فإن النظام الاجتماعى تتجسد فيه اللامساواة فى النظام الإقطاعى، وهو يستند إلى مبدأين فى الطبيعة البشرية: الطموح الذى يجعل الإنسان لديه رغبة فى أن يكون قائدا للآخرين، والمحاكاة التى تجعل الآخرين لديهم رغبة فى أن يكونوا تابعين. وهكذا يفضى هذان المبدآن إلى اللامساواة.

وترجع فكرة اللامساواة إلى رفض بيرك للديمقراطية، ورفض معها الثورة الفرنسية، بل رفض أن يتأثر بها الشعب الفرنسى، وأعلن بيرك رأيه

المضاد للثورة فى كتابه "تأملات فى الثورة (١٧٩٠) وفيه قال أن الحريات من ثمار الوراثة تنتقل من الأجداد إلى الأحفاد من غير حاجة إلى ردها إلى ما يسمى بحق عام، أو بحق مسبق، وأن الإنسان لن يتطلع إلى المستقبل إن لم يلق نظره إلى الوراء - إلى الأجداد. ومن ثم فإن الوراثة - عنده - هى مبدأ المحافظة، كما أنها مبدأ الاتصال بين الأجيال. ومن هنا فإن بيرك كان ضد التعليم المدنى الذى يستند إلى مبدأ الاحتياجات الفيزيقية للبشر، وإلى تأسيس الذات المستنيرة التى فى إمكانها أن تجمع بين المنفعة الذاتية والمنفعة العامة. وهذا من رأى بيرك ليس إلا ضربا من الإلحاد[1].

الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧

. تعد الثورة البلشفية فى روسيا القيصرية هى التطبيق العملى لأفكار "كارل ماركس" وزميله "فريدريك انجلز" التى وردت فى كتابه "رأس المال" وقد نجحت أفكار الثورة نتيجة الظلم الاجتماعى والتفاوت الطبقى الكبير، ومعاناة قطاعات متزايدة من الجماهير. ومع قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ودخول الإمبراطورية القيصرية فى روسيا إلى الحرب مما ترك أثرا سلبياً على المواطنين لا سيما العمال، بدأت أفكار كارل ماركس تتسرب وتتحول تدريجيا إلى ثورة منظمة رأسها اثنان من المناهضين للحكم العنصرى وهما: فلاديمير أوليانوف المعروف باسم لينين وهو زعيم الثورة والذى كان مبعدا فى ألمانيا، وجوزيف فيسر افيتش المعروف باسم ستالين.

وتحت تأثير الضغط هرب الإثنان من الجحيم الروسى إلى ألمانيا، واستعانا فى الهرب بالأسماء المستعارة "لينين" واستالين ليستغلا تضجر الشعب الروسى بأكمله من الجرب العالمية التى كلفت الروس كثيرا دون

1 -E. Burke, Reflection on the Revolution in France, P. P. 119 – 120.

مصلحة يراها الشعب داعية لتلك الحرب. وبدأت المعونات تتدفق من الحكومة الألمانية، ودعمت الحكومة الألمانية الثورة لصالح الثوار، وتدخل جهاز المخابرات الألمانية بكل ثقله ليساعد الثوار .

وبالتدريج انهار النظام الروسى القيصرى أمام الجموع الهادرة، وتم الإعداد بعودة لينين واستالين إلى روسيا بقطار ينقلهما من ألمانيا إلى وطنيما، وقد علمت المخابرات البريطانية بأمر عملية القطار الحديدى، وأيقنت أن حليفتها روسيا القيصرية بصدد الخروج المحتم من الحرب لوصول الثوار إلى السلطة. وقد استعانت المخابرات البريطانية بالكاتب والمفكر البريطانى، سومرست موم، فسافر إلى ألمانيا، وجلب كل المعلومات الخاصة بعملية القطار الحديدى، وتبين للبريطانيين أن عملية القطار الحديدى اكتملت تماما وتنتظر التنفيذ .

وعاد القادة لينين وستالين إلى روسيا لتنفجر الثورة البلشفية ويستولى الشيوعيون على السلطة ويتأسس الإتحاد السوفييتى على ثورة حمراء قضت على كل رموز الحكم القيصرى. واندلعت الثورة البلشفية أو ثورة اكتوبر ١٩١٧، وأقيمت دولة شيوعية وتسقط القيصرية. وعلى يد الثوار تم التخلص من القيصر وتم إعدام جميع أفراد الأسرة الملكية رميا بالرصاص، وتم نقلهم إلى مقابر جماعية، وتضمنت التصفيات الأطفال والنساء .

وعاد لينين إلى بتروجراد فى أكتوبر ١٩١٧، ودعا الهيئة المركزية للحزب إلى إعلان الثورة. وكانت حكومة كيرينسكى ضعيفة، وكان ليون تروتسكى أحد القادة البارزين فى الحزب. يحظى بولاء مجموعات كبيرة من الجنود، وأعلنت بعض فرق البحرية تأييد الثورة. وهنا قرر البلاشفة التحرك. وسقطت بتروجراد فى أيديهم دون مقاومة (نوفمبر ١٩١٧) وفى موسكو كانت المقاومة أشد، إلا أن البلاشفة سيطروا على المدينة فى أقل من أسبوع.

وهكذا صارت كل روسيا تحت سلطتهم واستطاعوا اكتساب ثقة الأهالى بالشعار الذى رفعوه، الخبز والسلام والأرض للجميع، وقد بدأ العمل على إلغاء الملكية الخاصة بالأراضى وألحقتها بممتلكات الدولة، ليتم فيما بعد توزيعها على الفلاحين .

ثورات فى آسيا

هناك ثورات سلمية حدثت في آسيا، ويتمثل ذلك في المهاتما غاندى. فقد تصدى بالسبل السلمية للتمييز العنصرى ضد الهنود فى جنوب أفريقيا عام ١٩٠٦، ثم انتقل بتجربته النضالية السلمية فى عام ١٩١٥ إلى وطنه الهند ليواجه الإستعمار البريطانى وأذنابه.

وأغلب الثورات تقوم على العنف والحرب. ففى سنة ١٩٤٦ قامت الحرب الأهلية فى الصين بين القوات الشعبية (الشيوعية) بقيادة "ماوتسى تونج"، وبين قوات الحكومة الوطنية بقيادة "شيانج كاى شيك" واستطاعت القوات الشعبية فى حرب عارمة أن تقضى على قوات الحكومة، فقد حاربتها فى الريف، وحاصرتها فى المدن حتى استطاعت فى سنة ١٩٤٩ أن تطرد فلولها إلى جزيرة فرموزا، ومن ذلك التاريخ قامت جمهورية الصين الشعبية، وقامت فى فرموزا جمهورية الصين الوطنية، الأولى برئاسة "ماوتسى تونج" والثانية برئاسة "كاى شيك" ووضع "ماوتسى تونج" شعار الدولة الجديدة، وهى القومية، والديموقراطية، والإشتراكية.

إذن ليس بالضرورى أن تكون كل حركة شعبية تتسم بالعنف، مثل الثورة التى حدثت فى إيران عام ١٩٧٩، فهناك نماذج ايجابية، مثل حركة "قوة الشعب" التى أسقطت نظام الرئيس الفلبينى فرديناند ماركوس ١٩٨٦، وسقوط حائط برلين عام ١٩٨٩، والمظاهرات الحاشدة فى براغ عام

١٩٨٩، والإحاطة بالرئيس الديكتاتورى سوهارتو فى أندونيسيا عام ١٩٩٨، الذى يتذكره الرئيس الأمريكى باراك أوباما منذ أيام طفولته .

وقد تحدث أوباما عن نشطاء حقوق الإنسان فى الخارج، ويتذكر معها شكل الحياة فى دولة ديكتاتورية يسودها الخوف والتوتر رغم الأوقات التــى تبدو هادئة. فقد أقر الطالب الأندونيسى المــسلم (لولوســوتيرى) – زوج أم أوباما أنه رأى شخصا يقتل أمه لأنه ضعيف. والدرس الذى تعلمه أوباما من الثورة الأندونسية هو أنه حين ترتخى قبضة الحكم الاستبدادى، فإنه لا يمكنها أن تشتد مرة أخرى. وبمرور الوقت يمكن للتنفيس الذى يحدث أن يؤدى إلى حكم أفضل ونمو اقتصادى[1].

١- جريدة الشرق الأوسط . العدد ١١٧٥ ، ربيع الأول ١٤٣٢ هـ – ٧ فبراير ٢٠١١.

الفصل السادس
الثورات والانقلابات فى الدول العربية

بالرغم من انتشار نظام الأسر والعائلات فى الدول العربية، إلا أن هذا النظام الوراثى لم يمنع من حدوث العنف والانقلابات. فقد وفرت البيئة العربية الأجواء المناسبة لنمو ظاهرة الانقلابات، حيث يصبح الانقلاب على السلطة ممكنا، بل سهلا إذا لم تخدم الأنظمة القائمة الحريات، وعندما تبتعد عن الحكم الديموقراطى. وتزوّر الانتخابات، أو عندما لا تلجأ إليها من الأساس، أو عندما تمنع قيام الأحزاب السياسية وتكتفى بحزب واحد هو حزب السلطة، حيث يتحول هذا الحزب بسبب انفراده بالحكم إلى حزب متهالك متآكل تنخره الإنتهازية والإمتيازات غير المشروعة. وأحيانا تغشاه التناقضات، وأغلبها بسبب اختلاف المصالح، وتستسهل السلطة فيه سياسة القمع، وتكميم الأفواه، ومنع تأسيس الصحافة الحرة وإلغاء الرقابة على الحكومة ومؤسسات الدولة.

فقد حدث انقلاب فى الأردن عام ١٩٢٥، عندما أعفى الملك طلال من منصبه، وفى عُمان عند عزل السلطان قابوس أباه سعيد عام ١٩٧٠، وفى قطر عندما نزل الشيخ خليفة بن حمد بسلطة وابن عمه الشيخ احمد بن على عام ١٩٧٢، وفى عام ١٩٩٥ عندما عزل الشيخ حمد بن خليفة أباه .

ثورة العراق

حصلت بريطانيا بموافقة مؤتمر (سان ريمو) على قرار بوضع العراق تحت الانتداب البريطانى فى سنة ١٩٢٠ وأيدت عصبة الأمم هذا الانتداب. وفى ظل هذا الإنتداب قاسى الشعب العراقى الأمرين، فثابر ابتداء من ثورة سنة ١٩٣٣، ولم يوفق، ثم قام بثورة أخرى. وكانت أهم هذه الثورات ثورة

رشيد عالى الكيلانى عام ١٩٤١، ثم ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٢، ثم ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨، إذ قاد عبد الكريم قاسم انقلابا عسكريا عجل بسقوط الملكية، بعد أن قتل الملك فيصل الثاني، وخاله الوصي عبد الإله، وأزالوا من الوجود الطاغية نورى السعيد، وبذلك سقطت الملكية ، وأعلنت الجمهورية .

ووصل عبد الكريم قاسم إلى منصب رئيس الجمهورية، فاستأثر السلطة وشدد قبضته على الشعب، وأخذ ينكل بالثوار الأحرار، ولم يستثن من ذلك أخلص أصدقائه، عبد السلام عارف، زميله فى الجهاد ورفيق صباه، فقدمه إلى محاكمة صورية وحكم عليه بالإعدام، ثم استبدله بالسجن المؤبد حتى الموت. لكن حزب البعث قاد انقلابا عسكريا على عبد الكريم قاسم فى السادس من أكتوبر، إلا انه أجبر على الاستقالة ليخلفه صدام حسين. وفى السابع من أكتوبر ١٩٥٩، وبسبب الانفعال سحب صدام مدفعه الرشاش من تحت معطفه وفتح النار على سيارة قاسم قبل الوقت المقرر، وقبل أن يتمكن الآخرون من فتح النار، تمكن حراس قاسم من مواجهة الموقف، وقتل سائق سيارة عبد الكريم قاسم الذى أصيب فى ذراعه وكتفه. كما قتل أحد أفراد مجموعة الإغتيال، وأصيب صدام فى ساقه على يد أحد زملائه. وتمكن أعضاء فريق الاغتيال من الفرار إلى أحد مخابئ الحزب فى العاصمة بغداد. أما عبد الكريم قاسم فقد نقل إلى المستشفى وأجرى له العلاج اللازم.

وقد تم مداهمة المبنى الذى لجأ إليه فريق الإغتيال، إلا أن صدام حسين استطاع الهرب إلى سوريا، ثم انتقل إلى القاهرة، والتحق بجامعة القاهرة لدراسة القانون.

وبهذا الانقلاب العسكرى أصبح عبد السلام عارف الذى لم يكن بعثيا رئيسا للعراق. وفى ١٧ يوليو ١٩٦٠ قاد حزب البعث بالتنسيق مع عناصر

غير بعثية انقلابا ناجحاً بقيادة أحمد حسن البكر رئيسا للعراق. وقد حاول البكر التوفيق بين الأجنحة المتنافسة لحزب البعث. وقد ساند صدام البكر، وعمل حارسا شخصيا له، ونصب صدام رئيسا لحزب البعث الحاكم: وهو ما تمكن معه فى نهاية عام ١٩٧٠ من أن يحتكر السلطة فعليا فى العراق تمهيدا لاستيلاءه عليها فى يوليو ١٩٧٩ حيث اضطر البكر إلى الاستقالة. وكان السبب المعلن للاستقالة العجز عن أداء المهام الرئاسية لأسباب صحية، وسلمت كل مناصبه لصدام حسين، والذى أعلن نفسه رئيسا للجمهورية، ورئيساً لمجلس قيادة الثورة، وقائداً عاما للقوات المسلحة[١] .

الثورات والإنقلابات فى سوريا

قاد العقيد حسنى الزعيم، انقلابا فى سوريا فى ٣٠ مارس ١٩٤٩، والذى مازالت آثاره قائمة فى نفوس قطاعات واسعة من الجماهير عسكريين ومدنيين حينما تغلق السبل فى وجوههم من أجل التغيير والإصلاح. وتوالت بعد ذلك الإنقلابات، ففى عام ١٩٤٩ حدثت ثلاث انقلابات عسكرية فى سوريا وحدها، وخلال الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٨٦ وقعت ٣٤ انقلابا عسكريا فى العالم العربى وفى سوريا وحدها وقعت ٥٠ محاولة انقلاب من بينها ٩ انقلابات ناجحة .

ومن أشهر انقلابات سورية انقلاب العقيد الزعيم، وانقلاب أديب الشيشكلى فى ١٩يناير ١٩٤٩، وانقلاب ضد أديب الشيشكلى، فى ٢٥ يناير ١٩٤٩، وانقلاب سامى الحناوى فى ١٤أغسطس ١٩٤٩.

وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٥ وقعت الدولتان مصر وسوريا ميثاق الدفاع المشترك. وفى يوليو ١٩٥٦ أعلنت سوريا رغبتها فى إقامة اتحاد فيدرالى مع مصر تمهيدا للوحدة الشاملة، وكانت تركيا تقف موقف العداء من سوريا،

١- محمود عبده. صدام حسين. مرحلة النهاية أم الخلود، ص ص١٣- ٢٢.

وأخذت تحشد قواتها على حدود سوريا، وتتحرش بها، وتهدد استقلالها. لهذا دعت سوريا قوات مصرية عسكرية بأرضها تنفيذا لميثاق أكتوبر ١٩٥٥، ونزلت هذه القوات بسوريا فى أكتوبر ١٩٥٧ .

وفى ٢١ فبراير ١٩٥٨ أجرى استفتاء على الوحدة وعلى انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة. فى الإقليمين المصرى والسورى، وأجمع النواب على الوحدة وعلى انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً. وقامت الجمهورية العربية المتحدة فور إعلانها بالعمل على رفاهية الشعب السورى، ووضعت خطة لمضاعفة الدخل القومى، ونقلت ملكية المصارف وشركات الاحتكار إلى الدولة وخصصتها لصالح الشعب وذلك من أجل تحقيق تذويب الفوارق بين الطبقات، وصدر قانون الإصلاح الزراعى الذى حول الفلاح إلى مالك، وتم توزيع ٥٦١١٣٣ هكتارا من الأراضى الزراعية على الفلاحين المعدمين بل خصصت الدولة ربع أرباح الشركات السورية للعمال والموظفين العاملين بها.

وفى صباح ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ قام فريق من الضباط السوريين باحتلال مبنى الإذاعة والتليفزيون فى دمشق، وأعلنوا حدوث انقلاب انفصالى فى سوريا، ولاقى الوحدويون صنوف العذاب المختلفة .

ثم حدث انقلاب فى سوريا فى ٢٨ مارس عام ١٩٦٢، حيث بدلت حكومة بأخرى. وفى ٨ مارس ١٩٦٣ حدث انقلاب جاءت بموجبه حكومة ضمت حزب البعث والناصريين، وأعلن القائمون به أن هدفهم القضاء على الدعوة الإنفصالية، والعمل على عودة سوريا إلى الركب العربى. ثم قام انقلاب آخر فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦، وفى سبتمبر ١٩٦٦ قام سليم حاطوم بمحاولة انقلاب فاشلة .

الثورات والانقلابات فى اليمن

قام عبد الله بن أحمد الوزير، وهو من الأشراف الهاشميين بثورة مسلحة على أسرة الأئمة الزيديين عام ١٩٤٨، وتولى الحكم. لكن أسرة الإمام استاءت الحكم بعد فترة لم تتجاوز الأسابيع الثلاثة. وفى عام ١٩٥٥ استولى على العرش عبد الله بن يحيى شقيق الإمام أحمد. لكنه استعاد العرش بعد خمسة عشر يوما. وتعرض الأمام أحمد لمحاولة اغتيال عام ١٩٦١، ونجا منها – لكنه أصيب إصابات بالغة توفى على أثرها عام ١٩٦٢ .

وفى ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ خلفه ابنه سيف الإسلام البدر الذى سمى نفسه محمد البدر وسار على نهج سلفيه الأمام يحيى والأمام أحمد، فقد ساد الظلم والاستغلال والمصلحة الشخصية، والاحتكار، وكتم أنفاس الشعب وتجويعه والحد من النشاط، والقتل لأتفه الأسباب، فقد قتل الأمام يحيى ولدين من أولاده وفريق من وزرائه وأهل الرأى فى بلاده، بسبب أنانيته وتوجس الخيفة دائما على ملكه .

وقد أطاح بمحمد انقلاب عسكرى بقيادة عبد الله السلال الذى أعلن الجمهورية، وفرّ الإمام المخلوع لاجئا على بعض القبائل على حدود اليمن، ثم إلى السعودية حيث رفضت تلك القبائل استمرار إيوائه. وعزل السلال بالقوة عام ١٩٦٣، كما عزل خلفه عبد الرحمن الايريانى عام ١٩٧٤. أما الرئيس على عبد الله صالح، فقد حكم اليمن منذ الإنقلاب الذى قاده أول يوليو ١٩٧٨، وظل فى الحكم إلى عام ٢٠١١ حيث قامت ثورة ضده ما زالت مستمرة حتى كتابة هذه السطور ، وانتهى الأمر بتخليه عن السلطة.

وفى سلطنة عمان عزل السلطان سعيد والده تيمور عام ١٩٣٢، وظل يحكم حتى عزل عام ١٩٧٠ عندما عزله ابنه قابوس الذى يحكم عُمان حتى اليوم.

ثورة السودان

وقعت مصر وبريطانيا على اتفاق الحكم الذاتى وتقرير ا لمصير فى ١٢ فبراير ١٩٥٣. وفى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٥٥ اجتمع البرلمانى السودانى وقرر إجراء استفتاء مباشر فى تقرير المصير، واختار الشعب السودانى الاستقلال، وتم تسليم السلطة إلى السودانيين فى أول يناير ١٩٥٦ وانضم السودان إلى شقيقاته الدول العربية عضوا فى الجامعة .

وخضع السودان لنظام حكم مدنى برئاسة اسماعيل الأزهرى، ورئيسا للوزراء وكان هذا الأخير إنجليزيا أكثر من الإنجليز. فحكم الشعب بقسوة وتنكيل، وألغى الدستور، وحل الأحزاب وفض البرلمان .

وفى صباح ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ وقع انقلاب فى السودان، وقام الجيش برئاسة الفريق / إبراهيم عبود بإسقاط حكومة عبدالله خليل، وأذاع الجيش على الشعب السودانى أن الجيش أخذ على عاتقه حماية الأمن والسلام فى البلاد، لأن الفساد الذى عم البلاد يرجع إلى السياسة العامة التى أفسدت كل أدوات الحكم، ولم يتورع أى حزب من الأحزاب عن استعمال أحقر الأساليب، وشمل ذلك الاستعانة بالأجانب .

وقد وعد الفريق إبراهيم عبود بعلاقات أفضل بين السودان وجمهورية مصر العربية، والالتزام بتعهدات السودان إزاء الجامعة العربية، وبدأ عبود يصلح ما أفسده الإنجليز، ووقع عدة اتفاقيات تبرز فيها اتفاقيات مياه النيل، وتعيين الحدود.

وقد قامت سلسلة من الإضطرابات والمظاهرات أجبرت عبود على التنازل عن السلطة. وتولى السلطة الصادق المهدى (حزب الأمة) رئاسة السودان ولكن فى ١٩٦٩/٥/١٩ أطاح انقلاب بقيادة جعفر نميرى بالحكم المدنى وأقام حكما عسكريا حتى عام ١٩٥٨، حيث أطاح به عصيان مدنى

بقيادة الجنرال عبد الرحمن سوار الذهب، فيقوم بعزل نميرى، ويقيم حكما انتقاليا برئاسته لمدة سنة واحدة وفى عام ١٩٨٩ أطاح انقلاب عسكرى بقيادة عمر البشير بحكومة الصادق المهدى .

وفى ٢٩ ابريل ٢٠٠١ أعلنت وزارة الداخلية السودانية أنها أحبطت محاولة انقلاب قام بها حسن الترابى، كما أحبطت محاولة أخرى قام بها الترابى فى ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٤ م .

ثورة الجزائر

جاء أحمد بن بيلا إلى القاهرة وانضم إلى قواة الثوار الجزائريين فى سنة ١٩٥٠، ولكن حكومات ما قبل الثورة لم تقدم إليهم أدنى مساعدة. ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ طلب أحمد بن بيلا المساعدة، فلم يتأخر الضباط الأحرار عن تقديمها، حتى استقلت الجزائر بعد مائة وثلاثين عاما من الاحتلال وحرب الإبادة والاستغلال والاستعباد وباندلاع ثورة الجزائر فى ديسمبر ١٩٥٤ توالت السفن التى حملت السلاح من مصر إلى ليبيا ثم إلى الجزائر .

وكان احتلال الفرنسيين للجزائر نوعا من أنواع الخسة البشرية، فقد أسرفت فرنسا فى حروبها واشتدت حاجتها إلى المال، فلم تجد سوى الجزائر ولما أرادت الجزائر أن تسترد أموالها وطلبتها من فرنسا، اعتبرت فرنسا ذلك إهانة لها، وألقى شارل ملك فرنسا فى ٢ مارس ١٨٣٠ خطاب العرش، وفيه هدد الجزائر وتوعدها .

ولم تنسى مصر موقف الجزائر منها، فقد أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا بمجرد أن رأت نابليون بونابرت يقود حملة لغزو الأراضى المصرية. ولن تنسى مصر أيضا أن الجزائر كانت الدولة العربية الإسلامية الوحيدة

التى سارعت لنجدة الأسطولين التركى والمصرى فى سنة ١٨٢٧ حين تحرشت بها أساطيل الحلفاء الثلاثة. الإنجليزى والفرنسى والروسى، حتى كانت موقعة نافارين، وشاء سوء الحظ أن تهزم الأساطيل الثلاثة: التركى والمصرى والجزائرى وبذلك فقدت الجزائر أسطولها، مما شجع فرنسا على غزو الأراضى الجزائرية بعد ذلك بثلاث سنوات واحتلالها لمدة ١٣٠ سنة .

وفى عهد الاحتلال عاملت فرنسا الجزائريين معاملة العبيد وأخذت أراضيهم الزراعية الخصبة وفضلت عليهم المستوطنين الفرنسيين، واستأثرت باقتصاد البلاد. وعاش الشعب الجزائرى عيشة لا يكاد يجد فيها قوت يومه؛ فيعمل فى أشق المهن كفلاحة أرض فرنسية، أو العمل فى منجم فرنسى، أو أتفه المهن كحمل الأمتعة والحراسة .

وجعل الفرنسيون اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية فى البلاد، واللغة العربية حكمها حكم باقى اللغات الأجنبية الأخرى، كما جعلوا أساس التعليم، الثقافة الفرنسية.

وفى سنة ١٩٤٣ أخذ جهاد الجزائريين طابعا رسميا، وتأسست جبهة "أصدقاء البيان" التى استهدفت رفض التجنس بالجنسية الفرنسية، والدعوة إلى استقلال الجزائر عن فرنسا. وأخذ الجهاد يشتد وساعدت مصر الجزائر بالخبرة والمال والرجال والعتاد، بالإضافة إلى التأثير المعنوى بوسائل الإعلام والدعاية فى المحافل الدولية والمؤتمرات. وقام الجزائريون بالعمل الأكبر وقدموا مليون شهيد. واستطاعوا أن يحصلوا على استقلالهم.

وجاء فرحات عباس إلى الحكم سنة ١٩٦٢ بعد انقلاب عسكرى، ثم جاء أحمد بن بيلا بانقلاب آخر عام ١٩٦٣، ووجه بن بيلا العمل على الفور لإحلال الثقافة العربية محل الثقافة الفرنسية. وعمل بن بلا على تعليم اللغة

العربية واتخذ سياسة ديموقراطية اشتراكية. بقصد تحقيق العدالة الاجتماعية، وتذويب الفوارق بين الطبقات، فقام بتأميم كثير من الصناعات والمرافق، واستولت الحكومة الجزائرية على الأراضى التى يسكنها المستوطنون الفرنسيون وآثروا العودة إلى فرنسا، وبلغت مساحة الأرض ١,٢٠٠,٣٠٠ هكتار، وبدأت زراعتها واستغلالها بواسطة لجان من الفلاحين والعمال باسم الشعب ولصالحه، واستولت الحكومة على الأملاك الأخرى التى شغرت برحيل الفرنسيين، من مصانع ومطاعم وفنادق ومساكن.

وفى ١٩ يونيو ١٩٦٥ تزعم قائد جيش التحرير هوارى بومدين انقلابا عسكريا أطاح بأحمد بن بيلا[١].

وفى الجمعة ٧ يناير ٢٠١١ اتسع نطاق المصادمات بين المحتجين على غلاء المعيشة وقوات الأمن، لتمتد إلى عدد من المدن الجزائرية ولتتحول إلى أعمال عنف استخدم فيها عشرات المحتجين السيوف، وواجهتم قوات الأمن بالهراوات وقنابل الغاز وخلفت المواجهات حتى ذاك اليوم ١٨ مصابا من رجال الشرطة و٨٢ من المواطنين، واعتقل العشرات[٢].

وقام المحتجون بمهاجمة مقر الشرطة الخامس بباب الوادى فى الجزائر العاصمة، كما أحرق متظاهرون ثلاث سيارات شرطة من نوع مرسيدس، واقتحموا أحد مراكز الأمن، وقطعوا الطرق الرئيسية، كما حملوا قضبانا حديدية ورشقوا الشرطة بالحجارة خلال الإشتباكات .

ولقد انتقلت رياح التغيير سريعا من ثورة ٢٥ يناير فى مصر إلى الجزائر فقد خرج السبت ٢٠١١/٢/١٢ آلاف المتظاهرين مطالبين بإسقاط

١- انظر: محمد أحمد رجب. المرجع السابق، ص ص١٥٦- ١٦٢.

٢- الشروق الجديد، العدد ٧٠٧، بتاريخ السبت ٢٠١١/١/٨، ص١١.

النظام، ودعت الحكومة إلى موقع التواصل الاجتماعى، فيس بوك، وأطلق الرئيس فيما بين ٢٥ و ٣٠ ألفا من قوات الأمن ومكافحة الشغب وأنصاره على المتظاهرين فى محاولة لتفادى اتساع رقعة الإحتجاجات التى قد تؤدى إلى انهيار النظام. وأغلقت مداخل المدينة لمنع خروج أكبر مسيرة فى تاريخ البلاد. وقد صدرت تعليمات للبلطجية من النظام، بعدم وصول عشرات الشبان إلى ساحة الوئام المدنى، حاملين صورا لبوتفليقة، مرددين شعار بوتفليقة ليس حسنى مبارك".

وقد صدر بيان من وزارة الداخلية يدعو فيه المواطنين إلى عدم التجاوب مع الدعوة للتظاهر، محذرة من أن جميع المسيرات فى الساحة ممنوعة، ومؤكدة أن كل تجمهر بالشارع يعتبر إخلالا بالنظام العام. ومع ذلك فقد اقتحم ٢٠٠٠ متظاهر الطوق الأمنى الذى فرضته السلطات الأمنية فى ساحة الأول من مايو وسط العاصمة، إلا أن الشرطة سرعان ما تمكنت من وقف تقدمهم، بعد أن عززت من تواجدها وقامت بإغلاق مداخل العاصمة لمنع وصول محتجين من المدن المجاورة. وقبل انطلاق المسيرة وقعت مصادمات بين مئات المتظاهرين وقوات الأمن التى اعتقلت مئات منهم.

وكان المتظاهرون يهتفون "الجزائر حرة" و "ليرحل النظام"، وتوقفت حركة القطارات والحافلات فى العاصمة وضواحيها لتفادى وصول مشاركين بالمظاهرات. وكانت الشرطة قد منعت مسيرة مساء اليوم السابق بالعاصمة ابتهاجا بنجاح الثورة المصرية، كما منعت الاحتفال بسقوط مبارك أمام السفارة المصرية[١].

١- المصرى اليوم، العدد ٢٤٣٦ فى الأحد ٢٠١١/٢/١٣، ص١١.

الثورة الليبية

قام العقيد القذافى فى ليبيا فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩بانقلاب أبيض ضد الملك محمد إدريس السنوسى، وألغى الملكية والدستور وأعلن الجمهورية، وحكم البلاد بمجلس قيادة الثورة بعد أن حل المجالس الاقليمية.

وبداية من ١٧ فبراير ٢٠١١ شهدت عدد من المدن الليبية احتجاجات طالبت برحيل الرئيس معمر القذافى، وهى لم تكن مجرد تقليد لأحداث الثورتين التونسية والمصرية بقدر ما كانت تعبيرا عن سلسلة من الأزمات. فبعد أن استولى القذافى على السلطة اتبع نظام الديموقراطية المباشرة، والذى شرحه القذافى فى كتابه عرف "بالكتاب الأخضر" ١٩٧٦، وفيه يستند النظام على حكم الجماهير الشعبية المباشر، وأطلق عليه القذافى النظام الجماهيرى .

وتعتبر الوحدة الأساسية فى هذا النظام هى المؤتمرات الشعبية الأساسية، حيث تعقد المؤتمرات فى كل حى سكنى أو قرية ثلاثة مرات فى العام . وينتخب أعضاء المؤتمر بالاقتراع لفترة ثلاث سنوات .

وقد بذلت محاولات لوضع دستور للدولة وانتهت إلى وضع مسودة عام ٢٠٠٥ وفى عام ٢٠٠٨ قامت لجنة عليا تشكلت من قبل الحكومة الليبية وتحت إشراف المحكمة العليا بتهذيب تلك المسودة ومراجعتها من الناحية القانونية. ومازال الدستور رهين أدراج أمانة مؤتمر الشعب العام .

ويسطر الرئيس وأبناءه على الاقتصاد وعوائد النفط، حيث يقدر إجمالى مبيعات النفط سنويا فى ليبيا التى تمثل المرتبة رقم ١٢ بين مصدرى النفط فى العالم بنحو ٣ تريليونات دولار يخصص للإنفاق الحكومى جزء صغير منها، فى حين يحصل القذافى وأبناؤه على ما يقرب من نصف هذه الأموال.

وقد استمر حكم القذافى لأكثر من أربعين عاما أفـرزت خـلال عـام ٢٠١٠ عن الأزمات الآتية : -

١- أزمة البطالة .
٢- أزمة الإسكان .
٣- أزمة زيادة أسعار الخبز .
٤- مناهضة اللجان الثورية .

ولقد سادت حرب طاحنة منذ الأيام الأولى للاحتجاجات بـين الثـوار والكتائب العسكرية الموالية للقذافى. ونجح الثوار فى الاستيلاء على المـدن الموجودة فى المنطقة الشرقية، وساعد على انتصار الثوار انـضمام بعـض كتائب القذافى إلى الثوار، إلا أن اختلال الميزان العسكرى بـين الجـانبين مكن قوات القذافى من استعادة بعض المدن .

وقام الثوار بتكوين مجلس وطنى انتقالى فى بنغازى يرأسه وزير العدل السابق/ مصطفى عبد الجليل، الذى أعلن أن هذا المجلس هو الممثل الشرعى الوحيد للشعب الليبى، وأن هذا المجلس يستمد شرعيته من المجالس المحليـة التى شكلها ثوار ١٧فبراير لتسيير الأمور فى المدن والقرى المحـررة مـن نظام القذافى. ويتكون المجلس من واحد وثلاثين عضوا يمثلون مختلف مدن ليبيا. وقد فوض المجلس كل سفراء ليبيا الذين استقالوا وممثليها فـى الأمـم المتحدة والجامعة العربية لتمثيل المجلس الإنتقالى فى الخارج[1] .

ولقد استمرت الحرب بين الثوار وكتائب القذافى، وانتهت بقتل القذافى.

١- انظر. أميره محمد عبد الحليم - ليبيا - قراءة فى تفاعلات المـشهد - نقـلا عـن الديمقراطية، العدد ٤٢، ص ٢٠١١، ص ص١٥٣ - ١٥٧.

الثورة الشعبية التونسية :

قامت الثورة الشعبية التونسية فى ١٤ يناير ٢٠١١ ضد عهد تميز بالقمع وكبت الحريات. فلقد تفجرت فى تونس ثورة تجاوزت ما يعرف بالاحتجاج. وهى ثورة شعبية، وليست ثورة فرز طائفى معين، أو لنخبة، فهى حركة استمدت من الشارع وتبناها وأشعل نارها الشارع .

ويقع سر قوة ثورة تونس فى أنها ليست قضية خبز وماء، ولكنها مسألة ذهن وفكر وحرية. وما شهدته تونس يضاف على سجل الثورات التاريخية التى صنعتها الشعوب، فلم يشهد التاريخ كما يذكر البعض سوى ثلاث ثورات مهمة، هى الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩، والثورة البلشفية عام ١٩١٧، والثورة الإيرانية ١٩٧٩، وها هو الشعب التونسى يسجل نفسه فى سجل الثورات الخالدة، وذلك بانتصاره على واحد من أشرس الأنظمة القمعية فى العالم الثالث وخاصة العالم العربى، ألا وهو نظام زين العابدين بن على الذى حكم تونس بالقمع والقهر لأكثر من ٢٣ عاما(*).

لقد كان نظام بن على من أشد الأنظمة القمعية، فقد استخدم قوات الأمن فى فرض سطوته على البلاد، ووضع القيود على وسائل الإعلام، وكبت الحريات، ولم يستفد من النمو الاقتصادى الذى شهدته تونس فى عهده سوى قلة من بطانة حكمه، فى حين كان الشعب يعانى من البطالة والفقر، ودمر القذافى الأحزاب السياسية والنقابات المهنية والعمالية. وجميع هذه الوقائع حدثت فى مصر وكانت السبب فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م .

وتولد الانفجار فى لحظة انتحار بائع متجول جامعى (محمد البوعزيزى)، إذ أضرم النار بجسده فى الشارع، انتهزتها الطبقة العاملة

(*) حكم زين العابدين بن على تونس ٢٣ عاما، وحكم مبارك مصر ٣٠ عاماً.

فرصة، فابتذلت تظاهرات رفع شعار "الخبز" ثم تضامنت معها الطبقة الوسطى مطالبة بالحرية. ولم يستطع بن على السيطرة على الأوضاع، وفقد السيطرة على الشرطة والجيش، فاتخذ قراره الرحيل بشكل مفاجئ وتوجه إلى جدة بالسعودية يوم الخميس ١٤ يناير ٢٠١١.

وسلك المواطنون والثوار الطريق التدريجى فى تنفيذ أهداف الثورة. فهم قد بدأوا من النهاية، وأطاحوا برأس السلطان، ولا مجال للتراجع، فإما عهد جديد، أو أزمات سياسية داخلية وعدم استقرار قد يمتد لسنوات. وهو ما يمكن إرجاعه إلى ارتفاع نسبة البطالة(*) وتفاقم الأزمات الاقتصادية والمعيشية هذا بخلاف الانقلاب الأمنى الذى قد يتسم مع مثل هذه الحالات ووقفها قد يقول "أين أيام بن على فهناك أيضا من رأوا فيه نموذجا للاستقرار على حساب استقرار أهم ثروات المجتمع، وهو المواطن. وهو خطاب يروج له الكثير من العرب المترحمين على أيام الرئيس العراقى الراحل صدام حسين وعن كافة التناحر الطائفى فى العراق والقتل المجانى بالجملة على الهوية.

وهذا التدرج عكس ما اتسمت به ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فهى تنشد تحقيق مطالب الثورة دفعة واحدة، وإنما تتهم الحكومة بالتباطؤ، وتحقيق المطالب بلا سقف، فكلما تحقق لها مطلب، تطلب مطالب أخرى، أصروا على أن يغير رئيس الوزراء عصام شرف وزارته، فغيَّرها. وقبيل حلف اليمين أمام المشير، أعترضوا على بعض الوزراء قائلين أنهم من العهد البائد أو من الحزب الوطنى المنحل .

هذا وارتفاع معدل البطالة، وتفاقم الأزمات الاقتصادية والمعيشية مع طلب الإصلاح السريع، إذ ومع التغيرات السريعة حدث الانفلات الأمنى، وزيادة أحداثه نتيجة ارتفاع معدلات البلطجية .

(*) وهذا كله يماثل ما حدث فى ثورة ٢٥ يناير .

هذا وقد بدأت بعض مظاهر الفساء تظهر على سطح الحياة السياسية. فقد نفذت عائلة بن على، خاصة أصهاره آل الطرابلسى والماطرى بعد زواج بن على من ليلى زوجته الثانية. فقد تحكمت عائلة بن على فى مجالات الاقتصاد المختلفة، تحكمت فى البنوك والعقارات والسياحة والاعلام؛ واستحوذ بلحسن طرابلسى، شقيق ليلى الأكبر على شركة الطيران كورتاجو ايرلانينز، وجعل الشركة الفرنسية فى مخدمتها عبر اللوجستيك، وحتى سوق نقل السياح. كما أن زوج ابنة بن على. صخر الماطرى. استحوذ على بنك الجنوب التونسى، وجنى صفقة بيعه مليون دينار تونسى. كما أن الأخير كان المعارض الوحيد لصفقة فتح وكالات بيع السيارات بعد أن تدخلت أسرة زوجته.

وقد أكد عمر المستيرى – رئيس المجلس الوطنى للحريات فى تونس أن ليلى بن على أخذت معها ١٥٠٠ صفيحة ذهبية، وهى تغادر البلاد استخرجتها من البنك المركزى التونسى[١].

١- د. بوصفية قدرى، كاريزما الشارع التونسى وقوة التغيير السياسى نقلا عن مجلة الديموقراطية، العدد ٢٢، ٢٠١١، ص١٤١- ١٤٦.

الباب الثالث

الثورات في مصر

الفصل السابع : كفاح المصريين ضد الرومان - في ظل الحكم الإسلامى - ضد الوالى العثمانى - ضد الإحتلال الفرنسى - ضد الإنجليز - ثورة عرابى - ثورة ١٩١٩ .

الفصل الثامن : ثورة يوليو ١٩٥٢.

الفصل السابع
كفاح المصريين ضد الرومان

وجد المصريون في تمسكهم بالمسيحية نوعاً من الإحتجاج ضد وثنية الرومان وقطيعة رمزية كاملة وعميقة مع منطقهم الاستعماري. ولما اعتنق امبراطور الرومان المسيحية وجعلها الدين الرسمى لامبراطوريته المترامية الأطراف، وجد المصريون أنفسهم أمام مأزق شديد لكنهم سرعان ما وجدوا مسارا لمواجهة كفاحهم. فميزو مذهبهم الدينى عن مذهب الرومان، وتواصل النضال، وقدم الأقباط شهداء لا حصر لهم ولم تتراخى عزيمتهم في الدفاع عن رؤيتهم الدينية على الرغم من مغالاة أعدائهم في اضطهادهم، وأشعلوا حركات مقاومة متفرقة، فهب الصعيد في ثورة عارمة ضد حكم دقلد يانوس.

ولما دخل الإسلام مصر، أزاح المسلمون ظلم الرومان عن المصريين.

الكفاح في ظل الحكم الإسلامى

تعسف بعض حكام وأمراء الأمويين والعباسيين مع الرعية، فرفض المصريون هذا التعسف، ولم يكن الرفض مقتصرا على المسيحيين بل شمل المسلمين أيضاً، سواء من الذين هم من أصل قبطى، أو من العرب الذين سكنوا مصر قبل ظهور الإسلام بزمن طويل ولكن مصر بعد ذلك ولدت ثورات من نوع جديد، فقد أخذت على عاتقها الدفاع عن الشرق وعن الإسلام في مواجهة المغول والصليبيين، وكذلك لم تنس الإحتجاج ضد ظلم بعض الحكام الفاطميين والمماليك والأتراك .

ثورة ضد الوالى العثمانى خورشيد

تعرض الفلاح المصرى أثناء الحكم العثمانى لمصر لعذاب شديد من الضغط والسخرية ونهب المحاصيل، وتكررت المجاعات وأصدر الأتراك

تشريعات تجبر الملتزمين والمشايخ على عدم إبقاء قطعة أرض واحدة غير مزروعة وأن يحولوا دون هروب الفلاحين، وأن يسعوا لإسكانهم في القرى الخربة والخاوية. وفى حالة فرار الفلاح من أرضه يتحمل الشيخ إلتزاماته المادية. وكان الفلاح المصرى لا يجند أيام الحكام الأتراك والمماليك، لما يمكن أن يحمله للجيش من روح النقمة والثورية .

وقد بلغت مظالم الجند العثمانى وفوضاهم عصر الذروة في سنة ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥م). وأمام ضعف الوالى العثمانى، خورشيد باشا، ومظالمه هو الآخر تصاعدت الثورة الشعبية - الدستورية التى قادها العلماء. فأضرب علماء الأزهر وطلابه عن حلقات الدرس، وماجت القاهرة بالمظاهرات التى قصدت منازل العلماء.

وكان مجلس الشرع هو القيادة الشعبية للأمة منذ الحملة على مصر سنة ١٢١٣هـ- ١٧٩٨م). ومن أبرز علمائه السيد عمر مكرم (١٧٥٥- ١٨٢٢)، والشيخ محمد السادات ١٨١٢، والشيخ عبد الله الشرقاوى، (١٧٣٧- ١٨١٢)، والشيخ محمد المهدى (١٧٤٢- ١٨١٥م)، والشيخ محمد الأمير (١٧٤١- ١٨١٧م).

وفى صبيحة الأحد ١٢ مايو ١٨٠٥ انعقد مجلس الشرع في بيت القاضى دار الحكمة - وسط جماهير الشعب الثائر، والتى بلغ عددها أربعين ألفاً، يمثلون طبقات الأمة وأجيالها. وهتفت الجماهير وصرحت بقولها: شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم. "يارب يا متجلى أهلك العثمانلى .. يا لطيف يا لطيف حسبنا والله ونعم الوكيل .

وقد أصدر مجلس الشرع وثيقة سماها المؤرخون "وثيقة الحقوق" والتزم أركان الدولة وولاء الوالى خورشيد بها. وقد حدد الجبرتى (١٧٥٤- ١٨٢٢م) المظالم التى ثار ضدها الشعب وهى :

- تعدى طوائف العسكر، وإيذاؤهم للناس، وإخراجهم من مساكنهم.
- المظالم والإتاوات التى فرضوها على الناس.
- تحصيل المال الميرى قبل مواعيده.
- مصادرة أموال الناس بالدعاوى الكاذبة.
- وقد حدد المؤرخ الفرنسى "فولابل" صاحب كتاب (مصر الحديثة)، وواضع الجزء التاسع والجزء العاشر من كتاب وصف مصر المطالب التى جاءت بالوثيقة، وهى:

١- ألا تفرض من اليوم ضريبة إلا إذا أقرها العلماء وكبار الأعيان.
٢- أن تجلو الجنود عن القاهرة وتنقل حامية المدينة إلى الجيزة.
٣- ألا يسمح بدخول أى جندى إلى القاهرة حاملا سلاحه.
٤- أن تعاد المواصلات في الحال بين القاهرة والوجه القبلى[1].

ووصل الأمر ذروته حين خلع علماء مصر "خورشيد باشا" الوالى العثمانى، وعينوا محمد على واليا على مصر.

ثورة القاهرة على الإحتلال الفرنسى
(١٢١٣هـ - ١٧٩٨م)

احتل نابليون بونابرت (١٧٦٩- ١٨٢١) مصر - القاهرة، فثارت القاهرة، وكان المماليك قد تركوا القاهرة عارية ومستباحة بعد هزيمة سريعة أمام جيش الحملة الفرنسية في موقعة إمبابة ١٧٩٨. ولم تكن المعركة بين نابليون والمماليك فقط، وإنما دخلها الشعب المصرى رغم أنه لم ينتظم في صفوف الجيش، ولكن اتخذ موقف المقاومة ضد قوات الاحتلال الغازية، وجمعت التبرعات لشراء السلاح، وأسهم سكان القاهرة إسهاما فعالا في

١- د. محمد عمارة، المرجع السابق، ص ص٤٧- ٤٩.

الدفاع عنها، واستمر تصدى المصريون للحملة الفرنسية حتى سنة ١٨٠١ ببسالة بعد هزيمة المماليك بسيوفهم أمام مدافع جيش نابليون، وغرق الألوف من المصريين في النيل أثناء التدافع بعد معركة إمبابة الغربية – من الأهرام على الضفة الغربية للنيل. وكانت النتيجة ٧٠٠٠ قتيل من جيش مراد بك، منهم ٥٠٠٠ مصرى. وفر الباقون، البعض منهم إلى الوجه القبلى، والبعض إلى سوريا مع إبراهيم بك.

واستمر الشعب المصرى في نضاله العسكرى الذى كان يشبه حرب العصابات التى أشعلت نتيجة أسلوب الإدارة الفرنسية في فرض إتاوات نقدية وعينية، كما صادرت الأغذية والعلف، فهجم الفلاحون المصريون على العسكريين والدوريات وأربكو خطوط الاتصال الفرنسية وجباة الضرائب الفرنسيين فأرسل نابليون حملات تنكيل للدلتا، وحرق ضباطه القرى المتمردة[١].

وبعد إحراز الفرنسيين الإنتصار واحتلالهم القاهرة، اعتقد نابليون أن كراهية المصريين للأتراك والمماليك ستؤدى إلى الترحيب بالفرنسيين أو على الأقل لن تكون هناك أية مقاومة من المصريين للحكم الفرنسى الذى قدّم نفسه إليهم باعتباره المنقذ من جحيم المماليك[٢].

ثم دعا بونابرت العلماء والأعيان إلى تكوين ديوان من المشايخ والعلماء يختص بالأمن العام، والتموين والصحة. وكان الديوان ذات صفة استشارية، ومع ذلك فقد ساهم في بلورة قيادة شعبية متمسكة بحقها في إدارة

١- أحمد حمروش. قضية ثورة ٢٣ يوليو، ص ص١٥- ١٦.

٢- زين خفاجى. ثورة القاهرة الأولى. موقع الحوار المتمدن، العدد ٢٥٩٨ في ٣/٢٧/ ٢٠٠٩.

البلاد وقد عطل نابليون اجتماعات الديوان بعد أن اصطدم به أعضاؤه معلنين رفضهم هذا الكم الهائل من الضرائب .

وقد جاء الرد سريعا فقامت هيئتان شعبيتان جارفتان في القاهرة، بدأت الأولى في ٢١ أكتوبر ١٨٩٨. فقد تجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم، ولا قائد يقودهم، وعزموا على الجهاد وأبرزوا ما أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح، كما احتشد بالأزهر ١٥ ألف ثائر، وعمت الثورة أنحاء القاهرة. وقد خرج الجنرال ديبوى مع بعض عساكره لتهدئة الأحوال، وذهب إلى بيت القاضى، ففوجئ بكم هائل من البشر فهجم عليه الثوار وقتلوه، كما قتل الكثير من فرسانه، وسيطر الثوار على معظم مداخل القاهرة، كباب الفتوح وباب النصر، وباب زويلة، وباب الشعرية، وقاموا بهدم مصاطب الدكاكين واستخدموا أحجارها كمتاريس، تعوق هجوم العدو. ووقف وراء كل متراس حشد عظيم من الناس.

وبعد أن أدرك الفرنسيون اندلاع الثورة، بدأ الهجوم على الثوار بإطلاق النار على الناس في الشوارع وخلف المتاريس، فتجمع الثوار في الأزهر ونصبوا المتاريس في الطرق والحارات والأزقة وفى أثناء الليل، نصب الفرنسيون مدافعهم على جبل المقطم قرب القلعة، وفى اليوم الثانى استمر هجوم الثوار على كتائب الفرنسيين. وبدأ نابليون بنشر قواته وجنوده حول ضواحى القاهرة لمنع أهلها من الانضمام إلى صفوف الثوّار. وعند بداية عصر اليوم الثانى أمر نابليون بقصف القاهرة بالمدافع المنصوبة بالقلعة.

وفى اليوم التالى دخل الفرنسيون منطقة الأزهر التى ضربها القصف، وبات الألوف تحت أنقاضها، وهدموا المتاريس، ودخلوا الجامع الأزهر بخيولهم، وحطموا كل ما وجدوه في طريقهم، ونهبوا البيوت بحجة البحث عن أسلحة وبدأ القبض على أعداد غفيرة نفذ فيهم حكم الإعدام، وكان من

بينهم النساء. وقد قتل من أبناء مصر ثلاث عشر عالما، وبلغ عدد ضحايا الثورة ما يقرب من ٤٠٠٠، مقابل ٢٠٠ جندى فرنسى، وقد استمرت ثورة القاهرة الأولى ثلاثة أيام فقط، وانهزمت أمام التفوق العسكري الفرنسى .

ثورة القاهرة الثانية

قامت ثورة القاهرة الثانية، واستمرت أكثر من شهر. وفكر كليبر قائد الاحتلال في وسيلة للقضاء على الثورة التى يقودها عمر مكرم الذى التف حوله الشعب، وأصبح رمزا للمقاومة والصمود. وأمر كليبر بالهجوم العام على حىّ بولاق مصدر الثورة، وشرعت المدافع تصب نيرانها على الحىّ الثائر حتى أحدثت تحطيما في المتاريس التى أقامها الثوار، وأشعل الجنود الفرنسيون الحرائق في البيوت والمتاجر والوكالات إذ اشتعلت النيران في الحى، وسقطت البيوت على من فيها وتناثرت جثث القتلى، واستمر الضرب بالمدافع حتى دمر الحىّ بأكمله، ثم تابع هجوم الفرنسيين على سائر أحياء القاهرة، واستمرت هذه الأهوال ثمانية أيام .

وأثر ذلك تحرك علماء الأزهر واستأنفوا مساعيهم لحقن الدماء، ووقف عمليات الإحراق والتدمير، ودارت مفاوضات التسليم بين الثوار وكليبر في ٢١ ابريل ١٨٠٠ وكان نتيجة هذه الثورة أن فرض كليبر على أهالى القاهرة مبالغ مالية ضخمة قدرها ١٢ مليون فرنك فرنسي. وحين عجز الشيخ السادات عن تدبير المبلغ، وكان مائة وخمسين ألف فرنك ألقى القبض عليه وأودع السجن دون مراعاة سنه ومكانته.

وبعد ذلك تقدم سليمان الحلبى، وهو أحد طلبة الأزهر على قتل كليبر أثناء تجوله في حديقة منزله، وكان ذلك فى (١٤ يونيو ١٨٠٠م). وقد أعدم الفرنسيون سليمان الحلبى؛ وثلاث ممن كانت لهم به صلات قبل إقدامه على عملية الاغتيال .

وقد رأى شيخ الأزهر عبدالله الشرقاوى، ومعه عدد من كبار العلماء إيقاف الدراسة بالأزهر، وتعطيل الصلاة فيه، فتم إغلاق المسجد وظل مغلقا زهاء عام حتى وردت أنباء شروع الفرنسيين في الجلاء عن مصر، أمر القائمون على المسجد بتنظيفه وفتح أبوابه في يوليو ١٨٠١م[١].

الكفاح ضد الإنجليز

قاد السيد عمر مكرم المقاومة الشعبية ضد الحملة الإنجليزية التى انتهت بهزيمة الإنجليز مرتين: الأولى يوم ٢١ مارس ١٨٠٧، فقد انهال أهل رشيد رجالا ونساء على حملة فريزر الإنجليزى في ٣١ مارس ١٨٠٧ ضربا من كل مكان، دون أدوات ممكنة حتى فر هاربا، والثانية في يوم ٢١ ابريل ١٨٠٧، وانتهت بهزيمة الإنجليز هزيمة ساحقة.

ثورة عرابى

في عهد الخديوى توفيق ثارت مصر ثورة شعبية كبرى (١٨٨١م)، بقيادة أحمد عرابى باشا (١٨٥٤- ١٩٩١) شارك فيها الجيش والشعب. وكان عرابى ضابطا بالجيش المصرى وكان مصريا صميما في جيش كل ضباطه من الأتراك والشركس والأرمن والأرناؤوط، ولم يكن مسموحا بترقية الضباط المصريين إلا إلى رتبة قائمقام (عقيد). ورأى عرابى استشراء الفساد وقسوة الضرائب وفراغ الخزانة وتدهور الحالة المالية نتيجة حماقة الخديوى إسماعيل وأحس غضب الشعب، وهو منهم، يشعر بشعورهم، ويدرك إدراكهم، فرغب هو وزملاؤه من الضباط المصريين في مقاومة الطغيان وإصلاح الحكم والاعتراف بحق الشعب .

وقد ظهر نجم الزعيم الوطنى أحمد عرابى الذى قدّم عريضة للخديوى توفيق، ومعه عبد العال حلمي، وعلى فهمى يطلبون فيها عزل وزير

١- أحمد تمّام. الأزهر يغلق أبوابه. إسلام أوف لاين. ٢٣ يوليو ٢٠٠١ .

الحربية الشركسى عنان رفقى، لأنه فصل بعض الضباط دون تحقيق. فكان رد رياض باشا رئيس الوزراء أن قبض عليهم .

وفى أول فبراير ١٨٨١ استدعى الضباط الثلاثة إلى وزارة الحربيـــة، فاتخذوا حيطتهم وأبلغوا وحداتهم بأنهم إذا تأخروا عن العــودة أكثــر مــن ساعتين، فعليهم التحرك مع آلاى مشاة آخر في طره لانقاذهم، وما أن بدأت تمثيلية المحاكمة حتى وصلت قوات المشاة المصرية إلى الوزارة وطوقتهــا، وهرب عثمان رفقى من الشباك، واقتحم الجنود قاعــدة المحاكمـــة وحملــوا قادتهم على الأعناق، ثم ذهب الضباط والجند معا إلى سراى عابدين، وطالبوا بعزل عثمان رفقى فوراً وإقرار حقوق متساوية في الجيش. ورأى الخديوى أن المقاومة لن تجدى، فعزل وزير الحربية عثمان رفقى، وعين بــدلا منـــه محمود سامى البارودى الذى كان شاعراً وطنيا ديموقراطيا - عين وزيــرا للحربية .

وفى خطاب ألقاه الخديوى توفيق في احتفال أقيم في ١٢ فبراير ١٨٨١ عقب الهجوم على قصر النيل وحضره جميع الضباط الكبار في الجيش. في هذا الخطاب أدلى الخديوى توفيق أسفه لما حدث في أول فبرايــر. وعفـــوه عنهم. ثم أكد للضباط أنه يلزمكم ألا تنشغلوا من الآن فصاعدا بشيء خـــارج عن حدود وظائفكم، ذلك أن العسكر ليس لهم وظيفة سوى التمسك بالقوانين الجهادية والسير في أداء واجباتهم العسكرية والامتثال لــولى أمــرهم، وأن أكمل الصفات العسكرية هى الاستقامة والامتثال في كل الأمور والأحوال .

وكرر رياض باشا رئيس الوزراء أفكار الخديوى، وخاطب الــضباط قائلاً: أنتم روح الضبط والربط، وأنتم قوة الحاكم وآلته المنفذة، فــإذا بــدأكم الحاكم بحسن الالتفات ونظر إليكم بعين الرأفة والرحمة فعليكم وجوبا كمـــا أخذتم ما لكم أن تؤدوا ما عليكم وهو طاعة ولى الأمر. ورد عرابـــي علـــى

خطاب رياض وأكد بأنه وزملاءه يريدون الإصلاح وإقامة العدل على قاعدة الحرية والأخاء، والمساواة، وهكذا بدأ التناطح، فعـزل الخـديوى توفيـق، محمود سامى البارودى، وأبلغ الضباط أنه على ثقة كاملة في رياض باشـا رئيس الوزراء، وأمر بزيادة مرتبات الـضباط المـصريين الـذين أحيلـوا للاستيداع، وأصدر أمرا بمعاملة جميع الضباط مستقبلا بالمساواة - سـواء كانوا أتراكاً أو شراكسة أو مصريين. وفى ٩ سبتمبر ١٨٨١ أصـدر أمـراً بنقل بعض الآلات إلى الريف، وكان ينبغى أن يرحل معها أحمـد عرابـى وعلى فهمى وعدد من الضباط الوطنيين .

وقرر القادة الوطنيون عدم الاستجابة للأمر وهكـذا انـدلعت الثـورة العرابية في ٩ سبتمبر ١٨٨١ولم تكن في نطاق عسكرى فقط، بل اشـترك فيها الجيش والشعب، إذ اشترك فيها فئات الشعب. وبسبب سوء الأحـوال الاقتصادية، والتدخل الأجنبى في شئون مصر، ومعاملة رياض باشا القاسية للمصريين، ونمو الوعى القومى بينهم، طالبت البلاد بالحريـة والدسـتور، وحقوق الضباط المصريين .

ولما عاد الخديوى من العباسية، دخل السراى مـن البـاب الـشرقى المسمى.(باب باريز)، وصعد إلى الديوان، ثم نزل منه ومشى فـي الميـدان حتى توسطه، ثم طلب الخديوى من عرابى أن يعـرض طلباتـه، فأجـاب عرابى: جئنا يا مولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلهـا طلبـات عادلة. فقال الخديوى: ما هى هذه الطلبات؟ فأعلن عرابى المطالب وهى :

١- زيادة عدد الجيش الى ١٨٠٠٠ جندى .

٢- تشكيل مجلس النواب على النسق الأوربى .

٣- عزل وزارة رياض .

وقد تحدى الخديوى توفيق (١٨٥٢- ١٨٩٢م) إرادة الأمة، وقال، لهم أن كل هذه الطلبات لاحقٌ لكم فيها. وأضاف فقد ورثناكم عن آبائنا وأجدادنا، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا. فأعاد عرابى، وهو على رأس الجيش والشعب بميدان عرابى – كلمات عمر بن الخطاب (٥٨٤- ٦٤٤م) وقال: لقد خلقنا الله أحراراً، ولم يخلقنا تراثا وعقاراً، فوالله الذى لا إله إلا هو أننا لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم "ولقد استمرت هذه الثورة الشعبية لمدة عام – قاد عرابى الفلاحين في مقاومة عسكرية ضد الإحتلال الإنجليزى، واستطاع الاحتلال إخماد الثورة سنة ١٨٨٢. وبالرغم من هذا فلقد ألهب عرابى الشعور الوطنى لدى المصريين .

ثورة ١٩١٩

تفجرت بمصر ثورتها الشعبية الكبرى في مارس (١٣٣٧هـ- ١٩١٩م) بقيادة الشيخ سعد زغلول باشا (١٨٥٧ -١٩٢٧) وهو ابن الأزهر الشريف، وتلميذ جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨- ١٨٩٦م) والإبن الثائر الإمام محمد عبده (١٨٤٩- ١٩٠٥).

وقد قام حزب الوفد بجمع توقيعات من أصحاب الشأن في كل المدن والقرى والنجوع، وذلك بقصد اثبات صفتهم التمثيلية، وجاء في الصيغة: "نحن الموقعون على هذا أنبنا عنا حضرات: سعد زغلول و... وفي أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة، حيثما وجدوا للسعى سبيلا في استقلال مصر تطبيقا لمبادئ الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى. ثم اعتقل سعد زغلول ورفاقه ونفوا إلى جزيرة مالطة في ٨ مارس ١٩١٩ فانفجرت الثورة يوم ٩ مارس ١٩١٩ .

وترجع ثورة ١٩١٩ إلى كساد الأسواق وندرة الموارد. وهى تعبر بالدرجة الأولى عن رفض السيطرة الأجنبية واستمرار تجاهل المطالب

الوطنية. ويتضح من ذلك أن المصريين لا يتحركون من مقدمات ذاتية عابرة، ولكنهم ينطلقون من دوافع وطنية ذات أبعاد موضوعية تعتمد على نظرة شاملة ورؤية طويلة المدى(١).

وقد شارك في ثورة ١٩١٩ كل فئات الشعب من مختلف الأعمار، والنوع والمستوى الاجتماعى والدينى، واتحد فيها المسلم والقبطى، وقامت ضد الاحتلال الإنجليزى لمصر، وسقوط الحماية وإعلان استغلال البلاد وتوالت المظاهرات، وبدأ تعرض الإنجليز، مقاومتها بالقوة. وأطلقوا الأعيرة النارية على المتظاهرين فسقط القتلى والجرحى. فعمد الشباب إلى اغتيال الإنجليز في شوارع القاهرة، وضرب الخونة المصريين المتعاونين مع الاستعمار، ودامت الثورة مشعلة لأكثر من عامين إذ استمر الطلبة في إضرابهم، وقام الفلاحون والعمال باقتلاع قضبان السكك الحديدية تقطيع أسلاك التليفون والتلغراف فتعطلت المواصلات وأضرب الموظفون والمحامون والعمال. وكان الأزهر الشريف منطلق الثورة، وتحصن الثوار فيه، حتى لقد اقتحمه الإنجليز وعاثوا في فساد، وعمت المظاهرات أنحاء القطر كافة وسقط الضحايا في كل مكان، ولم تخلو مدينة أو قرية من قرى مصر عن صرخة علت قتيل، أو دمعة كعلى شهيد، أو جزع على جريح .

وقد أسفرت الثورة عن استقلال نسبىْ، وإقرار أول دستور ليبرالى على مستوى مصر والعالم العربى، وهو دستور ١٩٢٣. وقد سمح الجستاور بقيام البوقراطي، ووجود حياة حزبية تعددية وبرلمانية ، وإطلاق الحرات العامة والفرجية ، وكان أفضل نظام سياسة عرفته المنطقة العربية لككلها حيث أتاح حرككا مجتمعيا ، وشهد غارات كثيرة وتطورا طبيعيا في مختلف المجلات ، واسمر هذا الدستور حتى تيام ثورة ١٩٥٢ .

(١) د . مصطفى الفقى ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

وأمام احتجاج البرلمان البريطانى وحملة الصحافة البريطانيـــة علـــى عجز الحكومة البريطانية عن حماية رعاياها في مصر، لجـأت بريطانيـا باعلان إنهاء الحماية البريطانية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سـيادة وثيقة صدرت من جانب واحد هو بريطانيا وقت باسم تصريح ٢٨ فبرايـــر، سنة ١٩٢٨ ونتج من ذلك أن أعلن السلطان فؤاد نفسه ملكا علـــى مــصر. وصدر قانون الأنتخاب وجرى انتخاب أعضاء مجلس النواب والشيوخ، وفاز الوفد برئاسة سعد بتسعين في المائة من المقاعد فى مجلس النواب، فعهد إليه الملك فؤاد بشكيل الوزارة تتويجا لنجاح ثورة ١٩١٩

وقد ظلت ثورة ١٩١٩ تعبر حاجزا وراء حاجز وتتعثر مرة وتنطلــق أخرى، طيلة ٥ سنوات حتى أجريت أول انتخابات عــام ١٩٢٤ فـــي ظـــل دستور ١٩٢٣ وقد تم وقف اضرابات سياسية وجنائية فى غضون سنى تلك الثورة المصرية الوطنية، وذلك مثل الإتهامات بالخيانة العظمى التى كانـــت توجه ليل نهار للفريق المختلف مع زعيم الثـورة سـعد زغلـول، والـــرد باتهامات مضادة لسعد ورفاقه بالتطرف والغوغائية. وقد سالت دماء شـــهداء بسبب الصراع بين سدود بكين استقطاب بين المصريين حـول التعـديلات الدستورية من ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

وكان لهذا النظام مساوئ متعددة، نذكر منها شيوع الاقطـــاع ومعانـــاة أغلب المصريين من الفقر في ظل وجوج طبقة من الرأســماليين التـــرفين، وكذلك تدخل القصر والإنجليز لأفساد الحية السياسية، وتزويـــر الإنتخابـــات للحيللو دون حكم حزب الوفد، الذى هو حزب الأغلبية ذو الشعبية الجارفـــة. كما كانت هناك مشروعات قوانين قومى إلى تحديد حد أدنى للملكية الزراعية وإنما كانت بصورة أخف مما فعلت ثرة يوليو فيما بعد .

ولقد عمل الاحتلال الأنجيزى على إفساد الحياة السياسية المصرية حتى لا يواجه الشعب بمواجهة ويحمل في وجهه السلاح. أما فساد السراى فهو فساد أقل كثيرا مما وجدناه في جمهوريات ثورة يوليو الثلاثة ففساد الأسرة المالكة وكان محدودا ويراقبه برلمان حقيقى وصحافة حرة أما فساد جمهوريات يوليو، فقد تم وقيم دون رقابة، فالبرلمانات مزورة، والصحافة حكومية متواطئة .

وعند عقد معاهدة ١٩٣٦ لم يكن الجيش قوة سياسية، ولم يكن خاضعا لقيادة وطنية، وكان الاستعمار يسعى جاهدا لتنقيته دون الحرب التاريخى، ونضال مع جماهير الشعب تحت ستار النسيان، وخرجت بريطانيا من مصر في ١٧ نوفمبر ١٩٥٦ بعد ٧٤ عاما من استعمار بغيض[1].

وتختلف ثورة ١٩١٩ عن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في أن الأولى تنفى ما يوصف به المصريون من خنوع وخوف، وكذلك أنه وقت حدوث ثورة ١٩١٩ لم يكن هناك مئات الكاميرات لا عشرات الفضائيات ولا البث على الهواء. أما ثورة ٢٥ يناير فهى تملك توثيقا شديداً التفصيل بالصوت والصورة بفضل تقنيات الاتصال ووسائل التواصل الحديث.

ويكمن الفارق بين الثورتين في أن ثورة ١٩١٩ كانت ضد قوة احتلال أجنبى. وهى بذلك لا تنطوى على أمر خارق أو مفاجئ؛ لأن الشعوب بفطرتها الوطنية مهيأة للثورة ضد الاحتلال الأجنبى. أما ثورة يناير ٢٠١١، فهى تكتسب صفتها الثورية، وهى تستحقها لأنها كانت تنشد الحرية والكرامة واالعدالة فى مواجهة سلطة وطنية مدججة بقبضة باطشة، وحزب حاكم قيل أن عدد أعضائه تجاوز الملايين، واعلام مارس على مدى عقود عمليات غسل المخ.

١- د. عبد العظيم حماد. الخطر والأمل، نقلا عن الأهرام، العدد ٤٥٤١٣ بتاريخ ٨ابريل ٢٠١١ ، ص ٥.

ولقد كنا متوهمين غياب الجريمة وعدم انتمـــاء لـــشبابنا لهـــذا البلـــد واتهمناهم ظلما بالسطحية والعبث، ولكن تبين أن الشباب كان هو المخطـــط والمفجر لثورة يناير ٢٠١١، وهو وقودها الحيّ الذى قدّم زهـــرات عمـــره المئات من الشهداء وذلك على عكس ما حدث في حركـــة شـــباب إبريـــل. ومنسق حركتها أحمد ماهر، الذى يبلغ من العمر ثلاثين عاما وهي إحـــدى مخرجات ثورة ٢٥ يناير[١]. وقد لاقت الحركة اهتماما فاترا مـــن أصـــحاب المعارضة وجماعة الإخوان المسلمين، وذلك باعتبارهـــا مجـــرد مظـــاهرة لمجموعة من الشباب الغاضب، فتلكأ البعض في الإنضمام اليها حتى بدايـــة الأمر، وتساءل البعض الآخر عن حقيقة أمرها. وقد أصاب الناس اليأس أثر فشل العشرات من التظاهرات وذلك باستثناء أحداث المحـــل الكبـــرى منـــذ عامين والتى لم يتجاوز عدد المشاركين فيها بضع مئات وآلاف قليلة .

---

١ – د. السيد عبد الفتاح. المرجع السابق، ص٤٦.

الفصل الثامن
ثورة يوليو ١٩٥٢

قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الثوار الأحرار والجيش المصرى، والتف حولهم الشعب، وقد اختلف المفسرون في تفسير ثورة ٢٣ يوليو، فقال البعض أن الثورة هى حركة شعبية جماهيرية مدنية تنطلق عفوا.

ويؤخذ على هذا التعريف أنه استخدم لفظ حركة، واعتبر الثورة حركة. وتختلف الحقيقة من ذلك، فالثورة هى عملية تغيير في الحياة الاجتماعية من النواحى السياسية والاقتصادية، أما الحركة فهى قيام فئة واحدة من فئات المجتمع باحتجاج وتظاهر مطالبة بتحقيق مصالح خاصة بها دون باقى فئات المجتمع، وذلك مثل حركة الطلاب، وحركة العمال، وحركة المرأة، حيث يقتصر هدفها على تحقيق المصالح الخاصة بها.

وعلى ذلك فثورة ٢٣ يوليو ليست حركة فقد قام بها الجيش، وساندها وأيدها الشعب. وهى كذلك ليست انقلاباً عسكريا لأن الانقلاب يستهدف تغيير رئيس الدولة فقط، ليحل محله رئيس جديد[1]، أما الثورة، فتستهدف إجراء تغيير جذرى يصيب المجتمع في جميع جوانب الاقتصادية والسياسية.

وفى حديث لجمال عبد الناصر مع الصحفى البريطاني دافيددين موجان مراسل الصنداى تايمز في شهر يوليو ١٩٦٢ قال: أن النية كانت متجهة نحو القيام بحركة عسكرية عام ١٩٥٥، ولكن حريق القاهرة أصبح قوة ضاغطة، واستقر الرأى فى البداية على أن يتم ذلك فى شهر نوفمبر ١٩٥٢، حيث

١- انظر في الرد على مقالة د. محمد نعمان جلال بعنوان: تغيرات ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ للقوى السياسية ودور القوات المسلحة. نقلا عن جريدة الجمهورية، العدد ٢٠٨٦٣ بتاريخ ٢٠١١/٢/١٠.

يقضى الدستور بضرورة اجتماع البرلمان في هذا الشهر، فإذا حدثت مخالفة دستورية أو تزييف في الانتخابات، فإن حركة الجيش عندئذ تكون لحماية الدستور.

وتعتبر قضية الأسلحة الفاسدة على رأس الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة كما يقول د. حسن رجب. فهى التى مهدت الجو كله وولعت الناس. فيه الناس اللى ماتوا أولادهم ... والناس اللى ماتو ناس من عائلاتهم. وبعد كده الحالة الفظيعة اللى كانت فيها البلد ... الدول جميعاً المشتركة فى الأمم المتحدة تمتنع عن إمداد كلا من العرب وإسرائيل بالأسلحة والذخائر ... وهذا القرار الأخير طبق بحذافيره على العرب. أما إسرائيل فكان يرد لها أسلحة وذخائر ومعدات وطيارات، بل ومتطوعين مش بس من الدول الغربية بل ومن الدول الشرقية أيضاً ... جالها من تشيكوسلوفاكيا ... ومن بولنده ... كل اليهود فى العالم بيحاولوا يقدموا كل المساعدات لإسرائيل .

ولم تقف مصر ساكنة أمام هذه الحكاية بل اتخذت قرارا، فشكلت ما يسمى بـ لجنة الاحتياجات. وأعطت هذه اللجنة كافة الصلاحيات التى تلاقى بها سلاح أو ذخيرة أو معدات حربية في أى جهة من جهات العالم تروح وتجيبها وتدفع ثمنها فورا ومن غير مزايدة، كانت القنابل اليدوية اللى فيها زرار أمان قبل ما تلمسه ممكن تنفجر. وفى حديث قال الملحق العسكرى البريطانى في القاهرة خللو بالكم دى قنابل ممكن تنفجر أحيانا بمجرد اللمس. وقد حدثت إصابات كثيرة من جراء ذلك، وبدأت هذه العملية تذاع فى الجيش بين العساكر والجنود وأهاليهم.

وقد تبنى الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس هذه القضية في روز اليوسف، وتحولت القضية إلى النيابة، وكان النبيل عباس حليم قد توسط في عملية شراء المدافع ١,٥ مللى أسبانى، وحصل على عمولة وصلت إلى

٤٠%، وبرأت المحكمة المتهمين في نهاية حكم الملك فاروق ... ولما جاءت الثورة وفتح ملف القضية ثانية أدينو فقد حكمت المحكمة على "عبد الله عثمان" الذى ورد القنابل اليدوية بتجريده من رتبته وصادرت أملاكه وأملاك زوجتيه.

كذلك فإن عدم الاستقرار الحكومى كان أحد أسباب الثورة حتى أنه تشكلت أربع وزارات في أقل من ستة شهور، ولذلك تحولت حالة الغضب إلى حالة من السخط، وفى هذا يقول البابا شنوده: أنا فاكر إن في اسبوع واحد تغيرت ٣ وزارات لدرجة أن أحد الوزراء كانوا يسمونه وزير الساعة لأنه قضى في الوزارة ساعة واحدة. ويقول نجيب محفوظ: كانت شهور ما قبل الثورة مثالاً للفوضى السياسية، كانت واصلة إلى درجة من التحلل جعلتها موضع السخرية. ووصف عباس رضوان الحكم فى مصر قبل الثورة بأنه كان يتسم بالخلل السياسى، فمنذ مايو حتى قيام الثورة توالت ثلاث وزارة. وتارة نجيب الهلالى ثم حسين سرى، ثم وزارة نجيب الهلالى[1].

ويعتقد البعض أن حل مجلس إدارة نادى ضباط القوات المسلحة في ١٦ يوليو ١٩٥٢ هو الذى عجل بقيام ثورة ٢٣ يوليو. فقد أصدر الملك قرار بحل مجلس إدارة نادى الضباط، فقررت اللجنة القيادية للضباط الأحرار يوم ٥ أغسطس موعداً للحركة، ولكن تبين للضباط الأحرار أن تأخير الحركة حتى ٥ أغسطس أمر لا مبرر له، إذ قد يقوم الملك بضربة تصيب الحركة بالشلل، كما ترددت أنباء عن اعتقالات لعدد من الضباط وتعيين حسين سرى وزيراً للحربية.

١- انظر طارق حبيب. ملفات ثورة يوليو - شهادات ١٢٢ من صناعها ومعاصريها. ص ص٢٣- ٤١.

وفى ١٩ يوليو تقرر أن تتم الحركة ليلة ٢١، ٢٢ يوليو ثم تقرر تأجيل الموعد إلى (٢٢، ٢٣ يوليو ١٩٥٢). وتمت الحركة بنجاح ، ولم يكن هناك من شئ معد في الخطة سوى تقديم عدة مطالب للملك ويكون التصرف بعد ذلك تبعا لرد الفعل، ولحركة الملك. وعندما اتصل نجيب الهلالى بمحمد نجيب تليفونيا من الإسكندرية أبلغه أن مطالب الجيش تنحصر فى الآتى:

١- تكليف على ماهر بتشكيل الوزارة.
٢- تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة
٣- إبعاد كريم ثابت والياس اندراوس ومحمد حسن وحلمى حسن وأنطوان بوللى ويوسف رشاد من حاشية الملك.

ويقول مصطفى صادق أن المطالب تركزت حول قضيتين أساسيتين: حكم الأغلبية وتطهير الحاشية. واتصل على ماهر بمحمد نجيب في الثانية والنصف ظهر ٢٣ يوليو ليبلغه بأن الملك قد كلفه بتشكيل الوزارة. وصرح على ماهر بعدها بأن الملك قد قبل كل مطالب الجيش، وأنه وقع مرسوما بتعيين محمد نجيب قائدا عاما برتبة (الفريق).

هذا ولم تستقر ثورة ١٩٥٢، ولم تقم نظامها السياسى إلا فى عام ١٩٥٦، وبين هذين التاريخين اندلعت صراعات وجرت محاولات إنقلابية، ومحاولات اغتيال أبرزها محاولة اغتيال زعيمها جمال عبد الناصر في الإسكندرية، واندلعت أيضا اضطرابات اجتماعية وعمالية وارتكبت جرائم اختطاف كان من بينها اختطاف بابا الأقباط نفسه على يد متمردين من الأقباط.

وفى الحالتين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ نجحت الثورتان. ولكن كل منها على طريقتها ووفقا لظروف عصرها في نقل مصر إلى مرحلة جديدة

من النهضة الاقتصادية والاستقلال الوطني والحراك الاجتماعي. وكان الإنجاز الديمقراطي في ثورة ١٩١٩ لافتاً، وبان اكتمال الاستقلال الوطني في ثورة يوليو ١٩٥٢[١].

وقد تضمن الميثاق الذى أصدرته الثورة فى ٢١ مايو ١٩٥٢ أهدافها، والتى برزت في المبادئ الستة الآتية:

١- القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين .
٢- القضاء على الإقطاع .
٣- القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.
٤- إقامة حياة نيابية سلمية .
٥- إقامة جيش وطنى قوى .
٦- إقامة العدالة الاجتماعية .

وكانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثورة بيضاء، فلم تتخذ إجراءات مسلحة ضد قوى النظام الأسبق، فهى قد جردته من السلاح الممثل في القوات المسلحة، وإنما لديها السلطة والمال، وفيما عدا تهديد رأس النظام وهو الملك فاروق الأول التى تنازل عن العرش ورحل عن مصر. وهى بذلك تختلف اختلافا جذريا عن ثورات التحرير الكبرى التى كان طريقها كلها الدم بلا استثناء.

وتمتاز ثورة يوليو بأنها تدرجية في الإجراءات التى اتخذتها تبعا لبساطتها حتى لا تصطدم بقوى رافضة أو معارضة أو القوى الاستعمارية الممثلة في الإحتلال والتى يمكنها أن تعرقل مسيرة الثورة في سياستها، وكذلك تبعا لارتباط مصالح هذه القوى أو سلطتها بالمجتمع أو جماهير

١- د. عبد العظيم جمال. الخطر والأمل نقلا عن الأهرام العدد ٤٥٤١٣ في ٨ ابريل ٢٠١١، ص٥.

الشعب عموما والتى كانت الإجراءات تحمل في طياتها تأليب قوى الجماهير على سلطة القوى الحاكمة أيا كان ممثليها(*).

ووصل هذا التدرج إلى قمته في قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١، ثم أتى بعدها أو تلاحقت بعدها أحداث ومواقف كان لها تأثيرها في مصر وشعبها.

وكان جمال عبد الناصر أرصن زملائه شخصية وأقلهم كلاما وأحسنهم استماعا، وقد وصفه إحسان عبد القدوس[١] بأنه كان شعلة من الذكاء والدهاء، ويستطيع إذا أراد أن يبدو كتلة من الغباء والانطواء. وهكذا عمل في صمت. ويرتب في هدوء شديد، وطول البال، وعمق التفكير حتى أنه استطاع أن يضلل جميع ضباط المخابرات، ورجال البوليس السياسى في العهود المظلمة التى سبقت الحركة.

ويستطرد إحسان بأن الجميع يشهد لعبد الناصر بالقدرة على التحكم في أعصابه، وفى بريق عينيه، ونبضات قلبه، وعاش في الجيش. كمحطة الإذاعة السرية يستمع إليها الجميع، ولا يهتدى إليها أحد ... وأخيرا جاء اليوم الموعود ... فبدأ الصوت يدوى ويعلو، وعرفه الجميع، وأحبه الجميع، ولكن ظل صاحب الصوت وراء ستار كثيف لأن دوره في الحركة يفرض عليه أن يكون دائما خط الدفاع الثانى لقوات التحرير.

ويمتاز عبد الناصر بمرونة فرضتها عليه طبيعة الأحداث، فهو لم يجد عند رأيه الخاص بالديمقراطية والأحزاب، وإنما اختار طريق انفراد المجلس

(*) وهنا تختلف ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فإذا كانت ثورة ٢٣ يوليو تدرجية، بينما ثوار ٢٥ يناير كانوا يستهدفون الإصلاح في جميع جوانب الحياة في الحال، فالبعض يعتصم ويصرون على بقاء الاعتصام حتى تستجاب طلباتهم.

١- احسان عبد القدروس. شخصية-الأسبوع. مقالة بمجلة روزاليوسف بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٥٢، ص٢٤.

بالسلطة عندما وجده ممهداً ومحل استجابة أكبر من زملائه ... ولم يتشبث برأيه الذى أعلنه لضباط المدفعية من أن التحقيق مع زملائهم سوف يكون عن طريق ضباط من المدفعية يحاكمونهم أيضا، وذلك عندما وجد في هذه الخطوة ما يمكن أن يعرض كيان المجلس للخطر ... وهو يعيد قانون العمال ليناقشه المجلس ثانية عندما اعتقد أن استقالة خالد محيى الدين يمكن أن تحدث شيئا في صفوف الجيش إذا تمت في وقت واحد مع صدور الأحكام على رشاد مهنا وضباط المدفعية. ويقابل حديث محمد نجيب عن خالد وثروت بالصمت دون تفجيره في وقت غير مناسب.

وتتسم شخصية عبد الناصر شخصياً بطهارة ونظافة ذمته، فلم يتربح من وظيفته، ولم يحاب أسرته وأقاربه، ولم يكن له حسابات في البنوك، ولم تظهر زوجته في الحياة السياسية والعامة لممارسة أى دور، أو للتمتع بما يتيحه منصب زوجها، أو للمشاركة في الحياة السياسية، ولم يفكر عبدالناصر ولو للحظة في توريث أحد أبنائه الحكم من بعده، وعلي ذلك يعد عبد الناصر زعيما وطنياً مخلصاً، فضلاً عن كونه: "كاريزما" غير عادية لا يريد التكسب والتربح، ولكن يريد الإرتقاء بمصر وتحسين أحوالها.

ويؤخذ على عبد الناصر أن من حوله لم يكونوا على شاكلته، فمعظمهم لهم أطماع أخرى، مثل الزواج من الفنانات والراقصات، أو سرقة مجوهرات أسرة محمد على، والإنغماس فيما كانت تتمتع به هذه الأسرة، أو إذلال المصريين وسجنهم وتعذيبهم.

وكان أغلبية الضباط الأحرار شبابا في مقتبل العمر يتطلعون إلى الثروة، وليس لهم عمق ثقافى ولا وعى سياسى، فكانوا يريدون ممارسة الحكم بكل طريق وسبيل. وللتدليل على ذلك نقول أنه حين تحقق الجلاء، وقال الرئيس محمد نجيب: إن مهمة الجيش قد انتهت بتحقيقه الجلاء

وبقضائه على الأسرة المالكة الفاسدة، وبتطهير مصر عما كان يعتبر عقبة في سبيل انطلاقها ونموها، وأنه آن الأوان للجيش وضباطه الأحرار للعودة إلى ثكناتهم، وأن يتركوا السياسة لأهلها الذين يجيدونها ويفهمونها، وحينما قال ذلك رفض الضباط بشدة وبإصرار، وبدأو في محاصرة الرجل.

وقد حققت الثورة في عهد عبد الناصر تغييرات جذرية، بعضها إيجابي، كالتحرر الوطني، وطرد المستعمر، وإسقاط النظام الملكي. ويعتبر عام ١٩٥٢ علامة فارقة في مسيرة الديمقراطية، إذ عطلت ثورة ١٩٥٢ دستور ١٩٢٣، وهي بذلك استبدلت الشرعية الدستورية بشرعية ثورية تعتمد على منطق الثورة، وقد لا تستقيم الضرورة مع نهج الدستور. ويؤكد واقع الأمر أن "كاريزما عبد الناصر" مثلت لديه بديلا للاستفتاءات والانتخابات، فالهوس بالزعيم والتعلق بالقائد يعمى الأبصار ويستهوى الأفئدة، خصوصا إذا كان الزعيم من طراز ذلك البطل القومي. بحجمه في التاريخ وقيمته على المسرح السياسي.

وقد أصدرت الثورة وثيقة أولية تعبر عن توجهاتها الجديدة المختلفة جذريا عن الحقيقة السابقة، وفى عام ١٩٥٤، صدر الدستور المؤقت، واستمر حين صدور الدستور الدائم في عام ١٩٧١ بعدما تغيرت بعض التوجهات السياسية في عهد الرئيس الراحل أنور السادات.

ولقد جاء دستور ١٩٧١ لترسيخ نظام سياسي سلطوي، ولتجربة اشتراكية سادت في الخمسينات والستينات، وارتبط بالاقتصاد المركزي والتنظيم السياسي الواحد، والإعلام الموجه القائم على التعبئة، وخدمة النظام وعيب عليه افتقاره إلى التنوع والحرية في كافة الآراء والإتجاهات الفكرية السياسية والتزاوج بين السلطات الثلاث (التنفيذية والتشريعية والقضائية)، مع طغيان الأولى على الأخريات .

ولقد ظل العمل بهذا الدستور إلى أن أدخلت عليه تعديلات عام ١٩٨٠ بإدخال المادة الثانية الشهيرة التى تنص على أن "الشريعة الإسلامية هى مصدر رئيسى للتشريع". ولقد جاء هذا التعديل ليس استجابة لمطالب شعبية، وإنما ورد كجزء من صراعه السياسى مع القوى اليسارية والناصرية التى هيمنت على المشهد السياسى في الخمسينات والستينات.

ثم جاء التعديل الثانى عام ١٩٨١، ليعيد صياغة المادة الثانية نفسها بصورة أقوى، وصيغت المادة فى الآتى: الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع، ولقد جاء هذا التعديل ليس استجابة لمطالب مرفوعة، ولكن ليعطى تبريرا وشرعية لتعديل آخر يخص المادة (٧٧) التى كانت تنص على فقرتين محددتين لرياسة الجمهورية كل منها ست سنوات، ليجعلها مفتوحة – أى يجوز انتخاب رئيس الجمهورية لمدد أخرى – أى يجعلها مدى الحياة .

وأدخل تعديل ٢٠٠٧ بعض التعديلات الشكلية، كإضافة مادة "المواطنة"، وإزالة لفظ الاشتراكية من العديد من المواد الأخرى، وذلك للإيحاء بالتوجه نحو الليبرالية في الاقتصاد. وقد اتضح بعد ذلك أنه لم يكن ليبراليا، ولكن صيغ هكذا ليغطى على فساد جماعات ذات مصلحة.

ولقد أوصى هذا الدستور الأخير بضرورة أن تكون المجالس التمثيلية بنسبة ٥٠% من العمال والفلاحين – ليس دفاعا عن الطبقات – وإنما لضمان التعبئة والحشد للنظام، كذلك بقيت المواد الخاصة برئيس الجمهورية على حالها من التضخم والسلطوية، فضلا عن قيد حرية الإعلام والصحافة، ووضعها تحت الإشراف المباشر للمجلس الأول للصحافة، بما يضمن ولاءها

للنظام وليس لمبدأ حرية التعبير. لذلك تطلع العهد الجديد ثورة ٢٥ يناير دستورا جديداً[١].

ولا يفوتنا أن نقول أن الفضل يرجع للسادات في محاولة بعث الحياة الديمقراطية بعد عقدين من الرخاء لكى تبدأ تجربة المنابر السياسية التى تحولت إلى أحزاب رسمية أدى ظهورها إلى انفراج في الحياة العامة، واتساع في مساحة المشاركة السياسية، وإثراء للديمقراطية.

وفى ١٨ يناير ١٩٥٣ وبعد منتصف الليل أذاع بيان القائد العام للقوات المسلحة يعلن فيه: على جميع الأحزاب السياسية مصادرة جميع أموالها لصالح الشعب بدلا من أن تنفقه في بؤر بذور الفتنة والشقاق، وأعلن فيه أيضا قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات: حتى تتمكن من إقامة حكم ديمقراطى دستورى سليم "وجاء في نفس البيان"، ومن اليوم لن نسمح بأى عبث أو أضرار بمصالح الوطن، وسنضرب بمنتهى الشدة كل من يقف في طريق أهدافنا التى صنعتها آلامكم البطولية. وقد احتفظت الثورة حتى صدور قانون حل الأحزاب بعلاقات طيبة مع الأخوان المسلمين .

وقد اعتقد مجلس قيادة الثورة، أنه قادر على ملئ الفراغ السياسى الناتج عن حل الأحزاب ووقف نشاطها بتكوين (هيئة التحرير) التى أعلن قيامها يوم ٢٣ يناير ١٩٥٣، وافتتح مقرها في ثكنات الحرس الملكى (سابقا) بميدان عابدين يوم ٦ فبراير وقام بالإشراف على هيئة التحرير إبراهيم الطحاوى وأحمد عبد الله طعيمة، وكان التصور أن تملأ هيئة التحرير الفراغ السياسى في مصر، ولكنها لم تستطع أن تضم إلى صفوفها أحد من الذين مارسوا

١- انظر. د. هالة مصطفى. الثورة المصرية – عودة الروح والوعى. نقلاً عن مجلة الديمقراطية ٢٧ يناير، ص ص٩- ١٢.

العمل السياسى من قبل عدا قلة محدودة كذلك فإن قبضة الجيش فيها كانت واضحة.

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ تم إلغاء النظام الملكى وإعلان الجمهورية، وعندما أعاد محمد نجيب تشكيل الوزارة اختير جمال عبد الناصر لمنصب وزير الداخلية. وخلال صيف ١٩٥٣ كانت مظاهر الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر قد بدأت تظهر على السطح، وذلك على أثر إبراز بعض الصحف المصرية جمال عبد الناصر على أنه هو الرجل القوى في مجلس قيادة الثورة وجمال نفسه كان يحاول إبراز هذه الصورة. وقد انتهت أزمة مارس ١٩٥٤ بخروج محمد نجيب وبروز جمال عبد الناصر.

وبدأت الثورة مفاوضات الجلاء والاتفاق على خروج قوات الاحتلال يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦، مستهدفة بذلك ممارسة الحرية .

ولتحقيق مبادئ ثورة ١٩٥٢ صدر قانون الإصلاح الزراعى رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ بعد ٤٥ يوم من قيام الثورة في ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ بهدف علاج سوء توزيع الأراضى الزراعية، ويقضى على الإقطاع، وسيطرة رأس المال على الحكم، مما يعد دعماً للحرية .

ويقول د. يونان لبيب رزق بأن الملكية الزراعية قد حددت بمائتى فدان، وتأثر بهذا القانون أكثر من ألفين من الملاك الزراعيين ... وقد حاول البعض مقاومة تنفيذه، فكان الرد السريع بإقامة محاكمات عسكرية للمعترضين(١).

وكان الشعب فقيرا، ٩٠% من الشعب فقير، و١٠% يملكون ٨٠% من ثروة البلد وطالب بالتحول إلى الإشتراكية، حيث تكون الدولة لها اليد الطولى في كل شئ، فالمتاجر تستورد السلع التى تريدها، وتحدد الدولة سعر البيع،

١- طارق حبيب. المرجع السابق. ص ص١١٢- ١١٣.

فقد أمدت الدولة التاجر بالنقد الأجنبى، هو الذى يكسب، وعلى ذلك فالدولة ممكن أن توزع وتؤمم وتضع يدها على هذه الحالات .

وقد حاول عبد الناصر أن يجعل الرأسمالية المصرية تسهم في مشروعات التنمية، ولكنها لم تستجب لذلك، فاتخذ عبد الناصر قرارا سنة ١٩٥٩ بالتدخل في شئون البورصة، فقررت الرأسمالية المصرية الامتناع عن المساهمة في المشروعات وجاءت أول سنة في الخطة الخمسية ٥٩، ٦٠ ولم تساهم الرأسمالية الوطنية وفكر عبد الناصر بإيحاء من الروس أن تصبح الدولة هى المالكة، فكان التأميم، والتأميم معناه ملكية الشعب لمصادر الإنتاج والتى هى ملك للفرد فتصبح ملك للدولة. واتخذ عبد الناصر إجراءات تأميم بنك مصر والبنك الدولى، أما البنوك الأخرى فكانت تحت السيطرة الأجنبية، حتى البنك الأهلى. وفى سنة ١٩٦١ أجرى تأميمات شاملة حتى يستطيع السيطرة على المدخرات الموجودة، ويقيم خطة تنمية، وبالفعل عمل الخطة الأولى.

فخطط بإقامة المصانع الكبرى التى لا يمكن للقطاع الخاص أن يقوم بها مثل: صناعة الحديد والصلب، ومثل كيما في أسوان، وهى أكبر صناعة سماد، ومثل: السد العالى، ومع الوقت أمموا ممتلكات القطاع الخاص.

وبنت الثورة المصانع والمدارس، والمستشفيات، وأنصفت العمال، وحصلوا على خدمات صحية في المستشفيات، وتعلم أبناء المصريين مجانا، وتم إعادة بناء الجيش المصرى، وأصبحت مصر ثورة إقليمية لها مكانتها، ويحسب لها حساب، وواجهت الثورة الاستبداد والفساد والمظالم الاجتماعية التى جعلت ثروات البلاد حكرا على نصف في المائة من السكان، واستهدف جمال عبد الناصر إقامة اتحاد بين الدول العربية تحت شعار الاشتراكية وعدم الإنحياز.

وتجلى اسم عبد الناصر في أمرين هامين، همــا: مــؤتمر بانــدونج، ورفض الأحلاف. ففى ابريل عام ١٩٥٥ عقد مؤتمر باندونج، وفيه كتبـت شهادة ميلاد مجموعة دول عدم الإنحياز، والحياد الإيجابى. إذ قابــل عبــد الناصر نهرو وشو إن لاى رئيس الصين، وتيتو، إلى جانب سوكارنو. ويعبر هذا المؤتمر عن اتحاد وتعاون الدول الإسلامية، بما فيها إندونسيا أكبر دولة إسلامية في العالم، وكذلك باكستان وماليزيا .

وفى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٦٥ صدر القرار الجمهـورى رقــم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦ بتأميم قناة السويس. وقد غضب الغرب عندئذ: إيــدن رئــيس وزراء بريطانيا، وجى موليه رئيس وزراء فرنسا، وانضم إلــيهم متــزيس رئيس وزراء استراليا، الذى زار القاهرة بمشروع لتــدويل القنــاة، وقــرر الغرب سحب المرشدين الأجانب يوم ١٤ سبتمبر، بعد تجميد أموالنــا فــي باريس ولندن. وتلى ذلك صدور أمر عــسكرى بفــرض الحراســة علــى المؤسسات البريطانية والفرنسية، ثم صدرت في يناير ١٩٥٧ قوانين تمصير المؤسسات الاقتصادية وتحريرها من السيطرة الأجنبية.

وفى مساء الأثنين ٢٩ أكتوبر بدأ العدوان الإسرائيلى على مــصر ... وهوجمت الكونتيلا، ثم هوجمت أبو عجيلة، وبدأت المعارك في رفح وشرم الشيخ. وكانت مصر قد قطعت علاقتها بكل من فرنسا وإنجلتــرا، واعتــدت الطائرات البريطانية والفرنسية على القاهرة. كما أغارت الطائرات على مدن القناة والإسكندرية، وعلى محطة الإذاعة في أبو زعبل، وبلغ عدد الطائرات الجوية على بورسعيد الباسلة ١٠٠٠ غارة، واستبسلت بورسعيد في الــدفاع وصد العدوان، واضطر عدد كبير من سكانها إلى الهجرة.

وقد استقال همرشيلد سكرتير عام الأمم المتحدة احتجاجا على الموقف. ووجهت روسيا بقيادة خروشوف وبولجانين وزير الخارجية إنذارا بعد قرار

الأمم المتحدة الذى جاء بالأغلبية لوقف إطلاق النيران وانسحاب المعتدين ... وتدخلت أمريكا لإجبارهم على الإنسحاب .

وقد بلغت خسائرنا من الأرواح أثناء كفاحنا في سينا وبورسعيد ٢١٠٠ من العسكريين ونحو هذا العدد من المدنيين. وانسحب المعتدون، وأعلن إيدن استقالته في أوائل سنة ١٩٥٧ لفشله، وعادت الملاحة في قناة السويس.

وفى يناير ١٩٥٧ كشرت أمريكا عن أنيابها وأرادت بالضغط ضم العرب إلى حلف بغداد وجمدت أموال مصر. ورفضت تزويدنا بالأغذية والأدوية .. وصرحت بأن هناك بعد انسحاب فرنسا وانجلترا فراغا في المنطقة نرى ضرورة ملئه وأعلن ايزنهاور هذا المبدأ ورفضه عبد الناصر.

وبدأ بناء السد العالى بأموال وسواعد المصريين. وكان المهندس عثمان أحمد عثمان والمقاولون العرب وراء هذا الإنجاز الكبير، وقد استغرق العمل في هذا المشروع عشر سنوات كاملة[١].

ورفع جمال عبد الناصر شعار القومية العربية. وكان حلف بغداد قائماً في نفس الوقت، لخدمة المصالح الاستعمارية وكان حكوماته ست دول هى: إيران والعراق وتركيا وباكستان وبريطانيا وأمريكا. بصفة مراقب. وهو حلف بمقتضاه تعطى شرعية للتواجد العسكري وللنفوذ الاقتصادى والسياسى بالتبعية في المنطقة العربية بأكملها. وهو حلف يصنع جدارا للامتداد الشيوعى. وقد حاول الحلف إدخال بعض البلاد العربية وخاصة الأردن.

وقد تهيأ الطريق للوحدة العربية حينما تعرضت سوريا لضغوط خارجية، فأضطر عبد الناصر إلى إرسال قوات إلى سوريا لمساندتها وتأكيد الدعم المصرى لها. وقبل وصول القوات المصرية في أكتوبر ١٩٥٧ كانت

١- أنظر: طارق حبيب، ملف ثورة يوليو، ص ص١٩٤- ٢٠٤.

الجنود التركية تتجمع على الحدود السورية، وكان لبنان يتعرض لغزو عسكرى من الأسطول الأمريكي السادس. وقد جاء وفد سورى إلى مصر وعرض أن على مصر أن تقود، وعرض فكرة الوحدة، فمشى عبد الناصر في خطوات الوحدة .. وتحققت الوحدة عام ١٩٥٨.

ولقد اختار عبد الناصر طريق الاشتراكية، وكانت سوريا بطبيعتها دولة رأسمالية، وكان الصدام العسكرى قد بدأ منذ الأسابيع الأولى. وهكذا كان عُمْر الوحدة قصيراً .. ولم يدم طويلاً، فقد شعر السوريون وهم القطر الأصغر أن مصر تحاول أن تفرض إرادتها، واعترضوا على قانون الإصلاح الزراعى. ولم يقتنعوا بإعلان الإتحاد القومى، وأدى ذلك إلى نفور السوريين من الوحدة، واستقال بعض الوزراء السوريين وهم في مصر فجأة، وقتل فيما بعد أحد وزراء الوحدة في القاهرة على يد شاب سورى .

وهكذا كانت القرارات الاشتراكية سببا في الانقلاب إذ حدث الانقلاب يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ على أيدى بعض فرق الجيش السورى ... ومنهم مدير مكتب المشير نفسه ... عبد الكريم النحلاوى.

ويرجع البعض: (عبد اللطيف البغدادى) الإنفصال إلى تصرفات عبد الحميد السراج من سوريا، والطرق البوليسية التى كان يتبعها وتذمر الشعب السورى منها؛ حتى أطلق عليه اسم السلطان عبد الحميد، وهناك خطأ آخر يتمثل في طريقة إدارة دفة الجيش. وكان عبد الحكيم عامر عادة يترك الأمور لمساعديه، وهم لا يحسنون التصرف لدرجة إهانة وجرح كرامة كثير من الضباط السوريين .

وهناك من يرجع الوحدة والإنفصال إلى حزب البعث، فحزب البعث هو الذى عمل الوحدة وهو الذى أراد الانفصال، حتى استولى على الحكم في سوريا. وقد أدى الإنفصال إلى إضعاف فكرة الوحدة العربية، وأصيب الرئيس

عبد الناصر بالإحباط الشديد أثر ذلك في صحته وشخصيته[١].

أما التغييرات السلبية فتتمثل في الحكم الاستبدادى البوليسى الذى أدى إلى تغييرات في البناء السياسى والإجتماعى والاقتصادى وهزت البنية القيمية، وأشاعت فيها استبدادية قهرية، ففور محاولة اغتيال جمال عبد الناصر في المنشية بدأت حملة الاعتقالات. ناهيك عن أنواع التعذيب التى حدثت في السجن الحربى. والتعذيب ليس له علاقة بمسألة الاعتراف، طابور يقف فيه المعتقل منذ الصباح حتى الظهر في ساحة السجن الكبير والعسكر واقفة بالكرباج تضرب في الناس لمدة شهر، وكانت آثار التعذيب ظاهرة على أجسامهم وتكونت محكمة الشعب، وأصدرت حكمها ضد الإخوان بالإعدام، ونفذ الإعدام في ستة منهم[٢].

وكان جمال سالم رئيس المحكمة .. وفيه يقول عبد العظيم رمضان. جمال سالم ومجموعته .. قضاة عسكريون ينظرون في عشرين أو ثلاثين قضية في ست دقائق بالإعدام ... هل هذا معقول؟! لاشك أن صفة القضاء بهذا الأسلوب أيام جمال عبد الناصر كانت سوداء[٣].

وعندما تفجرت قضية كفر الدوار عقب مظاهر احتجاج قام بها عمال بشركة مصر للغزل والنسيج الرفيع، من يومى ١٢، ١٣ أغسطس للمطالبة ببعض الحقوق العمالية، تعرض البوليس لهم، ثم حدث اشتباك أدى إلى اشتعال بعض الحرائق، والاستنجاد بقوات الجيش التى تصادمت مع العمال، وانتهى الأمر بمصرع ثلاث جنود وثلاثة عمال وجرح ٢٨ شخصا وتشكلت محكمة عسكرية وكانت المحاكمة سافرة العدوان على حقوق المتهمين، ومنهم

١- د. أحمد عبد الله المحرر وآخرون. الجيش والديمقراطية في مصر. ص١٢.

٢- د. أنور عبد الملك. المجتمع المصرى والجيش. ص٢٣١.

٣- طارق حبيب. المرجع السابق. ص ص١٧٥- ١٧٦.

محمد مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى وعدد من المتهمين من بينهم صبى في الثامنة عشر من عمره.

وقد أصدرت المحكمة حكمها على محمد مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى بالإعدام، وصدرت أحكام بالسجن على باقى المتهمين وقد صاح مصطفى خميس قبل إعدامه أنا برىء ومظلوم – أريد إعادة محاكمتى.

وفى هذا الصدد يقول عبد المنعم أمين أن حكم المجلس العسكري لم يكن بالإجماع مما يتعارض مع قانون الأحكام العسكرية، كما أن تصديق مجلس قيادة الثورة لم يكن بالإجماع أيضا. فقد اعترض على الحكم بالإعدام ولم يوافق عليه جمال عبد الناصر ويوسف صديق وخالد محيى الدين، وكان محمد نجيب مترددا في التصديق على الحكم. وقد أثارت هذه المحاكمة عاصفة شديدة من النقد على المستوى المحلى والعالمى، وصوّر الثورة على أنها حركة رجعية فاشية[١].

وأرست ثورة يوليو قواعد الاعتمادية على النظام، والسلبية والفهلوة، وادعاءات البطولة الزائدة، والسير وراء الزعيم بأعين مغمضة وأصوات هاتفة وقلوب مليئة الحماس الجارف بلا دليل.

وفى هذا يقول أحمد حمروش أنا هنا – أريد أن أضع حدا فاصلاً بين عام ١٩٥٢، وعام ١٩٥٣، ففى عام ١٩٥٢ كان كل الناس مع الثورة. أما في عام ١٩٥٣ كانت الثورة قد ضربت الأحزاب، وألغت الدستور. وبدأ يتكون لها أعداء من الجبهة الداخلية سواء من الوفديين أو الشيوعيين أو الإقطاعيين. وكان صدور الجمهورية في ذلك الوقت من المفروض أن يعبر عن ذلك، ولكن هذا لم يحدث[٢] .

١- أحمد حمروش. المرجع السابق. ص ص٢٥٨- ٢٩٠.

٢- رشاد كامل. الصحافة والثورة – ذكريات ومذكرات. ص ص٦٩- ٧٠.

وكانت الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٧ سنوات حاسمة. كما يقول أحمد حمروش. فقد صدر الميثاق الوطني، وقد أيده البعض، ورفضه البعض الآخر وتم تفسيره مليون تفسير. وكانت فترة قلقة بالنسبة للجماهير .

ورفعت الثورة سلاح التطهير، ومطالبة الأحزاب بتطهير نفسها، وصحبتها حملة اعتقالات. ويقول أحمد أبو الفتح، كانت التطهير سلاحا مشهرا على مستقبل كل موظف في الدولة، ولذلك اندفعت غالبية الموظفين نحو التنافس في النفاق والتجسس. فقد فقد مئات الموظفين وظائفهم لمجرد أنهم ينتمون بصلة قربى أو نسب لبعض كبار السياسيين القدامى، أو لأنهم سبق أن عرفوا بميله للأحزاب السياسية[١].

وكانت حرب اليمن من سوء الطالع لمصر، حتى قال بعضهم لجمال عبد الناصر إحنا تورطنا في حرب اليمن مثلما تورط الأمريكان في حرب فيتنام فلقد بلغت خسائرنا في اليمن ما بين ١٠- ١٥ ألف عسكرى شملت ضباط برتب كبيرة ماتوا. ويقول ثروت عكاشة عن حرب اليمن أن لها إيجابياتها وسلبياتها. أما إيجابياتها فهى تحرير اليمن من أغلال العصور الوسطى، أما سلبياتها فتتمثل في أنها أحد العوامل الأساسية في هزيمة ٦٧.

أما الصحافة في عهد جمال عبد الناصر فقد عبرت عن اتجاهات وانتماءات مختلفة ورأى البعض من الصحفيين أن الثورة خلال الفترة من ١٩٥٢- ١٩٦٠ كانت لها مواقف عزبية متباينة أرضت البعض ولم ترض البعض الآخر، فهناك مواقف ضد الديمقراطية، ومواقف معها، ومواقف ضد الاستعمار والأحلاف العسكرية، ومواقف مع العمال والفلاحين، ومواقف مع الوحدة العربية.

١- طارق حبيب. المرجع السابق. ص١٣ .

ولقد قال البعض أنه في أعوام الستينيات لا تستطيع القول أنه كان هناك ديمقراطية تناقش القائد في قراراته، ولا حتى مؤسسات تقول له أخطأت في هذا. فلقد كان الإندفاع الثورى مستمراً .. وكان عبد الناصر هو الحاكم المطلق. وعندما تم تأمين الصحافة عام ١٩٦٠ كان لعبد الناصر كلمته المأثورة أنا عاوز الصحافة تتكلم من كفر البطيخ، وليس سكان القصور والفيلل[١] .

ولقد حدثت أخطاء في عهد عبد الناصر أدت إلى الكثير من السيئات والسلبيات، فقد أصبح الإتحاد الاشتراكى هو الذى يملك الصحف، فهى الذى يعين رئيس التحرير، والآن أصبح مجلس الشورى. وإذا كانت قضية الموهبة الصحفية رئيسية في نجاح الصحافة، فإن المسئولية الوطنية والإجتماعية أيضا ضرورية وخصوصا في مرحلة التحول الاجتماعى. وفى عهد جمال عبد الناصر كانت هناك عناصر غير معبرة عن الفكر الاشتراكى فعلاً. ولقد قال الميثاق إننا في مرحلة التحول الاشتراكى فعلا، وفى نفس الوقت امتلأت السجون الاشتراكية وحين خرجوا من السجن لم تعطى لهم الفرصة كى يتولوا مسئولية التحول الاجتماعى .

وحدث في عام ١٩٧٢ نقلت هيئة النظام ١٠٤ صحفيين إلى الإستعلامات، وخرج من الصحافة المصرية، محمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين، وأحمد حمروش، وإحسان عبد القدوس، وعبد الرحمن الشرقاوى، وهم الذين يتولون مراكز المسئولية، فأصبحوا بعد هذا الإخراج بعيدين عن مركز المسئولية.

وقد أدى قانون الطوارئ إلى شيوع حالة من الخوف والقهر وانعدام الثقة بين السلطة والشعب، وأطلق يد السلطة الأمنية في كل صغيرة وكبيرة

١- رشاد كامل. المرجع السابق. ص٧٥ .

في حياة الناس، وفى تعيينات الوظائف على كل المستويات، والترقيات، واختيار الوظائف القيادية، والإنتخابات. والطبقات وتغلغل الفساد محميا بالسلطة، ووصل عناصر تفتقد الى الكفاءة والضمير إلى مراكز عليا تحت سقف الطاعة والولاء، وفى نفس الوقت استبعدت العناصر الموهوبة والمتميزة من مراكز التأثير والتوجيه أما بقية الناس فقد تحولوا إلى أغلبية صامتة تسعى إلى أن تحصل على لقمة عيشها وعيش أبنائها.

ولقد أدى الزحام الشديد في المدن والقرى إلى الإحساس بالضيق والاختناق والحرارة الزائدة خاصة في الصيف. بالإضافة إلى ارتفاع معدلات التلوث السمعى والبصرى، فتنامت حالة من العصبية وسرعة الاستثارة والعدوان. وعرف المصريون الزلازل فاهتز الإحساس بالاستقرار بعض الشئ، ولم تعد خيرات الأرض تكفى المصريين، واضطر المصريون إلى السفر شرق البلاد وغربها باحثين عن لقمة العيش لأسرهم. وحين يعودون يحملون في رؤوسهم أفكارا وتوجهات تنتمى إلى بيئات وثقافات أخرى، وضعف الانتماء، لأن البيئة المصرية لم تعد معطاءة، كما كانت، ولم تعد مستقرة كعهدهم بها.

ولقد أصبح العنف والميول العدوانية سائدا، يرجع هذا إلى الأزمات والمشكلات البنيوية التى يعانى منها المصريون، ولجأ النظام الحاكم هو الآخر إلى ممارسة العنف، وبدلا من أن يبحث عن حلول حقيقية وواقعية لهذه الأزمات، راح يعمل على القمع وتقييد الحريات. ويمنعها، مما دفع المجتمع إلى ممارسة الاحتجاج على السلطة والعدوان والرد على العنف الرسمى بعنف مضاد هو العنف المادى والمعنوى .

يقول يوسف إدريس بعد أن أعتقلت تم ترحيلى مباشرة إلى سجن القلعة، ورأيت بعينى حوادث التعذيب الرهيبة التى كنا نتعرض لها. وكان

الإخوان المسلمون يأتون بى لأكون شاهدا على هذا التعذيب من نفخ وضرب وجلد. ورأيت شبابا صغارا من شدة التعذيب تبدو ظهورهم وكأنها محفورة من لسع السياط. ثم خرج يوسف إدريس من السجن عام ١٩٥٥ .

وعندما كتب يوسف إدريس قصة العسكرى الأسود، والتى كانت صرخة احتجاج مبدأ الاعتقال السياسى. والهوان والتعذيب الذى يلقاه المسجون السياسى، وأراد أن ينشرها ضمن مجموعة قصصية تضم معها أربعة قصص أخرى، حدث اعتراض على نشر المجموعة كلها بسبب "العسكرى الأسود"، ولم تنشر إلا بتدخل صلاح سالم نفسه، وعلى مسئوليته الشخصية[١].

وكانت نكسة ١٩٦٧ هى قمة التعبير عن خداع الذات والتسليم لزعامات كاريزمية بعيدة عن التخطيط السليم والموضوعية، وخلقت جروحا وندوبا، وفقدان الأمل بين الشباب. ولكن الشعب المصرى قد استطاع أن يستوعبها ويجعل منها متسعا لتغير عميق أصاب السلوك وامتد إلى مناحى الحياة المختلفة يرتفع ويسمو بها .

وترجع الهزيمة إلى ظروف غامضة هزت من تقاليد هذا الشعب الذى ظل طوال حياته يحافظ على قيمه وعاداته وذاته مما استدعى ضرورة علاجها. ولكن الضربة بصدمتها أحدثت صدمة وتغيرات جذرية في الشخصية المصرية، وكان شبابنا أكثر تأثرا بذلك، فأرجوا الهزيمة إلى البعد عن الله، وبحثوا عن هوية دينية بعد قتل الهوية القومية الاشتراكية التى نادى بها زعماء الثورة وامتدت إلى العالم العربى والإسلامى، ولكى يتم الخروج من الأزمة لابد من العودة إلى الله .

١- رشاد كامل. المرجع السابق. ص ص١٤٢- ١٤٤.

ولقد كان السادات هو المسئول عن وجود الجماعات المتطرفة، وزادت قوتها بعد أن فتح لهم الطريق لينشطوا في الجامعات والتنظيمات المختلفة، بغية إحداث توازن مع الجماعات اليسارية المتهمة بالعداء لحكمه ولسياساته. ولكن التقليب في التاريخ السياسى لأنور السادات يوضح أنه قد مر على جماعة الإخوان المسلمين. ولكنه لم ينخرط فيها مثلما فعل غيره من الضباط الأحرار، بل أنه كان أشد إعجابا بالتنظيمات النازية، والحركات الفاشية ولذلك لم يجد تجاوبا مع التنظيمات الدينية بالرغم مما يبدو عليه من سمة دينية.

وكان لتوقيت وصول صالح سرية أردنى من أصل فلسطينى إلى مصر عام ١٩٧١، أثرا حاسما فى بلورة فكرة الإنقلاب العسكرى، خاصة وأنه سبق اتهامه بالاشتراك في محاولة اغتيال أحمد حسن البكرى، وفر إلى سوريا فالأردن وارتبط بحزب التحرير الإسلامى قبل أن يأتى إلى مصر عام ١٩٧١، لكى يحصل على درجة الدكتوراة في التربية من جامعة عين شمس عام ١٩٧٢ .

ونجح سرية في تكوين تنظيم واسع ومتنوع جغرافيا ... وأمام ضغط الشباب المتحمس، والإلحاح الدائم، اضطر صالح سرية إلى الشروع بوضع خطة لاغتيال الرئيس السادات مع كبار قياداته بالمطار عند عودته من زيارة خارجية ليوغوسلافيا. وقد ألغيت الخطة لعدم قيام المجموعة لما كلفت به.

ثم وضعت خطة محاولة الإنقلاب التى قادها صالح سرية، وعرفت بقضية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ وتعتمد على الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية بمهاجمة حرس بوابة الكلية في حين دخل عدد كبير من الشباب إلى الكلية، ثم بعد ذلك الاستيلاء على الأسلحة والسيارات والمدرعات من الكلية بمساعدة الطلبة، أعضاء التنظيم داخل الكلية .

ومع بداية التحرك تسلل اثنان من التنظيم أحدهما توجه إلى وزارة الداخلية، والثانى إلى رئاسة الجمهورية، وقاما بالإبلاغ عن الخطة، فتوجهت قوة من الأمن المركزى إلى الكلية الفنية العسكرية، ليتم إجهاض الهجوم في بدايته. وقد صدر الحكم بإعدام صالح سرية وكارم الأناضولى وطلال الأنصارى، ولكن قرر السادات تخفيف الحكم الصادر عليه بالإعدام إلى المؤبد، بعد توسط والده الشاعر السكندرى عبد المنعم الأنصارى[1].

واتبع السادات سياسة الإنفتاح الاقتصادى والتى جلبت عددا من التطورات السلبية التى انعكست على الحياة الإقتصادية والإجتماعية، وتحولت إلى نوع من الإنفتاح الإستهلاكى دون سواه. وتبع الانفلات الاقتصادى تنامى القيم الاستهلاكية والرغبة في الثراء السريع دون جهد حقيقى. وهذا انفتاح غير مدروس أصاب عن ظهور طبقة جديدة اقتنصت الفرص بشراهة من أجل تحقيق ثروات في مرحلة الانتقال قد تعجز عن تحقيقها في مرحلة الاستقرار الاقتصادى والثبات المالى. وفى ظل هذه الظروف شاعت قيم الخفة والفهلوة وانتهاز الفرص. كما تبع السفر إلى بلاد الخليج وغيرها من الدول العربية تغيرا في الأنماط الاستهلاكية والثقافية والدينية تبعا للنموذج الخليجى، مما أدى إلى زعزعة استقرار النماذج القائمة والمستقرة لصالح النموذج السلعى من ناحية، ولصالح النموذج المستغرب من ناحية أخرى، ذلك لأن العولمة والتى فتحت السماوات للقنوات الفضائية والإنترنيت، فتحت الأسواق لكل ما هو جديد، وفتح شهية المتلقى للمزيد من الجديد والغريب والمثير.

ولقد تدنى مستوى المشاركة السياسية، وخاصة بالنسبة للشباب في اتجاه القرارات التى تمس حياة المواطن. حتى داخل الأسرة أو المدرسة أو الحى

١- رياض حسن محرم. الجماعات السلفية الجهادية .. وفقه التغير (٢٠٠٨/١/٩م).
http.www.ahewer.

السكنى، أو العمل، أو العضوية العمالية والنشيطة في التنظيمات الشعبية والرسمية. وقد صاحب ذلك سيادة ركود العمل السياسي، والفراغ السياسى، الذى أصاب الشباب في الجامعات، ويرجع ذلك إلى عدم فعالية لجان الإتحاد الاشتراكى في العمل الرسمي، وضعف الروابط بين الأساتذة والمدرسين والمعيدين وبين الطلبة، مما كان له أثره على العمل السياسى والذى بدى في صورة عدم المبالاة بالتنظيم نفسه .

وقد أدى ذلك كله إلى نوع من اليأس والإحباط وانعدام الثقة في المجتمع ومؤسساته، بالإضافة إلى عدم وجود تعددية سياسية، والإفتقار إلى قدر من حرية التعبير، وعدم تداول حقيقى للسلطة، أدى بدوره إلى حرمان القوى السياسية والاجتماعية من التعبير السياسى والشرعى، وإلى تجاهل مطالبة الأقليات وقمع الجماعات المعارضة، بل عمل على تهيئة التربية للضعف والإرهاب.

يضاف إلى ذلك إخفاقات التنمية، والتفاوت الصارخ في مستويات المعيشة، حيث يأتى الطعام الجيد إلى بعض الطبقات العليا من الخارج، ويأكل بعض المواطنين من الطبقات المتدنية من أكياس الأكل المرمية في صناديق جمع القمامة، كذلك فإن البطالة التى يعانى منها المواطنون من جميع المستويات، وتدنى مستوى الحياة والعيش الكريم من الحقائق التى تساهم في بروز ظاهرتى العنف والإرهاب. فعندما لا يجد الشاب ما يشغل فكره ويثرى عقيدته ويملأ فراغه فإنه يكون فريسة سهلة لأى خلية إرهابية.

وفى ظل هذه الظروف أصبح منطق القوة هو السائد فكل فرد يريد أن يأخذ حقه بيده بعد أن فقد الإحساس بالعدالة خاصة في ظل بطء إجراءات التقاضى. ولقد صارت العشوائيات بؤرا للفساد والإجرام، خاصة مع ارتفاع

معدلات البطالة، وإزاء هذه الأمور جميعاً قام انقلاب ضد جمال عبد الناصر وإزاء هذه الأمور جميعاً قام ١٨ انقلاباً ضد جمال عبد الناصر[١].

ولقد أجرى مركز الدراسات المستقبلية دراسة عن القيم الأصيلة التي تميز بها الإنسان المصرى، وانتفاء قيم العدالة، وانتشار ظواهر سلبية مثل المحسوبية، وتزوير الإنتخابات، والرشوة، والفساد، وغياب الطبقة الوسطى وتصعيد الفئات المنافقة على حساب أصحاب الكفاءة العلمية، كما علا شأن لاعبى الكرة والفنانين في الوقت الذى خسف فيه مقام العلماء والمفكرين والمخترعين، وبرز كذلك قيم النفاق والنفعية والوصولية، والتواكل والصعود على أكتاف الآخرين بدون مجهود، وضعف وتخلل ما يسمى بشخصية القدوة هي المليونير النصاب، والراقصة التى تتقاضى آلاف الدولارات، ولاعب الكرة الفاشل دراسياً .

وحذرت الدراسة من إلحاق الآباء أطفالهم بدور الحضانة والمدارس التى تقدم خدمات خمس نجوم، ومنها برامج دراسية، وقيم بعيدة عن الواقع. وأشارت الدراسة إلى تراجع قيم العمل الذى أصبح مرهونا بالواسطة، ومقصورا على خريجى الجامعات الأجنبية[٢].

ولقد كان رد الفعل الشعبى قويا ومنطقيا، وتبلور ذلك في أربعة أمور، هي: -

١- انتفاضة ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧، فقد هبت الجماهير تدافع عن خبزها في يناير ١٩٧٧، إذ كان السبب الرئيسى فيما حدث هو رفع أسعار بعض السلع الضرورية، وكان وما يزال الشعب المصرى لا يقف صامتا

١- طارق حبيب. ملفات ثورة يوليو. ص١٥٧.

٢- انظر: السيد أبو داود. الأمة في مواجهة الاستبداد. ص ص٤٠- ٤٥.

عندما يمس رزقه وأكل عيشه – كما يقولون. فعندما رفع حاكم مصر البرديسي قبله محمد على أسعار السلع صاح المصريون: "إيش ناخد من تفليس يا برديس".

وقد أكدت صحف المعارضة أن ما حدث هو انتفاضة وطنية، وردّ عليهم السادات بأنها انتفاضة حرامية، فهى انتفاضة الجياع لا انتفاضة وطنية. وأعلنت الحكومة وقتئذ على لسان رئيسها ممدوح سالم أن ما حدث هو مؤامرة تستهدف قلب نظام الحكم قام بها اليساريون، والشيوعيون، والناصريون للقضاء على ثورة ٢٥ مايو وبالتالى جميع إنجازاتها السياسية والعسكرية والإقتصادية. وقد أيد سيد فهمى وزير الداخلية آنذاك وجهة نظر رئيس الوزراء .

وقد وضع القضاء المصرى نهاية للمأساة، وذلك بحفظ القضية المتهم فيها أكثر من ٤٥٠ مواطنا بتهم مختلفة تتدرج ما بين التخريب وأغلبها محاولة تعطيل الدستور وقلب نظام الحكم، وقال في وضوح أن ما حدث رد فعل طبيعى لرفع أسعار السلع الأساسية[١].

وكان السادات وقت حدوث هذه الأحداث في أسوان. وهناك انضرب بالطوب، وهو في طريقه للمطار. وقد أصابه هذا بفزع فظيع جداً ... طار بطائرته من أسوان إلى سيناء ليكون بجوار الجيش. ويبدو أنه أحس بإحساس أنه وشاه ايران المطرود قد انهار نظامهما. وأعلن السادات سحب القرارات الاقتصادية، وإعادة الأسعار على ما كانت عليه. ويقال أنه منذ هذه اللحظة ارتد السادات عن الديمقراطية[٢].

١- سعد الدين وهبة. الذهب الثالث لمصر. مين. ص ص٩٥- ٩٧ .

٢- انظر: رشاد كامل. المرجع السابق. ص٢٦٩ .

وفى ٢٥ فبراير ١٩٨٦ وقعت أحداث الأمن المركزى. وانتفضت جنودها في منطقة الأهرامات، وتطورت على نحو واسع، وفوجئ بها الجميع. وقد انطلقت الانتفاضة من معسكرين من معسكرات الأمن المركزى، يقع أولهما على الطريق بين القاهرة والفيوم، ويقع الثانى على الطريق بين القاهرة والإسكندرية. ففى مساء هذا اليوم بدأ ثمانية آلاف جندى مظاهرات احتجاجية بعد أن ترددت بينهم أنباء تفيد بأنه تقرر مد فترة التجنيد الإجبارى لأفراد الأمن المركزى من ثلاث إلى أربع سنوات، وأن تخفيضاً صغيرا سوف يلحق بمرتبات الجنود لسداد ديون مصر وامتدت الأحداث بعد ذلك إلى ستة معسكرات مختلفة من الجمهورية، وهى القاهرة، والجيزة، والقليوبية، وسوهاج، وأسيوط، والإسماعيلية.

ويعيش أفراد الأمن المركزى في معسكرات ضخمة لا تتضمن أية مرافق مريحة، وهم ينامون على الأرض ولم تتوفر لهم دورات مياه آدمية. كما أن النقدية التى تصرف لهم لا تتناسب على ما يبذلونه من جهد شاق. فمتوسط ثمن الوجبة بعد اليوم الواحد شاملاً الإفطار والغذاء والعشاء ٩٣,٧ قرشا .

ويعمق إحساس جنود الأمن المركزى بالظلم، التناقض الموجود بين بؤس واقعهم في المعسكرات، والرفاهية البادية في الأماكن التى يحرسونها من بنوك وشركات وسفارات وفنادق، وملاهى وكازينوهات .

وفى مساء يوم الثلاثاء ٢٥ فبراير خرج الآلاف من جنود الأمن المركزى في منطقة الأهرامات مندفعين بخوذاتهم ورشاشاتهم وبنادقهم في مظاهرات مسلحة إلى فندق "الجولى نيل" وهو واحد من أحدث وأضخم فنادق القاهرة، ويقع في مواجهة أحد المعسكرين اللذين بدأ منهما التحرك مباشرة،

وتتيح واجهاته الزجاجية الفرصة ليشاهدوا ما يجرى من ورائهــا ليــدركوا مدى بؤس حياتهم في قراهم وداخل المعسكر.

حطم الجنود هذه الواجهات الزجاجية، ثم اقتحمــوا الفنــدق، وبــدأوا يحرقون كل ما فيه، كما قاموا بإحراق فندق هوليداى سفينكس "ومبنى قــسم شرطة الهرم، وفندق مينا هاوس، وبعض المحلات النهارية الكبرى. وخلال ساعات استطاع الجنود احتلال منطقة الهرم بأكملها شاملا ذلك مداخل طريق الأسكندرية الصحراوى، وطريق الفيوم، وترعة المنصورية .

وقد انضم إلى الجنود آلاف الصبية وآلاف المواطنين، وانقضوا علــى المطاعم والملاهى والفنادق في منطقة اهرامات الجيزة، وفى ميدان التحرير، وشوهد بعضهم يأكل الأرز بيديه الاثنين غير عابئ بهراوات الشرطة وهــى تمزق جسده.

وفى الثالثة من صباح يــوم الأربعــاء ١٩٨٦/٢/٢٦ أعلنــت حالــة الطوارئ، وتم فرض حظر التجول في تلك المنطقة. وفى حوالى الــسادسة صباحاً انتشرت قوات الجيش، واحتلت عددا من المواقــع. وبعــد معــارك ضارية استطاعت قوات الجيش أن تسيطر على المنطقة.

وقد صاحب معاهدة السلام مع إسرائيل تغيرات سريعة وبخاصة للتمييز بين مفاهيم حول إسرائيل كعدو أساسي والارتماء في أحضان أمريكــا ومــا تبعه من تغيرات ثقافية واجتماعية .

ويتساءل البعض ماذا قدم كل من جمال عبد الناصر، وأنور الــسادات وحسنى مبارك لمصر، ونقول على استحياء أن جمال عبــد الناصــر أقــام مشروع السد العالى، وأحيا فكرة اتحاد عربى تحت شعار الاشتراكية، وعدم الإنحياز.

أما أنور السادات فهو المغامر السياسي المتعاطف مع الألمان ضد بريطانيا المحتلة، وهو المتعاون مع المناضل القومي عزيز المصرى ضد من يحرمون الوطن حق الاستقلال التام والسيادة الكاملة، وهو شريك فى اغتيال أمين عثمان الذى كان يرى أن العلاقة بين مصر وبريطانيا يجب أن تكون في متانة الزواج الكاثوليكى الذى لا تنفصم عراه، وهو الذى تسلل قريبا من مشارف تنظيم الحرس الحديدى الموالى للملك، بينما هو في نفس الوقت شريك فاعل في تنظيم الضباط الأحرار مع ولاء حقيقى له، وإخلاص عميق لمبادئه. ولقد أعاد السادات استعادة كبرياء وشرف مصر، وكان حقا بطل الحرب والسلام.

. أما الرئيس السابق مبارك، فيتساءل المصريون ماذا قدم لمصر؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: إنه كان صاحب الضربة الجوية الأولى في حرب ١٩٧٣ وكان مبارك قد دعا إلى مصالحة تاريخية بين رموز مصر المدنية، فقد رد الأعتبار لمصطفى النحاس والذى يعتبره الكثيرون أكثر زعمائنا الوطنيين صلابة وطهارة، وقد وضعه مبارك في مكانه اللائق بين زعامات وقيادات الوطن. كما أن سياسيا داهية مثل اسماعيل صدقى الذى يبدو للكثيرين مجرد أداة قومية في يد القصر الملكى، وتعبيرا عن إرادة الأقلية ضد التيار الشعبى العام لا يخلو هو الآخر من درجة عالية من التميز في حنكته السياسية ورؤيته الاقتصادية تجاه عدد من القضايا لعل أهميا منظوره الفريد لأسلوب مواجهة المد الصهيونى في فلسطين عند بدايته[1] وأنشأ مبارك كذلك مترو الأنفاق الذى يعد مفخرة لمصر.

ولكن، ومع الأسف فقد أضاع مبارك ما قام به من مجهودات، إذ اتسم عهده بالفساد، في جوانب الحياة المختلفة، فيوصف هو ونجليه وزوجته

١- د. مصطفى الفقى. المرجع السابق. ص٢٣٨.

بالسلبيات التى تجاوزت الحدود. وأصاب الفساد وزراء الحكومة الذين نهبوا البلد، وترك بنية تحتية متهالكة، وظروف اقتصادية واجتماعية متدنية، وولاء كامل للولايات المتحدة .

وقد وصف عبد الرحمن الأبنودى عبد الناصر أنه ثائر، والسادات مغامر، ومبارك رئيس بالصدفة[١].

ورغم الإختلاف بين الثورتين ثورة ١٩٥٢، وثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فثورة يوليو ١٩٥٢ قام بها الجيش وأيدها الشعب، أما ثورة ٢٥ يناير فقام بها الشعب وحماها الجيش. إلا أنهما يتشابهان في أن ثورة ١٩٥٢ قامت ضد استبداد السلطة وفساد نظام الحكم، وتدنى مستوى المعيشة، والإنهزامات العسكرية بعد نكسة ١٩٤٨ في فلسطين، وتلاعب الملك فاروق بالدستور الوطنى، والصراع الحاد بين الأحزاب الوطنية من اجل الكرسى. كما قامت ثورة ٢٥ يناير بسبب نفس الأسباب .

١- عبد الرحمن الأبنودى. عبد الناصر ثائر، والسادات مغامر، ومبارك رئيس بالصدفة. أخبار اليوم، العدد ٣٤٧١ بتاريخ السبت ١٤/٥/ ٢٠١١، ص١٩.

الباب الرابع

ثورة الغضب - ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

الفصل التاسع : سمات وأهداف ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

الفصل العاشر : لماذا الغضب ؟.

الفصل الحادى عشر : مسيرة الثورة .

الفصل الثانى عشر : نتائج ثورة ٢٥ يناير .

الفصل الثالث عشر : تعليقات أجنبية على ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ .

الفصل التاسع

ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م / ٢١ صفر ١٤٣٠هـ

الأهداف والسمات

سميت ثورة ٢٥ يناير بمسميات مختلفة، نذكر منها ثـورة ٢٥ ينـاير، ثورة الغضب، وثورة الشباب، والثورة الشعبية، والثورة البيضاء، وثورة ال ١٨ يوم، وثورة الثوار، والثورة السلمية، وأطلق البعض عليها ثورة الثـورة الضاحكة، وثورة اللوتس.

واستهدفت ثورة ٢٥ يناير تحقيق الديمقراطيـة، والحريـة والعدالـة الاجتماعية وتحقيق كرامة الإنسان، واختير يوم الثلاثاء ٢٥ يناير، وهو يوم عيد الشرطة ٢٥ يناير تحديدا للتعبير عن رفض طغيـان وزارة الداخليـة، والأساليب التى تتعامل بها أجهزتها مع الناس، بمحاسبة قادتها المفرطين فى جرائم تعذيب وقمع وقهر .

ولقد كانت المطالب الأولى للثورة تدور حول إصلاح سياسى اجتماعى في إطار النظام القائم. غير أن قسوة الاعتداء الذى حدث على المعتـصمين في ميدان التحرير في فجر ٢٦ يناير كانت كلها بداية التحول من المطالبـة بالإصلاح في ظل النظام إلى سعى لإسقاطه، ثم الإصرار على ذلـك آملـة ظهور دولة مؤسسات يؤدى كل فرد دوره، وفصل بين السلطات، وصـدور دستور جديد يعالج مشاكل تجويع النـاس، وعـسر المواصـلات، وعـسر الإسكان، وإرجاع الأموال المهربة.

وتفجرت ثوزة ٢٥ يناير كمثيلاتها من الثورات العالمية، وما سبقها من ثورات في العالم العربى نتيجة الإختلاف في الثقافة السياسية بـين النخبـة

الحاكمة، وجماهير الشباب والعديد من الفئات المهنية مثل أساتذة الجامعات والصحفيين والمحامين وكذلك أعضاء الأحزاب والناشطين السياسيين في مؤسسات المجتمع المدنى المطالبة بالإنفتاح على الديمقراطية وإحداث تحولات حقيقية حول قواعد الممارسة السياسية في مصر، وذلك في ظل هيمنة أفكار وأساليب تيار السلطة والهيمنة داخل الحزب الوطنى إلى حالة من التناقض داخل المجتمع المصرى خاصة لدى الشباب الذى بدأ في التحول لمواجهة النظام الحاكم في الشارع، حيث أدرك أن البديل الأمثل في حفز استجابة النخبة الحاكمة لمطالبه، وتحقيق الآمال في مستقبل أفضل.

ولقد عدد محمد حسنين هيكل[(١)] الأساليب التى ارتكبها مبارك، واستبعد منها التحقيق فيها جنائيا، وهى العدوان على روح النظام الجمهوري، والبقاء في الرئاسة ٣٠ سنة، وتعديل الدستور بما يسمح بتوريث السلطة، والتصرف في موارد البلد وثروته، كما لو كانت ملكا شخصياً. واستطرد هيكل بأن النظام السابق أهمل إهمالا جسيماً في قضايا لا تحتمل الإهمال، مثل قضية ماء النيل، والفتنة الطائفية، والتعاون مع إسرائيل، مما جعل أحد وزرائها يصفه بأنه كنز استراتيجى لها، وتزييف إرادة الشعب، وانتهاك حقوق الإنسان، والتواطؤ في أعمال سرية لتحقيق غايات سياسية ومالية .

وانتقد هيكل اعتماد النظام السابق على العنف، وهو ما أصابه بوْهم كبير في تأثير قوته مشيرا إلى أن تعداد قوات البوليس وصل إلى مليون و٢٤٠ ألف فرد بالإضافة إلى توافر كل الوسائل التكنولوجية لهذه القوات.

واستنادا لما حدث في تونس طالب أصحاب التحذيرات باتخاذ مجموعة من الإجراءات تبدأ بعدم فرض أعباء جديدة على المواطنين في مجال أسعار

١- محمد حسنين هيكل. الثورة وصلت إلى مشارف الهدف، ولكنها لم تبلغ مرحلة النصر. نقلا عن الأهرام، العدد ٤٥٤٤٨ بتاريخ ٢٠١١/٥/١٣. ص ص١- ٣ .

السلع والمواد الغذائية والطاقة ورسوم الخدمات، ومرورا بـضبط الـشرطة النفس مع التحركات الاجتماعية ذات الطابع الفئوى أو السياسي للحيلولة دون حدوث احتكاكات، وتنتهى بتعيين نائب للرئيس لتهدئة مخاوف الكثيرين على مستقبل الأوضاع بالبلاد، وتدرأ الرهان على قرب حدوث فراغ سياسـى، أو تروج لإصرار النظام على توريث الحكم .

فقد حكم الرئيس السابق محمد حسنى مبارك منذ سنة ١٩٨١ وقامـت مظاهرات لتحاسب النظام على ٣٠ سنة فقـرا وتعـذيبا وفـساداً. وبتجلـى الغضب صارت الأحلام أقرب من الحقائق. وقد تعرضت مصر في ولايـة مبارك لانتقادات على وسائل الإعلام ومنظمات غير حكومية محلية، حتى أن أجهزة الأمن حذرت قيادة النظام قبل اندلاع الثورة بأسبوع واحـد. وقالـت القراءة الحديثة لهذه التحذيرات أن الأوضاع في المنطقـة تنـذر بمخـاطر حقيقية يتعذر معها الحزم بأن أيا من الدول العربية بمنأى عن الخطر. ولقـد كان لحكم مبارك الأثر الكبير في التدهور والفساد وهزال الاقتصاد، وتـدنى مستوى المعيشة الاجتماعى على المصريين بالإضافة إلى الإنخفاض الملحوظ في مستوى التعليم والمستوى الصحى، وارتفاع معـدلات البطالـة والفقـر، وانتشار الجرائم في البلاد بالإضافة إلى زيادة معدل التضخم بصورة ضخمة منذ عام ١٩٩٨، وتضاعفت الأسعار بسبب قرارات رئيس الـوزراء وقتهـا د.عاطف عبيد بتحرير سعر الجنيه(١).

وقد نتج عن هذا كله أن قام الشباب بثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فانـدلعت المظاهرات في القاهرة، وعدد من المحافظات الأخرى، خاصة الإسكندرية، والسويس التى سقط فيها أول شهيد، والإسماعيلية، وهتف الشعب يريد إسقاط

١- د. الحسينى الحسينى معدى. ثورة ٢٥ يناير- انتفاضة شعبية - وسقوط الفرعـون. ص ص٣٤- ٣٥.

النظام، مصر بلدنا للحرية مش للوطنى والحرامية. ولم يستيقظ النظام من غفوته إلا متأخرا جداً.

حقاً إن جهاز الأمن فى مصر طغي وتجبر، ولكنه اعتقد أن ما حدث في يوم ٢٥ يناير مظاهرات عادية ستنحسر بنهاية اليوم. إلا أنه فوجئ أنها تزداد ولا تنقص، ولم يشعر أنه على شفا كارثة ستقضى عليه. وبعد ثلاثة أيام كاملة، وتحديداً من بعد ظهر يوم الجمعة ٢٨/١/٢٠١١ ولم يفهم نظام الحكم وجهازه الأمنى بأن استخدام قوة مفرطة ضد أكثر من عشرين ألف متظاهر قرروا الاعتصام في ميدان التحرير مما يعجل من تحويلها إلى ثورة عارمة.

ومع ذلك فقد النظام مع هذه الكارثة بطريقة المساومة مع الجماهير الغاضبة واقتضى الأمر ثلاث أيام أخرى ليقتنع أن ساعة النهاية قد اقتربت، ولكنه سعى لتأجيلها بضعة أشهر أخرى حتى نهاية فترة الرياسة. فقد كان كل همة هو إتمام الإنسحاب بدون خسائر من السلطة بينما كان جمال مبارك مهموما بترميم سلطة والده واستمراره مشاركا فيها من وراء ستار.

ولقد قامت الثورة دون وجود قيادة، فهى ثورة بلا قائد، علما بأن وجود قيادة للثورة سواء معلنة أو مستترة يعد أمراً محورياً لاشتعال الثورة. فالثورة العرابية (١٨٧٩- ١٠٨٢) كانت بقيادة عرابى، وثورة ١٩ كانت بقيادة سعد زغلول، وثورة ٢٣ يوليو كانت بقيادة الضباط الأحرار. أما ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فقد أدارها الشباب دون قيادة، حيث أخفقت السلطة في اكتشاف القائد للتعامل معه بتسهيل تصفيته أو استقطابه، وانشغلت بالبحث عن القائد مما أفقدها توازنها، وارتبكت تصرفاتها، وقادها منذ اليوم الأول المشاركون فيها. وركزت الثورة على مطلب واحد هو إسقاط النظام، وحافظت بحشودها المليونية على مبدأ السلمية، وتجاوزت الحاجة إلى أيديولوجية .

ولقد تميزت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بوسائل تكنولوجية معاصرة، إذ لعب الإنترنت ومواقع الفيس بوك، وال يوتيوب، وال تويتر دورا حيويا وحاسما في إشعال جذور نيران الثورة، ويعد الإنترنت هو الوسيلة الثورية لعصر المعلومات(١). ولقد نجح الأنترنت في مناقشة القضايا العامة وتبادل الثوار من خلال هذه الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل سيلا من الإنتقادات الموجهة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والمعيشية في مصر كما طرح مطالب الأفراد من الدولة .

ونظّم الإنترنت وقائع وأحداث الثورة بشكل دقيق ومذهل أثار انبهار العالم حتى أنه يقال أنه بدون شبكة الإنترنت، ما كان يمكن لثورة الشباب المصرى أن تنجح على الأقل بهذا الشكل المذهل .

ولعل هذا كان سببا في أن تفقد السلطة القدرة على مجاراة الثوار ورصد الحجم الحقيقى لقوة الجماعات الثائرة. فقد اندلعت الشرارة الأولى للثورة في عالم افتراضى يمتلك آفاقا من الحرية السياسية والفكرية، مفتقدة على أرض الواقع الحقيقى الملموس .

يقول جمال عيد(٢) المدير التنفيذى للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان لـ "الحياة" إن ما حدث في ٢٥ يناير ٢٠١١ هو نتاج على ما بدأ على شبكة الإنترنت يمثل نحو ٦ سنوات. وكان له في كسر حاجز الخوف التاريخى لدى المصريين هو للمدونين – ليس هذا فقط – بل نجح أولئك في أن يكونوا مصدر ثقة بالنسبة لمجموع الناس ومصدراً للمعلومات التى لم يكن أحد يحلم بمعرفتها حتى عهد قريب.

1- James w. Lendens chmaidt, t. W.L. Freakwitch net, from virtual commons to virtual enclosures. Revolution and counter Revolution, p.p. 2–5 .

٢– د. السيد عبد الفتاح، ثورة التحرير، أسرار وخفايا ثورة الشباب – ٢٥ يناير، ص٩.

وقد افتقدت الثورة شرط المقابلة المباشـــرة بـين الثـوار والـشرطة وأجهزتها. ففي إطار القمع الأمنى والسياج السلطوى السائد استطاعت شبكة الإنترنت أن توفر للثورة فضاءاً إعلامياً بديلاً سريع الإنتشار وقـادر علـى التفاعل مع الآخرين. وهو ما أتاح عدة مزايا تتمثل في السرعة، وقلة التكلفة، والتواصل مع الآخرين، وبالتالى ضعف عنصر التعبئة عن بعد، وذلك فـي مقابل افتقار وعجز الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدنى عن القيـام بهذا الدور.

ويشعر كل مصرى بالفخر لقيام شباب مصر بحماية الأفراد والمنشآت وبيوت الأهالى، خاصة المتحف المصرى الذى يحمى آثار أجدادنا. كما يفرح الإنسان فرحاً غامراً عندما يرى شخصا يحمل المصاب من غدر المرتزقـة، وشباب الأطباء يعالجون جراح كل المصابين من أعمال العنف والغدر.

ويقول عنها زياد العليمى أحد أعضاء ائتلاف شباب الثـورة. فكانـت ثورة ضمت طبقات فقيرة ومناطق شعبية يرتدون الجلباب، وفوجئوا بـشباب راكب سيارة بى. أم. قال لهم: لو أعرف أركن العربية كنت نزلت وشاركت معكم - انتظرونى.

وثورة ٢٥ يناير تختلف عن الثورات الفرنسية والشيوعية، وغيرها من الثورات الأخرى، فقد كانت ثورة تلقائية ومعنوية وغير متوقعة، قـام بهـا شباب متحد ناهض بكل ما يمتلكه من مرارات وقوة ونضال لإسقاط النظـام الذى قهره، ثورة شارك فيها الشعب بكل طبقاته ومستوياته التعليمية، وحماها الجيش، وأدارها الشباب دون قيادة، إذ قادها منذ اليوم المشاركون فيها.

وقد أعرب الكاتب الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل عـن سـعادته البالغة بتنحى الرئيس السابق مبارك وأضاف خلال لقائه،وحواره مع برنامج

العاشرة مساء عبر فضائية دريم مساء يوم ٢٠١١/٢/١٢. أن ما حدث لا يطلق عليه انقلاب عسكرى، ولكنه ثورة حقيقية تضم جميع فئات الشعب، وطبقاته، وأن دور القوات المسلحة هو الحماية الشرعية للثورة، ذلك أن المؤسسة العسكرية هى شريك لتنفيذ القوانين. وعلى ذلك فما حدث في مصر ليس انقلابا ولكن ثورة[١].

فقد أكد المجلس العسكرى أن ولاءه للوطن، وللشعب، ولا مجاملة لأحد على حساب مصر، ولكن أيد المجلس الثورة، ودعمها، وبذل قصارى جهده لتحقيق أهدافها. وأوضح المجلس أنه يدير البلاد بحكمة وقراراته ليست مشرعة حتى لا تصر بالمواطن، ووعد المجلس بتسليم سلطة البلاد بعد انتخابات برلمانية ورئاسية حرة ودستور جديد، وأنه يسير لإرساء دعائم الدولة المدنية التى تعتمد على الديمقراطية والحرية والعدالة، وهو يرفض استعراض قوته على الشعب. أما العنف فهو لا يستخدم إلا مع البلطجية والخارجين على القانون .

وأوضح المجلس أن هدفه تلبية مطالب الشعب المشروعة خلال الفترة الانتقالية، وأن لا خطوط حمراء في مساءلة أى شخص أياً كان اسمه أو موقعه، وأن هناك محاولات للوقيعة بين الجيش والشعب ولكن مصيرها الفشل، وأن المصريين سواسية وعليهم أن يكونوا على قلب رجل واحد، وأن التخاذل والتواطؤ ليسامنّ قيم وتقاليد القوات المسلحة العريقة، مؤكداً أنه لا يعطى حصانة لأحد ولا يتستر على فاسد، والجميع أمام القانون سواء[٢].

وانضم الشعب بعد ذلك بكل فئاته إلى شباب الثورة، فجذبت بذلك الآباء والأجداد والأمهات والجدات، بل والأطفال، وركب ناس عواجيز الموجة،

١- برنامج العاشرة مساء فضائية دريم - السبت ٢/١٢/ ٢٠١١.

٢- ملحق القوات المسلحة.

وأمسكوا بالعكاكيز، وتركوا بيوتهم في المحافظات الأخرى. وباتوا ليالى في ميدان التحرير، والتحمت الجماهير الشعبية مع أهداف الحركة، واستجابت دعوات الشباب بالمشاركة والإنضمام للثورة وقيامهم بالاحتجاجات المتواصلة، مما أفقد النظام القدرة والمواجهة، فقد جاءت ردود أفعال أجهزة الأمن عشوائية وفى حالة من التخبط. أما الرئاسة فقد بات واضحا أن فكرها لم يتغير، وأنها تؤمن بالقمع والترويع بإعتباره الأسلوب التقليدى لفض المظاهرات والقضاء على الثورات هذا، فضلا عن قيام القوات المسلحة بحماية الثورة .

وعندما شبت الثورة التونسية، ونجحت في إنهاء حكم أحد أبرز الرؤساء المتسلطين، ظل أركان النظام في مصر نائمين على حرير، وجزمت دوائر غربية رسمية وإعلامية بأن ثورة تونس لا تصل إلى مصر. وتحدث المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية فيليب كراولى قبل ٧٢ من مظاهرات ٢٥ يناير، قائلا أن كرة الثلج التونسية لن تمتد إلى دول أخرى في المنطقة .

أما مجلة تايم الأمريكية، فقد أكدت أن شباب مصر ليسوا مؤهلين للثورة، لأن التعليم الذى يتلقونه فقيراً لا يوفر المهارات اللازمة للمعارضة المؤثرة.

وقد طرح بريان أوركهارت الثورة السلمية في كتاب بعنوان "ثورة بلا عنف"، وعرض الانتفاضات الشعبية العربية الأخيرة، ومن بينها الثورة المصرية وموقعها من الثورات والانتفاضات التى شهدها العالم في العقود الثلاثة الأخيرة في رحلة المصير والسير للإنسانية الباحثة عن الحرية والعدالة.

وقد شغل بريان أوركهارت منصب الأمين العام المساعد للأمم المتحدة، وكان المد الثورى العربى الراهن أحد إهتماماته .

وأكد أوركهارت أن الثورة الشعبية المصرية برموزها التى أعلنتها في ميدان التحرير ستبقى نتائجها بعيدة المدى، ويصعب حساب تداعياتها على المدى القصير، وقد اعتمدت هذه الثورة على منجزات ثورة المعلومات والاتصالات دون أن يحق لأى شخص أن يدعى أنه قائدها .

أما جينس شارب صاحب كتاب سياسات العمل الثورة السلمى، فقد حدد ١٩٨ طريقة أو وصفة للثورات السلمية، وأشار إلى التأثير المتبادل بين الشعوب في ثوراتها من أجل الحرية والعدالة، ويتجلى ذلك في تأثر حركة الدفاع عن الحقوق المدنية في الولايات المتحدة بقيادة مارتين لوثر كينج بمبادئ المهاتما غاندى .

ولاشك في أن شهداء ثورة ٢٥ يناير الشعبية السلمية المصرية قد دخلوا سجل المجد والخلود جنبا إلى جنب مع رموز الثورات العالمية السلمية، مثل الهندى غاندى والأمريكى مارتن لوثر كينج والبولندى ليخ فاونسا، مما أضاف دروسا غالية وخبرات ثمينة، ونقلة نوعية في المفهوم العلمى للثورة السلمية[١].

واعتنق هذا الفكر بعض الإصلاحيين والثوريين في مصر، وقد ظهر اتجاهان، فيما يتعلق بالإصلاح، اتجاه يسير على الإصلاح التدريجى، وآخر يطالب بالإصلاح الفورى الشامل ولكى يكون هناك إصلاح تدريجى، لابد من وجود جدول زمنى يحدد مراحله، وخطواته، والفترة التى يستغرقها كل منها، هذا ومن الممكن أن يبدأ الإصلاح التدريجى من الخطوة الصغيرة؛ فتعديل بعض التشريعات المنظمة للحياة السياسية هو إجراء صغير أحيط بالمجتمع.

١- د. سمير الحفناوى. ثورة الشباب المصرية بأقلام وعيون غربية، ص ص٤٦- ٤٨.

ولكن العامل الأكثر أهمية وراء هذا الإحباط هو عدم الالتزام بأن يكون التشريع بمثابة مرحلة أولى في برنامج الإصلاح، مع تحديد باقى المراحل وموعد كل منها، على أن تحدث نقلة إلى الأمام محددة بدقة في كل عام، وصولاً إلى انتخابات رئاسية أكثر من مرشح في نهاية الفترة القادمة للرئيس السابق مبارك. وعندئذ يكون الإصلاح التدريجى إصلاحاً بحق يقود إلى ممارسة ديموقراطية مفتوحة ومستقرة، ولا تتعرض لانتكاسة سريعة، ولكن هذا لم يحدث وفشلت الجهود التى بذلت في سبيل الإصلاح منذ منتصف ثمانينات القرن السابق.

أما الثوريون فقد كانوا أبعد نظرا عندما رأوا أن الثورة لن تنجح إلا إذا أقصت مبارك عن الحكم، فإبقائه يهدد بالتراجع من أى تغيير قد يقبله، فالرئيس السابق الذى رفض إصلاحات صغيرة، قد يقبل تغييراً كبيراً تحت ضغط ثورة شعبية، ولكنه لا يلبث أن يعود عنه، حينما تنحسر هذه الثورة، ويعصف بمن شاركوا فيها وساندوها وتعاطفوا معها .

ولهذا اكتفت لجنة الحكماء التى اجتمعت في الأول من فبراير ٢٠١١، وقررت إبعاد مبارك عن الشعب عبر نقل سلطاته إلى نائب رئيس الجمهورية، وكذلك العمل على ضمان سلامة المتظاهرين والمعتصمين سعيا إلى استمرار الثورة إلى أن تحقق أهدافها كاملة. ولكن مبارك رفض هذا القرار[١]. أما الثوريون فقد رأوا ضرورة إنهاء النظام القديم، وبناء النظام الديمقراطى الذى يحقق العدالة والحرية.

وتفجرت ثورة الغضب الشعبية في الخامس والعشرين من يناير. وهى ليست وليدة اللحظة، وإنما كانت نتاجاً لأحداث واحتجاجات تراكمت عبر فترات استمرت لسنوات سابقة لاندلاع الثورة المعاصرة. فلقد شهد المجتمع

١- د. وجيه عبد المجيد. ثورة ٢٥ يناير – قراءة أولى، ص ص٥- ٨.

المصرى أحداثاً واحتجاجات وانتفاضات كثيرة، مثل: حركة كفاية. و٦ إبريل، ٩ مارس، وإضرابات عمالية، واحتجاجات فئوية، بالإضافة إلى كارثة الدويقة، وحوادث قطارات الصعيد، وكفر الدوار والعياط، ثم غرق العبارة السلام ٩٨ وانتفاضة القضاة التى قادها نادى القضاة، والاحتجاجات، وتزوير الإنتخابات الأخيرة، وتزوير الأحكام القضائية .

ولقد دخل يوم ٦ إبريل تاريخ مصر السياسى منذ عامين لأنه ليس يوم مشهورا، إنما لأن الفراغ الذى يعيشه المصريون هو المشهود، فقد دعت الحركة إلى إضراب عام قد يحدد المعالم في يوم ٦ إبريل ٢٠٠٨. لمواجهة الغلاء، وظهرت احتجاجات فئوية، وتوسعت الإحتجاجات وخلفت الحركة ظاهرة البرادعى.

وبدأت الثورة يوم الثلاثاء ٢٥يناير ٢٠١١ الموافق٢١صفر ١٤٣٢هـ. وكان يوم ٢٥ يناير هو يوم عيد الشرطة في مصر، واليوم المحدد من قبل عدة جهات وأشخاص كان أبرزهم الناشط وائل غنيم، وحركة شباب ٦ابريل، وذلك احتجاجا على الأوضاع المعيشية والسياسية والاقتصادية السيئة التى يعاني منها الشباب المصرى، وتعبيرا عن غضب الشباب، وأصابته بالإحباط، واستطاعت الثورة أن تسقط نظام حكم بقى ثلاثين عاما دون أن يهتز أو يتعرض للانهيار، لأن النظام أعد جهاز شرطة عدده يفوق عدد أفراد القوات المسلحة لحراسته، وحراسة الحاكم بحيث لم يعد يلتفت إلى أمن المواطنين.

ولا شك أن الغضب كان هو الرامى للثورة، وغيرها من الثورات. فالثورة لا تولد نتيجة الظلم، ولكن الشعور بالظلم هو الذى يولد الثورة.

الفصل العاشر

لماذا الغضب

كان الرئيس السابق محمد حسنى مبارك على رأس القائمة التـــى أدت إلى قيام الثورة، فمبارك كان يتمتع في مصر بسلطة مطلقة وفق نـــصوص الدستور منذ إصداره عام ١٩٥٦، وحتى آخر تعديل أجرى عام ٢٠٠٧ فـــي دستور ١٩٧٠. فالرئيس في الدستور يتولى الـــسلطة التنفيذيـــة ويمارســـها تفصيلاً إلى جانب هيمنته على السلطتين التشريعية والقضائية في الوقت الذى يعتبر أيضاً حكماً بين السلطات وأباً للشعب يرعاه ويسهر علـــى مـــصالحه، ويقيم الدستور على هذا النحو، فرديا مطلقا لا هو رئاســـى، ولا برلمـــانى، ويقيم محاور حول الرئيس الفرد الذى يصبح كل ما عداه شكلاً بلا محتوى.

غير أنه لا يمكن لأى شخص أن يمارس هذه السلطات كلها ولهذا كان يعاونه البعض، وهم غالباً ما يؤدون هذه المهام بما يحقق مصالح خاصة بهم، فيزيد النفوذ والمكانة وتوسيع نطاق الدور، والحصول على موارد قوة. عندئذ يصبح كل منهم مركز قوة فى حد ذاته. وقد استفحل نفـــوذ بعـــض هـــؤلاء وتفاقمت قوتهم في عهد مبارك.

ويقف على رأس أسباب غضب الشارع العربى مـــن حكامـــه، علـــى مختلف أنماطه والتى تتراوح بين النظام الجمهورى والنظام الملكى والأميرى، والذى ترجع جذوره إلى أكثر من عشرة سنوات مضت، حين قامت الإنتفاضة الفلسطينية الثانية ضد الإحتلال الإسرائيلى في نهاية عـــام ٢٠٠٠ فقـــد أدت الوحشية الإسرائيلية ضد أطفال الحجارة ومشاهدة القتلى، والـــذبح والقمـــع البشعة التى نقلتها شاشات التلفزيون. وظهر فيها الجنود الإســـرائليون وهـــم يرتكبون كل أنواع الجرائم ضد الفلسطينيين العزل الأبريـــاء إلـــى انطـــلاق

الصرخات التى تتساءل أين حكام العرب؟ ولماذا لا يفعلون شيئا لإنقاذ الشعب الفلسطينى من هذه الوحشية الإسرائيلية، بل إن بعض أنظمة الحكم لم تتـردد في قمع جماهيرها عندما حاولت التظاهر لدعم الشعب الفلسطينى. ولهذا دعى بنات ونساء وأطفال الأراضى الفلسطينية أن ينتقم الله من الحكام العرب الذين تركوهم وحدهم في مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية المحرمة[١].

وقد ساهم غياب أسس ومبادئ الحكم الرشيد، مثل المشاركة، والشفافية، والمسائلة والمساواة، وأولوية المواطنة. وسيادة القـانون فـي العديـد مـن مؤسسات الدولة المصرية، وكون السياسات الاقتصادية والاجتماعية يجب أن تهدف إلى القضاء على الفقر وتوسيع الخيارات التى تتاح لجميع الناس فـي حياتهم[٢]. ومحاصرة الفساد والسيطرة عليه من خلال منـع التـربح مـن المناصب العامة. ومحاصرة كل أنواع الفساد سواء كان محدوداً أو واسـعاً، ومنع الإنحرافات حتى الصغير منها، وعدم سيطرة النخب والمصالح الخاصة على الدولة[٣]. وتهميش قطاعات سكانية، فـى الدولـة، وعـدم ممارسـة الحكومات دورا في هذا المجال لتصحيح ما قد ينتج من اختلافـات نتيجـة سياسات القطاع الخاص[٤].

وقد أدت هذه الأمور جميعا إلى نمو فكرة ضرورة تغيير النظام، ومن ثم فعندما بدأت الثورة في تحديد مطالب تتعلق بالحريات العامـة والعدالـة

١- انظر. د. حسين عبد الواحد. ثورة مصر - ١٨ يوما هزت العالم، ص ص٦-٧ .

٢- برنامج الأمم المتحدة. تقرير التنمية البشرية عام ٢٠١١، تعميق الديمقراطية فى عالم متقف، ص٥١.

٣- د. محمد أحمد العدوى. تداعيات الثورة على الثقافة السياسية في المجتمعات العربيـة نقلاً عن مجلة الديمقراطية، العدد ٤٢، ص٨٩ .

4- Daniel Kaufmann: The World worldwide Governance Indication, p. p.3–4 .

ومواجهة الفساد، والحد من تجاوزات أجهزة الأمن، تردد النظام الحاكم في الرد على هذه المطالب، أو استخدام القوة في منعها، وكان البديل هو إسقاط النظام لبناء نظام جديد يتولى إدارة الحياة السياسية ومؤسسات الدولة على تلك الأسس، وهو ما زاد من شعبية هذه المطالب والتزايد في سقف المطالب الشبابية[١].

ولعل شخصية مبارك الحاكم سابقا كانت على رأس أسباب غضب الشباب، فقد درج المحيطون به على إخفاء الأمور والمعلومات عن الرئيس، وتغيب عما يحدث ويدور بدعوى عدم إزعاجه في الفترة الأخيرة من حكمه. وقد ارتاح مبارك نفسه من هذا الانسحاب بعد أن وثق في ابنه جمال، وأوكل إليه معظم أعباء وأمور الحكم، وبالتالى وثق في الرجال الذين اختارهم ابنه وزراء ومسئولين في شتى المواقع حتى أصبح مبارك لا يرى إلا بعين ابنه وعيون رجاله ولا يسمع إلا بآذانهم، بل لعله ضاق ذرعا بالحديث معه عن المشاكل والهموم، وينبغى فقط أن يتسامر مع متحدثيه.

وفى إحدى رحلاته إلى الخارج قال للوفد الإعلامى: أليس لديكم شيئاً غير ثقيل الدم تتحدثون عنه. وقيل أن مبارك في خلال حكومة د. أحمد نظيف اختلف عن مبارك في حكومة عاطف عبيد. ففى خلال فترة حكومة عاطف عبيد كان يناقش القضايا المالية والاقتصادية ومشروعى الخطة والموازنة. وكان مهتم أيام حكومة عبيد بالسؤال عن العديد من التفاصيل، ويستمع للآراء المختلفة، ويتدخل للحسم واختيار رأى منها.

أما في فترة حكومة نظيف فقد كان يكتفى بالاستماع إلى ملخص مختصر عن الموضوع المطروح للمناقشة وينفض الاجتماع. وانسحب الرئيس تدريجياً من ممارسة صلاحياته الهائلة، ومارس فقط الطقوس

1- world Bank Report, 2006, Equality and Development, p. 107.

والمظاهر العلنية لمنصبه كرئيس للجمهورية – أى الاجتماع مع الرؤساء الأجانب وإلقاء الخطب، والقيام ببعض الزيارات هنا وهناك، داخلياً وخارجياً، بينما أمور مقاليد الحكم كلها لم تعد مع نهاية عام ٢٠١٠ وما بعده.

ولعل هذا الانسحاب بدا بعد الجراحة التى أجراها عام ٢٠٠٤، والتى عندها فكر في نقل السلطات من مبارك الأب إلى مبارك الابن، وأثمر هذا التفكير في اتخاذ خطوات عملية التغيير طريقة اختيار رئيس الجمهورية، وهو التغير بالانتخاب المباشر بينه أكثر من فرد.

ويدخل في إطار الوطن ما يتعلق بالمظاهر الخارجية والرموز التي تكشف عن السلطة، فأنت ترى الشخص بسيطا ومتواضعاً، ولكن عندما يتشبع بالسلطة يبدو وكأنه يأبى التواضع، فيسرع الخطا مشيا لكى يتقدم كافة الأجسام ويسبقها، محتفظا دائما بمسافة بينه وبينهم(١).

ويرجع غضب رجل الشارع من النظام السابق إلى أنه يستهدف توريث السلطة لجمال مبارك وكان جمال قد عاد إلى مصر في منتصف تسعينات القرن الماضى بعد فترة عمل في لندن باحثا عن دور مميز ليقوم به. واتجه جمال إلى العمل العام بسرعة شديدة، فأنشأ جمعية باسم جمعية المستقبل. وحرص جهاز الأمن على ضم مجموعات من الشباب إلى هذه الجمعية. وشاع في هذا الوقت أنه ينوى إنشاء حزب جديد يعتمد على الجمعية التى أنشئت من أجله، ويحمل اسم "حزب المستقبل".

وفى انتخابات مجلس الشعب عام ٢٠٠٠ فشل الحزب الوطنى في الحصول على أكثر من ٣٨% من المقاعد، فوجد جمال مبارك في ذلك دوراً مميزا في هذا الحزب، وكأنه قادم لانقاذه، وذلك تحت شعار الفكر الجديد،

١- انظر. د. أحمد زايد. آركيولوجيا الثورة إعادة العيش للطبقة الوسطى. نقلا عن مجلة الديمقراطية، العدد ٤٢، ط ١٢، ٢٠٠١، ص٢٢.

وأنشأ مبارك الإبن ما أطلق عليه الأمانة العامة للسياسات. وهكذا بات الهدف من إنشاء هذه الأمانة هو ضمان حليف يرث السلطة، وليس بتطوير حزب أو تحديثه. وبات واضحا أن التوجه الليبرالى لم يكن إلا غطاء لتسويغ الزواج بين السلطة والثورة.

وهكذا أصبح مبارك الإبن هو المحور الذى تدور حوله "أوليجاركية" عملت على عملية نهب الموارد، خاصة فيما يتعلق بتخصيص أراضى الدولة[١].

وقد راوغ الرئيس محمد حسنى مبارك وابنه في هذا الموضوع مراوغات ذات أشكال مختلفة. فقد سألوا جمال مبارك عن التوريث، فردّ ردا ملفتا للنظر، لم ينف مباشرة، ولم يؤكد ذلك، ورد قائلا: لا أريد الدخول في قضايا فرعية. وأضاف الإطار الدستورى واضح. وهذه تكهنات صحفية، وفى مرة أخرى قال للتلفزيون الحكومى: "ليس عندى رغبة في الرئاسة".

أما الرئيس مبارك - الأب - فقد أنكر وبطريقة قطعية، إذ قال في يناير ٢٠٠٤ لا توريث في نظامنا الجمهورى. وفى يناير ٢٠٠٥ خفف النغمة قليلاً، وأدلى حديثاً لقناة العربية الفضائية وصفت دور ابنه السياسى بأنه بيساعدنى، وأضاف إذا كان الشعب يريد جمال ينتخبه. وفى حديث آخر مع مكرم محمد أحمد - رئيس تحرير المصور - نفى مبارك نية ترشيح ابنه لرئاسة الجمهورية، وعلل ذلك بأن ابنيه علاء وجمال مشغولان في البيزنس، وأنه لا ينوى إقحام ابنه في السياسة .

ولكن مبارك الأب صعّد الدور الذى يؤديه ابنه جمال في إدارة العملية السياسية. وبدأت مرحلة التسلل إلى الرياسة من القمة، أن عيّن الأب الإبن سنة ١٩٩٧ عضوا في المجلس الرئاسى المصرى، الأمريكى، ثم أصبح متحدثا رسمياً باسم المجلس الذى أنشأه مبارك الأب. في عام ١٩٩٨ أنشأ

١- د. وجيه عبد المجيد. ثورة ٢٥ يناير - قراءة أولى، ص ص٢٣- ٢٦.

جمال مبارك جمعية جيل المستقبل. وكانت فكرة إنشاء هذه الجمعية تستند إلى فكرة إنشاء حزب المستقبل. وهو حزب يدخل في مباراة سياسية مع الحزب الوطني الذي يرأسه والده. ولكن هذه الفكرة لم تصادف هوى لدى السيدة سوزان مبارك واستقر الرأى على انضمام جمال إلى الحزب الوطني الديمقراطي الذي يرأسه والده عام ٢٠٠٠[١]. ثم تولى جمال مبارك أمانة لجنة السياسات داخل الحزب .

وبالرغم من مبارك الأبن لم يكن له صفة تشريعية ولا تنفيذية حتى قيام الثورة، إلا أنه حاول أن يكون حاكم حقيقي، وقد أفرزت هذه اللجنة بعضاً من أعضاء النخبة في المواقع التنفيذية (الوزارية) والذى ينتمى أغلبها إلى فئة رجال الأعمال[٢].

ويبدأ مبارك في قيادة اجتماعات تضم رئيس الوزراء نفسه ولجان وراء تعويم الجنيه أى إلى خفض قيمته إلى النصف في يناير ٢٠٠٣، وفى يوليو ٢٠٠٤ ضغط جمال مبارك ليرأس د. أحمد نظيف الحكومة، وسيطر رجاله في لجنة السياسات على المجموعة الاقتصادية بأكملها، وجرى ترتيب زيارات لجمال مبارك إلى واشنطن وتحولت المناقشات في واشنطن من الاقتصاد إلى السياسة، وفى ١١، ١٢ مايو ٢٠٠٦ جرى النقاش من الداخل المصرى، والتقى مبارك الابن ببوش وتشينى، وأجرى مناقشات كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية، وستيفن هادلى مستشار الأمن القومى. ورأت واشنطن أن رئاسة الأبن – هو الخيار الأفضل لصالحها، وأن البديل لذلك هو حكم الجيش أو حكم الأخوان.

١- عبد الحليم قنديل. الأيام الأخيرة، ص٣٣ .

٢- د. حسنين توفيق إبراهيم. التعديلات الدستورية ومستقبل التطور السياسى في مصر، نقلا عن دراسات استراتيجية، العدد ١/١٥، ص ص١٨- ٢٨.

وخلال أيام ١/٢٨ و٢٠١١/١/٢٩ كان محمد حسنى مبارك ينوى تعيين رشيد محمد رشيد - رئيساً للوزراء، كذلك فإن ضعف الدولة بدأ واضحاً في الإرتباك الذى شاب قرار التقسيم الإدارى وإنشاء محافظتين جديـدتين دون دراسة كافية، بالإضافة إلى فرض ضرائب جديدة لتمويل علاوة اجتماعيـة لموظفى الدولة، مما أدى إلى ارتفاع كبير في الأسعار. ويتجلى قرار رفض الضرائب الجديدة في الميل إلى الإنحياز إلى الأثرياء، مما يتعارض مع مبدأ حماية الفقراء وتوفير ضمان اجتماعى عادل.

هذا وقرار إعادة تقسيم بعض المحافظات، ونقل تبعيـة منطقـة إلـى أخرى لابد أن يكون هناك طريق يربط هذه المنطقة بالمحافظة التى سـتنقل تبعيتها إليها، وينبغى أن يكون هذا الطريق صالحا للحركـة والحاصـل أن صانعى قرار التقسيم الإدارى قرروا نقل تبعية منطقة الواحات من محافظـة الجيزة إلى المنيا، بدون أن يكون هناك طريق ممهد بينهما. ولم تكشف الدولة هذا الخطأ الجسيم إلا بعد إصدار القرار، فاضطرت إلى تعديلـه بعـد يـوم واحد[١].

يضاف إلى ذلك وهن الدولة، وضعفها في إدارة موارد الدولة، وزيـادة الحرمان، وتعدد مصادرها، ونمو الأفكار الثوريـة. فالأسـاس لـيس هـو مشروعية الدولة، ولكن المحك في ذلك هو قدرتها على تلبية حاجات الناس، وعلى تعبئة الموارد من أجل تنمية مستدامة، وعلى إعمال متطلبات الاستقلال والعدل. والحرمان نسبى وهو لا يتشكل على أسس مادية فحسب، بل يمتـد إلى الحرمان الاجتماعى والسياسى والنفسى.

ولقد كشفت الثورة المصرية المعاصـرة مـن أن الأفكـار لا ينبغـى بالضرورة أن تكون عاكسة لأيديولوجية محددة، أو لعقيدة محددة، بـل هـى

١- د. وجيه عبد المجيد. المرجع السابق. ص ص٤٨-٤٩.

أفكار ثورية تعبر عن امتعاض وترف أو طاقة غضب وتمرد تتولد على نحو وئيد في رحم البناء الأجتماعى، وتترعرع على ضعاف الدولة الواهنة التـــى أصابها العجز والشره. وتختلف هذه النضالات عن النضال الصامت السلبى عبر الإمتعاض والانسحاب والنقص الشفاهى، إلـــى الجماعـــات المنظمـــة، مرورا بالإحتجاجات المعارضة والخطـــاب الثقـــافى والاعلامـــى المحمـــل بالإنفجار والثورة.

وتجلت أزمة ثقة امتدت إلى الحكومة، فقد أعلن الفريق أحمد شفيق أنه يصعب أن يكون هبّتهم ثورة حقيقية، وإنما هى "فورة" تعبر عن تطلع الشباب إلى إحداث إصلاح الدولية، بينما يؤكد الشباب أنهم قاموا بثـــورة تـــستهدف استبدال النظام السياسى القائم، بنظام آخر يحقق طموحاتهم المشروعة فـــي الحرية والعدالة، وإقامة دولة مدنيـــة تحقـــق المواطنـــة وتحمـــى كرامـــة المواطنون.

ولكن يبدو أن ثورة الشباب التى فاجأت المصريين جميعاً، كان وقعهـــا أكبر على المقربين من النظام سواء في الحزب الـــوطنى أو الحكومـــة، أو المثقفين الذين لم يرد في خلدهم أبداً احتمالات التغيير، لذلك حاولوا مقاومته والتقليل من أهميته في البداية، وحاولوا توفيق أوضاعهم لتتفق مـــع الواقـــع الذى فرضه الشباب. ولكن بعد أن انعدمت الثقة .. ولم تعـــد الـــدعوة إلـــى التطهير مقبولة[١] .

وقد غضب المصريون من النظام السابق للأسباب الآتية : -

١- أيد النظام الغزو الأمريكى الغربى لأفغانستان سنة ٢٠٠١ وقد أعلـــن الرئيس الأمريكى (بوش الصغير) أن هذا الغزو إنما يأتى فـــي سـياق

١- رياض سيف النصر. محاولة للفهم - لو أنهم تطهروا جميعا، نقلا عن الجمهوريـــة، العدد ٢٠٨٦٣ في ٢٠١١/٢/١٠، ص١٠.

حملة صليبية على الإسلام والمسلمين. وبعد عامين أعلن (بأن حربه على العراق أنها حرب عادلة المقاييس التي وضعها الفونس أوغسطين (٣٥٤- ٤٣٠م) .

٢- أيد النظام الغزو الأمريكي الغربي على العراق سنة ٢٠٠٣م الذي حقق مصالح الأعداء عندما دمر العراق، وحاول تجزئته، وحول ثلث شعبه – نحو مليونين إلى شهداء وأرامل ويتامى ولاجئين.

٣- أيد النظام الغزو الأثيوبي الصليبي للصومال .. ذلك الغزو المدعم أمريكيا – الذي أسقط حكومة الحاكم الشرعية، وأدخل الصومال في دوامة العنف والدمار ... وقد صرّح رأس نظام العار هذا يومئذ بقوله: نحن نتفهم التدخل الأثيوبي في الصومال هذا التدخل "الغزو" الذي قاده زيناوي، الذي يهدد الآلاف بقطع مياه النيل عن مصر والسودان.

٤- وفّر النظام السابق للسكارى أفخر أنواع الخمور وجميع أنواع المخدرات، بينما تشكو البلاد من المياه غير الصالحة للشرب، ووفر للقلة المترفة أفخر أنواع السيارات، بينما تشكو الجماهير قلة الأوتوبيسات العامة التي تنقل الملايين .

٥- أنفق النظام السابق المليارات على بناء القصور والفلل والشاليهات للقلة المترفة – في الساحل الشمالي، وهي التي لا تستغل إلا أسابيع قليلة معدودة في العام، بينما يعيش أكثر من عشرين مليونا – أي ربع تعداد مصر في المقابر والعشوائيات.

٦- فتح النظام السابق الأبواب أمام الصهاينة كي يدمروا الزراعة المصرية، حتى غدت إسرائيل هي التي تزرع القطن، الذي كان مفخرة عالمية للزراعة المصرية – في أفريقيا، وتصدره للعالم بدلا من مصر.

٧- ظل النظام السابق حاضرا دائما وأبداً في مباريات كرة القدم، وغائبا في أغلب الأحيان عن مؤتمرات القمة العربية والأفريقية والدولية .

٨- سمح النظام السابق بتعيين العمد في القرى، والعمداء في الجامعات من قبل أجهزة الأمن، بعد أن كانت هذه المناصب بالإنتخاب الحر حتى في عهد الاحتلال البريطانى لمصر.

وفى الأردن خرجت مظاهرات واسعة ولكن الحكومة الأردنية اتخذت إجراءات فورية سريعة للحد من ارتفاع الأسعار والغذاء، ويتبين ذلك في الهتافات التى رددت في الأردن مثل: هلاّ يا أردنى هلاّ .. الموت ولا المذلة.

ولقد أطاحت الثورة التونسية التى سبقت الثورة المصرية بالطاغية زين العابدين ابن عَلى .. الرئيس التونسى، وأطاحت الثورة المصرية بالرئيس المصرى سابقاً – مبارك – وعند المقارنة بينهما نجد أن الأول حكم تونس ٢٣ عاما، وفى النهاية قام بتغيير الدستور كى يصل سنوات حكمه. أما مبارك فقد سار وبنفس الخطوة لمنع ترشيح أى شخص ضده، أو ضد نجله جمال في انتخابات الرئاسة التى تجرى هذا العام. وكان من بين الهتافات في المظاهرات التى جرت في السنوات الأخيرة – لا للتوريث .

ولقد بدأ الخوف من العدوى التونسية، وطال هذا الخوف حكومات في بلاد أخرى. وصلت هذه العدوى إلى الجزائر، ولكن الحكومة الجزائرية تمكنت من احتواء الإحتجاجات، وذلك عبر إجراءات فورية، مثل: تجميد الضرائب على بعض السلع الغذائية .

لقد توسل ديكتاتور تونس لشعبه وقال لهم: "فهمتكم"، ثم هرب من بلاده تحت جنح الظلام في مشهد مهين، وهكذا فإن التجربة التونسية يمكن أن تتكرر في دول عربية أخرى، وفى مقدمتها مصر، مع شئ من الاختلاف هو

أن زين العابدين بن على هرب من تونس تحت جنح الظلام. أما مبارك فقد بقى في شرم الشيخ، وقدم للمحاكمة بالتحريض على قتل المتظاهرين والفساد.

وفى هذا الصدد قال يونى مناحيم[١] – مراسل الإذاعة العبرية السابق بتونس، والمدير السابق لإذاعة صوت إسرائيل – تحت عنوان: رسالة من تونس للعالم العربى قال: "أن الثورة المدنية في تونس – شأنها أن تكون رمزا لبداية النهاية لكل الأنظمة الديكتاتورية في العالم العربى، فالبطالة وارتفاع الأسعار والمساس بحقوق الإنسان، وعدم وجود إصلاحات سياسية. كل هذا يعتبر روشتة ناجحة للانتفاضة الشعبية الناجحة والثورة ضد النظام الحاكم في تلك الدول.

ويقول أحمد ماهر منسق حركة شباب ٦ إبريل: أن ثورة الياسمين "شباب تونس" دفعتنا للتفكير في الإحتجاج ضد الفساد والفقر والبطالة، بدلا من السخرية من الضباط، خاصة أن الظلم تجاوز كل الحدود، فمستوى معيشة غالبية المصريين كان متدهوراً بدرجة مروعة، فأربعين في المائة من المصريين يعيشون تحت خط الفقر، وتجاوز عدد الشباب العاطلين عن العمل رقم العشرة ملايين شاب. وفى نفس الوقت ظهرت حالات من الإثراء الفاحش والفساد غير المسبوق، مما أتاح لعدد من المسئولين ورجال الأعمال وكبار الموظفين الفرصة للاستيلاء على المال العام، ونهب أراضى الدولة والسمسرة والعمولات التى وصلت بثروات هؤلاء إلى المليارات خلال فترة زمنية قصيرة.

وقد تزايد مظاهر كراهية الشعب للدولة، وعدم الرضا العام عنها، وضعف أو انعدام الثقة بين المواطنين والدولة نتيجة تزايد الوعود الحكومية

١- السيد عبد الفتاح. ثورة التحرير، ص٣٠ .

التى لم تتحقق، وتزايد ارتفاع أسعار المواد الغذائية وانفلات الأسعار، وانخفاض العمالة، وزيادة مساحات الفقر، والحرمان البشرى، وتهميش الطبقة الوسطى، والتى تشكو حالها بسبب فقدانها توازنها الاجتماعى والإقتصادى والنفسى، وتزايد التمسك بالإنتماءات التقليدية، أو الإنكفاء على تلك الإنتماءات الأولية كالعشيرة وزيادة الشعور بالرفض والضغوط.

وقد أصاب العدوان والغزو الأمريكى للعراق في مارس ٢٠٠٣ مزيدا من غضب الشارع العربى ضد حكامه. فقد شاهد الناس على شاشات التلفزيون وقائع تدمير بغداد عاصمة الخلافة العباسية الإسلامية، وغيرها من مدن العراق والتزم الحكام العرب بالصمت والوقوف موقف المتفرج، بل وشارك بعضهم بشكل مباشر في دعم الغزاة الأمريكيين. وجاء مشهد إعدام صدام حسين في غاية الإهانة والإذلال. للمواطنين العرب. فقد اختار الرئيس الأمريكى السابق بوش أن يتم الإعدام شنقاً في صبيحة يوم عيد الأضحى متحديا مشاعر العرب والمسلمين، ووقف الحكام العرب، ومنهم حسنى مبارك الرئيس السابق لمصر موقف المتفرج من تلك الأحداث.

وجاء الغزو الإسرائيلى لقطاع غزة ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، وشاهد العرب من المحيط إلى الخليج قوات إسرائيل، وهى تضرب الأطفال والنساء والشيوخ في غزة بقنابل النابلم، والفوسفور، ودمرت وقتلت البشر والشجر والحجر. ولهذا أعربت أصواتا فلسطينية عن آمالها بأن تنتشر ثورة تونس للدول العربية خاصة تلك التى أهملت القضية الفلسطينية. ويمثل هذا عاراً تفجرت ثورة ٢٥ يناير لاقتلاعه، ولمحو الحصار الظالم الذى فرضته إسرائيل على مليون ونصف المليون من سكان قطاع غزة لكراهيتها للحركة الإسلامية حماس المنتخبة ديمقراطيا من الشعب الفلسطينى. وقد تجاوز هذا الحصار الظالم عدة سنوات، ومات فيه كثيرون مرضا وجوعا. حدث كل هذا وحسنى

مبارك الرئيس السابق قاعد يتفرج .

وفضلا عن ذلك فقد أبدت مصر عدة عقود مع إسرائيل منذ عام ٢٠٠٤ تصدر بموجبها مصر إلى إسرائيل الغاز الطبيعي بسعر أقل أضعاف من سعر السوق. وقد يمتد العمل بهذه العقود حتى سنة ٢٠٣٠م. وقد عارضت قوى وطنية هذه العقود، حيث أن التصدير يبدأ في حالة وجود فائض، وهو ما لم يتم في مصر. وقد اعتبر خبراء البترول هذا العمل إهدار للمال العام. وهو ما دعى المحكمة الإدارية بمصر إلى إصدار أحكام ببطلان قرار وزير البترول المهندس سامح فهمى لتكليفه مديرى شركات عامة ببيع الغاز لشركة حسين سالم التى تقوم بدورها بتصديره إلى شركة الكهرباء الإسرائيلية .

وهذا جميعه دعى مصادر صهيونية إلى التصريح بأن النظام السابق يمثل كنزا استراتيجيا للأمن الإسرائيلى، إذا تواطأ هذا النظام مع إسرائيل، وبغض النظر عن الحروب العدوانية المدمرة التى شنها الكيان الصهيونى على لبنان عام ٢٠٠٦.

التعطش إلى الحرية :

كان التعطش إلى الحرية هو اللبنة الأساسية للاحتقان السياسى الذى أصاب قلق الشباب، وحرك فيه مشاعر النضال الثورى، مما أدى إلى تنامي الوعى الجمعي. بتناقضات الواقع المصرى وأزمته السياسية والاجتماعية. وقد ظهر ذلك في الشعارات التى أطلقها الثوار، ونادت بها الجماهير الشعبية، مرددة الحرية والعدالة والعيش الكريم.

وقد امتدت حالة الاحتقان إلى الكثير من الفئات المهمشة، والتى تتمثل في العمال والفلاحين والشرائح الفقيرة، فقد تعاظمت ظاهرة الاحتجاج والاعتصام أمام مجلس الشعب والشورى وفى الشركات والمصالح الحكومية للمطالبة بزيادة الأجور وإلغاء الديون للمتعثرين في السداد وأبناء الطبقة الوسطى والفقيرة.

وشهد المجتمع المصرى في عهد مبارك تعدد الأحزاب، وسيطرة الحزب الوطنى الحاكم سيطرة تامة للحزب على كافة جوانب الحياة العملية السياسية. ويتوزع حوله مجموعة من الأحزاب المعارضة، والتى لا فائدة منها سوى إضفاء الشكل التعددى على النظام السياسى المصرى، فهى أحزاب متهالكة، ليس لها فاعلية سياسية، تدخل أحيانا في سجال مع الحزب الوطنى الحاكم، إمعاناً في المحافظة على الشكل التعددى. ولكنها تعجز عن القيام بأحد وظائفها السياسية الهامة، وهى بلورة المصالح وتجميعها، إضافة إلى قيامها أحيانا بخوض معارك صحفية مع بعضها البعض، فهى مشغولة أساسا بالمكتبة والصحيفة، والمواطن المصرى ليس له مكان في هذا السبيل بأن قضاياه ومشاكله الحياتية الحقيقية ليست هى الشغل الشاغل(١).

وتعيد الإنتخابات في أنها تقدم عدة وظائف في العملية الديموقراطية. فهى تعمل على تعاقب الحكومات، وتعطى الشرعية لمن يتم انتخابهم للسلطة، وهى تمنح وسيلة هامة للمشاركة في العملية الديموقراطية، وتعطى الناخبين الوسيلة التى يختارون بها من يحكمهم، وتعطيهم الحق في مساءلتهم عن أدائهم في الوظائف التى تم انتخابهم لها، وتساعد الإنتخابات على تجنب عنف المواجهات في مسألة تحديد التعاقب والشرعية في النظام السياسى الديموقراطى(٢). بدلا من الاستفتاء على شخص واحد يختاره الشعب، هو النظام الذى ساد منذ الإعلان عن النظام الجمهورى بمصر في الخمسينات ليحل محل النظام الملكى، حتى لا يبدو تولى جمال مبارك توريثا للسلطة، إنما نتيجة انتخاب مباشر. لكن جاءت التعديلات الدستورية وتحديدا للمادة (٧٦) لتضمن أن يكون اختيار جمال أقرب للتعيين وليس بالانتخاب.

١- ناهد عز الدين. قراءة في برنامج الأحزاب، نقلا عن هالة مصطفى (رئيس التحرير)، انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٠، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ص١٥٧.

2-Barry Rubin, Islamic Fundamentation in Egyptian Politics. p.23.

هذا ولم يعد الأب الرئيس الرسمى يتابع كل شئ. كما كان يفعل في بداية حكمه. وتوقف المسئولون عن إحاطته علما إلا بما يسمح به الإبن فقط، حتى الصحف لم يعد يرى منها إلا ما يختاره الإبن لكى لا يعكر مزاجه أو يثير غضبه بما حفلت به من انتفاضات وسياسات وقرارات وانحيازات حكومته[١].

وفى مصر زوّر النظام السابق إرادة الأب فيما يتعلق بالإنتخابات والإستفتاءات على النحو الذى لم نشاهده من قبل في أى بلد آخر. فلقد أصبح تزوير الإنتخابات قانونا سارياً بتعديلات الدستور الأخيرة، فقد انتقل الإشراف العملى على الانتخابات إلى ضباط الشرطة بدلا من القضاة ذوى الحصانة. فالإنتخابات العامة دخلت سلك التعيينات، ووضعت نقابات العمال تحت يد الأمن، وجرى تشكيل اتحادات الطلاب بمعرفة الحرس الجامعى، وانتهت النقابات المهنية – في أغلبها – إلى التجميد منذ صدر القانون ١٠٠ أواسط التسعينات[٢].

فلقد جرت الإنتخابات البرلمانية في الفترة من ٩ نوفمبر حتى ١٧ ديسمبر عام ٢٠٠٠، على ثلاثة مراحل وفقا لنظام الانتخابات الفردى، والتى تمت تحت إشراف القضاء بعد أن أصدرت المحكمة الدستورية العليا حكما عام ١٩٩٩ يؤكد على إشراف القضاء الكامل على الإنتخابات في كافة مراحلها الرئيسية والفرعية.

ويستهدف الإشراف القضائى على الإنتخابات تجنب التزوير في الإنتخابات والتأكد من سير عملية التصويت والفرز وإعلان النتائج السليمة. ولكن القضاء حين أشرف على انتخابات ٢٠٠٥ لم يشرف على المراحل

١- عبد القادر شهيب. الساعات الأخيرة في حكم مبارك، ص ص١٥ -١٧.

٢- عبد الحليم قنديل. المرجع السابق، ص ص١٨- ١٩.

المختلفة للانتخابات بداية من عملية القيد الانتخابى والجداول الانتخابية حتى يقل عدد الطعون، ويقوم بتقسيم الدائرة الانتخابية، ولا يترك ذلك للسلطة التنفيذية. وإنما كان دوره محدودا داخل لجان التصويت والفرز فقط .

ولقد كانت السلطات الأساسية فيما يتعلق بالقيد سلطة مديريات الأمن في المحافظات. وكانت سلامة الكشوف الانتخابية تحت سيطرة ورئاسة الداخلية، ولم تتمكن اللجنة العليا من تصحيح الجداول ولا إلغاء القيد الجماعى، ولم تكن هناك أسساً لتقسيم الدوائر الانتخابية. كذلك فإن القضاء لم يكن يشرف على مرحلة الدعاية الإنتخابية. مما يؤدى إلى تدخل أجهزة الدولة بالتضييق على ثغرات ولقاءات المعارضة، وترك مرشحى الوطنى بالدعاية بحرية أكبر.

وقد أكدت المستشارة الدكتورة/ نهى الزينى التى كانت ضمن القضاء المشرفين على الإنتخابات في دائرة قسم شرطة دمنهور بمحافظة البحيرة، أكدت على التزوير الفاجر الذى حدث رغم الإشراف القضائى[١]. فقد وقع تزوير في نتائج الإنتخابات لصالح مرشح الحزب الوطنى الحاكم الدكتور/ مصطفى الفقى، بعد تدخل أمنى وحكومى حال دون إعلان النتيجة الحقيقية بفوز الدكتور محمد جمال حشمت مرشح الأخوان المسلمين. فقد حصل المرشح جمال حشمت على ٢٥ ألف صوت، بينما حصل مصطفى الفقى على ٧ آلاف صوت.

وزوّر الحزب الوطنى الإنتخابات التى أجريت عام ٢٠١٠ بطريقة جامحة وخارجة عن السيطرة. فقد اتخذ النظام قراراً بالتزوير الكامل والشامل للإنتخابات وترك حفنة مقاعد لحزب الوفد، والإستبعاد المطلق لفكرة

١- جريدة المصرى اليوم. الخميس ٢٤ /١/٢٠٠٥م .

نجاح أى عضو لجماعة الإخوان المسلمين، وخرجوا بلا مقاعد في الحملة الإنتخابية. وخرجت النتيجة مؤداها أن الحزب الوطنى قد استحوذ على ٩٥% من مقاعد مجلس الشعب – أى أن المجلس خلا من أى معارضة تذكر، مما أصاب المواطنين بالإحباط بالإضافة إلى أن هذا يعد إنتهاكا لحقوق القضاء المصرى في الإشراف على الانتخابات، فقد أطاح النظام بأحكام القضاء فى عدم شرعية بعض الدوائر الانتخابية، وقد زوّر النظام السابق الإنتخابات من خلال الإجراءات الآتية[1]:-

١- وجود الكثير من الأسماء الثنائية، وهو أمر غير قانونى .

٢- وجود أسماء مسجلة على عناوين لم يستدل عليها. فقد تم اكتشاف عنوان واحد لمائتى ناخب، وتبين أنها قطعة أرض لم يتم البناء عليها .

٣- إدخال أسماء على الجداول الإنتخابية بطرق غير قانونية كإضافة أسماء بخط اليد في اللحظات الأخيرة، والقيد الجماعى للناخبين .

٤- تعود الكشوف الإنتخابية في نفس الدائرة الإنتخابية ليصل إلى ٣ كشوف. فهناك كشف معلق أمام المقر الإنتخابى، وآخر أمام القاضى داخل مقر التصويت، وكشف ثالث أمام القاضى في الدور الثانى مخالف للكشفين السابقين.

٥- قيام مرشحى الحزب الوطنى باستغلال المؤسسات الحكومية لعمل دعاية انتخابية لهم وإجبار الموظفين على التصويت الجماعى لصالح مرشحى الحزب.

٦- استخدام أتوبيسات الشركات لنقل المواطنين إلى مقار الإقتراع، كما أن جهات الإدارة المحلية كانت تنحاز لصالح مرشحى الوطنى.

١- السيد أبو داود. الأمة في مواجهة الاستبداد، ص ص١٠٧- ١٠٨.

٧- انتهاك وسائل الإعلام الرسمية لكل معايير العدالة لصالح مرشحى الحزب الوطنى، وتوجيه دعاية مضادة لمرشحى المعارضة والإخوان المسلمين، بتوجيه المستمعين والمشاهدين والقرّاء لعدم التصويت لهم.

٨- انفراد مرشحى الحزب الوطنى الحاكم بالترتيب الأول والثانى فيما يتعلق بوضع المرشحين في القائمة الإنتخابية التى تقدم للناخب وهو تحيز واضح.

٩- قيود على الصحافة في تغطيتها للإنتخابات، حيث يقوم البلطجية أو الضباط والمخبرين بتكسير كاميرات الصحفيين والإعلاميين ومنعهم من تغطية الإنتخابات.

١٠- عدم السماح بالمراقبين الدوليين، بحجة التدخل في الشأن الداخلى.

١١- واجهت منظمات المجتمع المدنى التى استطاعت أن تنتزع حقها في مراقبة الإنتخابات بحكم قضائى - واجهت صعوبات في عملية الرقابة، ولاسيما عند رصد الإنتهاكات التى حدثت أثناء عملية التصويت، ومن قبلها الدعاية الإنتخابية.

١٢- تعرض دخلاء المرشحين في الإنتخابات لمضايقات وسنعهم من حضور عمليات فرز الأصوات ومنعهم أحيانا من دخول مقار الإقتراع.

١٣- تعد أجهزة الأمن التى تحيط باللجان الإنتخابية مسئولة مسئولية مباشرة عن التزوير، فهى إما تتواطأ مع البلطجية من أجل إثارة الفوضى في اللجان، ومنع الناخبين من الإدلاء بأصواتهم، أو تمنع الناخبين الذين تشك في توجهاتهم من دخول لجان التصويت .

ويعد الحزب الوطنى الديمقراطى أحد أسباب قيام الثورة، فقد أفسد الحياة السياسية في مصر باستبعاده كل صاحب رأى ... وتقريب الذين لا يستطيعون سوى السمع والطاعة. فهو صنع أحزابا ورقية لا وجود لها على

الساحة السياسية، بينما حرم أصحاب الإتجاهات الأصيلة من التواجد الشرعى على الساحة السياسية، لأن رئيس الحزب الوطنى كان يرأس لجنة الأحزاب – أى هو الخصم والحكم في الوقت نفسه.

ومن مساوئ الحزب الوطنى أنه وزّع على المنحرفين من رجال الأعمال الدوائر الإنتخابية، وتولى تزوير الإنتخابات ونتائجها ومكنهم من الحصول على عضوية مجلس الشعب في أسوأ انتخابات برلمانية، فلقد نسى الحزب وعوده بعدم استبعاد أحزاب المعارضة عن طريق التزوير.

ولا يستطيع الشباب الغاضب تبرئة الحزب الوطنى من التخطيط بهجوم البلطجية عليهم يوم الجمعة، وما أطلق عليه، "واقعة الجمل والحصان" .

وليس سراً يذاع أن المساعى التى يبذلها بعض رجال الأعمال، وما تتطلبه من تكاليف مادية باهظة، تتم من أجل الحصول على الحصانة البرلمانية، والتقرب من مواقع إصدار القرار.

ونظرا لما قام به الحزب الوطنى من إفساد الحياة السياسية قضت دائرة شئون الأحزاب بالمحكمة الإدارية العليا بحل الحزب الوطنى الديمقراطى وأيلولة أمواله إلى الدولة في جلستها المنعقدة في ١٦ /٤/٢٠١١. وأستند الحكم إلى أن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ قد أزاحت النظام السياسى القائم وأسقطته وأجبرت رئيس الجمهورية السابق على الرحيل والتنحى في ١١ فبراير ٢٠١١ ويلزم ذلك قانونا وواقعا أن يكون الحزب قد أزيل من الواقع السياسى المصرى رضوخاً لإرادة الشعب، ومن ثم لا يستقيم عقلاً أن يسقط النظام الحاكم دون أدواته وهو الحزب، ولا يكون على المحكمة في هذه الحالة إلا أن تكشف عن هذا السقوط حيث ليس له وجود بعد ٢٠١١/٢/١١ تاريخ إجبار الشعب رئيس الجمهورية السابق على التنحى .

وأضافت المحكمة أنه لازما عليها وبعد أن كشفت عن سقوط واقع ما كان يسمى بالحزب الوطنى الديمقراطى، فإنها تقضى بأيلولة أمواله إلى الدولة التى هى ابتداءاً وانتهاءاً أموال الشعب خاصة. وثبت للمحكمة أن أموال الدولة اختلطت بأموال الحزب الوطنى[١] .

وفى ظل النظام السابق، وتحت عهد حبيب العادلى وزير الداخلية السابق، تفشت ظاهرة البطالة ورعرعت، إذ جندت الوزارة ميلشيات من المسجلين خطر، وبعض العناصر الأمنية لتحقيق مصالح الحزب الوطنى وأتباعه وحتي يكون البلطجى براحته تم الطعن على دستورية قانون البلطجة في عام ٢٠٠٦، مما أدى إلى بطلان ٤٥٠٠ حكم قضائى ضد البلطجية. وتفاقمت الظاهرة بوجود ١٠ ملايين قضية منظورة أمام القضاء، فاندفع البعض لأخذ حقه بيده أو باستئجار البلطجية. وظهرت على الساحة شركات الأمن والتى تخصص بعضها في تنفيذ هذه الأحكام بواسطة رجالها المسلحين مقابل عمولة .

وقد اكتمل السيناريو بالترويج للبلطجة من السينما لتصبح نصيحة الأم لابنها وهو متجه إلى المدرسة: قلمك في يدك، ومطوتك في جيبك، مقولة شهيرة يطبقها التلاميذ الصغار من باب المنظرة واستعراض القوة.

وقد استعان النظام بالبلطجية، فأخرجهم من السجون، ومن أماكن الاحتجاز وأقسام الشرطة، وتسليحهم، ثم يدفع بهم إلى تأديب الخصوم في الحرم الجامعى، وفى الإنتخابات، وحتى في المظاهرات السلمية التى تفجرت في ٢٥ يناير ٢٠١١.

ولأن عدوى البلطجية أنتقلت إلى فئات أخرى، فالقضية ليست فقط نصف مليون بلطجى أعلن عنهم وزير العدل، وإنما نحن بحاجة إلى تغيير

١- جريدة الأهرام. العدد ٤٥٤٢٢ في ١٧ إبريل ٢٠١١، ص٤.

ثقافة المجتمع وتوجهاته. ومن ثم فإن الأحكام المشددة بالسجن التى تصدرها المحكمة العسكرية ضد البلطجية، واستخدام الداخلية للطائرات إلى جانب الدوريات لرصد أعمال البلطجة. لابد أن تتزامن مع إعادة تأهيل البلطجية أخلاقيا ودينيا وتعليمهم حرفة، ثم توفير فرص عمل لهم(١).

الأجهزة الأمنية :

لاشك أن تحقيق الأمن الداخلى والحفاظ على الأمن الخارجى من الوظائف الهامة للدولة، وتعد مهمة مركزية للدولة. وكان الإعتقاد السائد لدى العديد من السياسيين أن الواجب الأسمى للدولة هو تولى هذه المهام بفاعلية. وقد ارتبط مدلول الأمن بمفهوم الخطر والتهديد، فهو يمثل المحصلة النهائية لمستوى ودرجة التحصين لكيان الدولة من الداخل والخارج(٢).

وتتعرف الأجهزة الأمنية على أنواع الجرائم التى تهدد الأمن الوطنى كالجرائم الاقتصادية، ومنها: غسيل الأموال، والتلاعب بالبورصة، والفساد الإدارى، والجرائم التى يمكن حدوثها عبر التجارة الإلكترونية والجريمة الدولية وتجارة المخدرات ودفن النفايات النووية والكيمائية، فجميع هذه الجرائم تهدد الأمن الوطنى للدوله(٣).

وتقاوم الأجهزة الأمنية التطرف والإرهاب، فهما من الظواهر الخطيرة التى تهدد الأمن الوطنى. وتعالج بالجمع بين الأساليب الأمنية الاقتصادية

١- هبة حسين. صناعة البلطجة. نقلاً عن جريدة أخبار اليوم. العدد ٢٣٤٧٣ فى ٢٠١١/٥/٢٨.

2- Carle jean, consequences plitics et securintaires de la Globalisation in Mondialisation, securiete, Edition Anep, p. 161 .

٣- محمد سعد أبو عامود. الوظائف الجديدة للدولة في عصر العولمة، نقلا عن مجلة الديمقراطية، العدد ٣، ٢٠٠٦، ص٧٥ .

والاجتماعية والنفسية. وعلى هذا الأساس أصبحت محاربة الفقر إحدى أدوات الأمن. كما أنه دعم التنمية عاملاً مهما للاستقرار[1].

ولقد شهدت فترة حكم مبارك الاضرابات وانتشار ظاهرة التعذيب في مراكز الشرطة، واستفحل ظاهرة العنف ضد المرأة، وازداد عدد المعتقلين في السجون، لقد وصل عدد المعتقلين السياسيين إلى ما يقرب من ثمانمائة عشر ألف معتقل إدارى، وقد ورد في كتاب من تأليف الصحفى عبد الحليم قنديل – وصل عدد العاملين في جهاز أمن الدولة ١,٧ مليون ضابط وجندى.

وكانت قوات الأمن المركزى التى تتكون أساساً من مجندى الجيش الذين لا تتوافر فيهم المؤهلات العادية للإنضمام إلى الجيش، وقد أنشأت أثر هزيمة ١٩٦٧ وعند وفاة جمال عبد الناصر كان عددها حوالى ١٠٠,٠٠٠ فرد، وتجاوزت في عهد السادات ٣٠٠,٠٠٠ ألف فرد. وعقب انتفاضة ١٩٧٧ بدأ تضخيم جهاز الأمن المركزى وقوات الداخلية حتى وصلت قوات الشرطة إلى مليون و ٢٤٠ ألف فرد، وفرت لهم كل الوسائل التكنولوجية.

وتؤكد الإحصاءات الرسمية وجود ٨٥٠ ألف ضابط وشرطى في وزارة الداخلية، أضف إلى ذلك ٤٥٠ ألف من قوات الأمن المركزى و ٤٠٠ ألف مخبر سرى وذلك بمجموع مليون و١٧٠٠ ألف ضابط وجندى ومخبر. وقد قدّر الباحث عبد الخالق فاروق عسكرياً لكل ٣٧ مواطنا مصرياً، وهى نسبة قمع تقترب من ضعف مثيلاتها في إيران زمن الأيام الأخيرة للشاة، فقد كانت النسبة الإيرانية عسكرى لكل سبعين مواطنا.

ولا شك أن القوة المفرطة أصابت النظام السابق بوهم كبير جدا في تأثير قوته على الأرض فالقوة في كثير من الأحيان يدعوها إحساسها بنفسها

١- جمال نصر. الدولة فى عصر العولمة – رؤية من المنظار الوطنى، نقلا عن مجلة الديمقراطية. العدد ٤٢، ٢٠١١، ص١٢٨.

إلى الإعتماد على تأثيرها أكثر من اللازم، تتواكل وتتكاسل، والناس أيضا يكون شعورها تجاه هذه القوة مبالغاً فيه.

وحين عيّن حبيب العادلي وزيرا للداخلية في مصر في ١٨ نوفمبر ١٩٩٧ خلفاً لحسن الألفي في أعقاب حادث السياح في الأقصر، وذلك على جثة سلفه حسن الألفي، إذ تقدم بتقارير تدين الألفي بالتقصير، مما دفع حسني مبارك أن يسب الألفي ويهينه مع صدور قرار بإقالة الألفي ويعيّن العادلي بدلا منه.

ولما تولى العادلي الوزارة ركزّ على قضية واحدة لا غير، وهي قضية أمن النظام، والأمن عنده هو أمن الحاكم وتأمين الكرسي، وحصلت وزارته على حصص هائلة وميزانية الدولة، واحتلت الوزارة المركز الثاني في الميزانية بعد وزارة الدفاع، وتقدمت على وزارات أخرى أكثر أهمية، مثل: وزارة التربية والتعليم، والصحة والاقتصاد.

واهتم العادلي بالمعارضة الإسلامية فامتلأت بهم السجون، وتفنن زبانيته في تعذيب المعارضين في المعتقلات، وبلغت الجريمة والبلطجة أعلى معدلاتها وازدهرت تجارة المخدرات، وأقدم العادلي على إشعال فتيل الفتنة الطائفية، فكان له دور في تفجير كنيسة القديسين بالأسكندرية، فقد أثبتت تقارير أمنية دور أجهزة الأمن في تسليم المسلمات الجدد، مثل: وفاء قسطنطين، وكامليا شحاته من أجل تهييج مشاعر المسلمين ودفعهم لحرب طائفية[١].

١- الحسيني الحسيني معدّى. ثورة ٢٥ يناير انتفاضة شعب وسقوط الفرعون، ص ص٢٥- ٢٧ .

تفجير كنيسة القديسين في الإسكندرية :

حدثت هذه العملية الإرهابية في مدينة الإسكندرية وسط الاحتفالات بعيد الميلاد للكنائس الشرقية، وبعد مرور السنة الجديدة بعشرين دقيقة حدث انفجار أمام كنيسة القديسين في منطقة سيدى بشر أسفر عن مقتل ٢٤ قتيلا (من بينهم مسلمين) كما أصيب ٩٧ شخصاً وقد نشرت بعض المعلومات في بعض مواقع الإنترنيت والصحف والمجلات تفيد أن وزارة الداخلية، المصرية هى وراء هذه التفجيرات بمساعدة جماعات إرهابية، إذ هناك سلاحا سريا في الوزارة تم تأسيسه من أثنين وعشرين ضابطا تحت إشراف وزير الداخلية حبيب العادلى، وتم تحويله إلى المحاكمة بعد اعتراف منفذى العملية عند طلبهم اللجوء السياسى بالسفارة البريطانية .

وكان أن تجمع الأقباط وإعتصموا أمام ماسبيرو، وطالبوا بمحاكمة الجناة الذين ثبت تورطهم في الاعتداء على دور العبادة المسيحية وإصدار قانون لتجريم التمييز الدينى وحماية الأقليات وضمان حقوقهم، والقبض على مثيرى الفتنة من محرضين ومتورطين سواء كانوا من رجال الدين أو أجهزة الدولة في كل الجرائم المرتكبة ضد الأقباط وتقديمهم إلى محاكمة عاجلة عادلة، وطالبوا بتشكيل لجنة تتضمن شخصيات عامة من مسلمين وأقباط مشهود لهم بالكفاءة والنزاهة لتقصى الحقائق في كل الجرائم التى وقعت في حق الأقباط قبل وبعد ثورة ٢٥ يناير، وطالبوا بإطلاق سريع لجميع المعتقلين الذين تم القبض عليهم في أحداث الفتنة الأخيرة بداية من مسبيرو ومرورا بصول وأبو قرقاص وانتهاء بإمبابة[١].

وقد كلفت جماعة الأخوان المسلمين عددا من كوادرها الثقافية بزيارة عدد من الكنائس لحضور قداس عيد الميلاد لتقديم واجب العزاء في ضحايا حادث كنيسة الإسكندرية .

١- الجمهورية. العدد ٢٠٩٢٩ في ٢٠١١/٥/١٣، ص٧ .

وقد تطرقت ندوة فى كلية التجارة بجامعة المنصورة يوم الأربعاء ١٨ مايو ٢٠١١ إلى قضية الفتنة الطائفية، وفيها قال محمد سليم العوا الأمين العام السابق لهيئة علماء المسلمين أن الفتنة الطائفية ليست دينية. فكل الأحداث بدءا من الزاوية الحمراء في السبعينات وحتى أحداث إمبابة ما هى إلا اختلاف بين أشخاص في مسائل عاطفية وغرامية غير جائزة، وفيها تهور مجنون، ودعا الخطباء والدعاة إلى حفظ وحدة الوطن وصناعة لحمة صادقة لأن الخلاف يجب أن يكون أمام صناديق الإنتخابات فقط(١).

واستنكر خطباء المساجد في يوم الجمعة ٢٠١١/١/٧ مستنكرة ما أطلق عليه "بالحادث الآثم" الذى وقع أمام كنيسة القديسين وأشاروا إلى قضية التسامح الدينى والوحدة الوطنية.

وأعلن الأنبا مرقس مطران شبرا الخيمة وتوابعها والمتحدث الرسمى باسم الكنيسة أن الحكومة غير مسئولة عن الحادث، والأقباط آمنون بنسبة ١٠٠% ولا يوجد تقصير أمنى فلم يكن بمقدوره فعل أى شيء لمنع وقوع المذبحة والإرهابيون في العراق وباكستان فجروا المساجد(٢).

وفى عام ٢٠٠٩ أصدرت الجمعية الوطنية للدفاع عن الحقوق والحريات تقريرها السنوى الثانى عن التعذيب في مصر لعام ٢٠٠٩ ويحمل اسم مواطنون بلا أمان في وطنهم، فما زال مسلسل إهدار الكرامة مستمر .. تعذيب ضرب وقتل داخل الأقسام ومراكز الشرطة في مصر، والذى يحتوى على رصد وتوثيق حالة التعذيب في مصر خلال عام ٢٠٠٩، وحالة واحدة من عام ٢٠١٠م، وهى قضية الشاب المصرى خالد سعيد التى هزت مصر على جميع الأصعدة السياسية أو الشعبية، والذى أطلق عليه أخيراً شهيد الإسكندرية.

١- الأهرام. العدد ٤٥٤٥٤، في الخميس ١٩ يناير عام ٢٠١١، ص٥ .

٢- الشروق الجديدة. العدد ٧٠٧، في ٨ يناير ٢٠١١، ص١، ص٦ .

وما زال مسلسل التعذيب مستمرا داخل أقسام ومراكز الشرطة، بل امتد إلى الشارع وإلى السجون. مما يوضح استمرار تزايد ظاهرة التعذيب، دون اهتمام من قيادات الشرطة أو الدولة. للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة التى من شأنها تقييد الحريات وانتهاك الجسد والروح دون مراعاة للآدمية التـــى حماها الله في كتبه ورسله وأنبيائه، وأيضا الحماية الدولية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وغيرهـــا من الاتفاقيات والمعاهدات التى تناهض التعذيب في العالم، وحتى التشريعات الوطنية المتمثلة في الدستور المصرى وقانون العقوبات .

ولهذا يجب محاربة التعذيب والقضاء عليه لتصبح مصر بلا تعـــذيب. هذا ودائما يقاس تقدم الدول من خلال ساحة الحرية واحترام كرامة الإنسان. وندعوا المواطنين أن يتصدروا لمثل هذه الأفعال الشاذة والسيئة لكى نقـــف أمام مرتكبيها ومحاسبتهم على ما اقترفوه تجاه الشعب المصرى الذى أعطاهم السلطة والنفوذ لحمايتهم لا لتعذيبهم وقتلهم وسحقهم .

ونستعرض في السطور التالية الأساليب التى تستخدمها الـــشرطة فـــي تعذيب المواطنين[١]:

١- التعليق من المعصمين في الموثقين أو المقيدون بسلاسل خلف الظهـــور من أعلى الباب أو قضبان النوافذ، مما قد يؤدى إلى الإصابات العصبية.

٢- الضرب ضربات عشوائية أو موجهة إلى أجزاء معينة من الجسم مثل: باطن القدمين أو قمة الرأس. وتشمل أدوات الضرب السلاسل والـــسياط والعصى الغليظة.

١- منظمة العفو الدولية. التعذيب في مصر ١٩٨١- ١٩٨٣، أدلة منظمة العفو الدوليـــة ورد الحكومة المـــصرية عليهـــا - أغـــسطس١٩٨٥ Al Index. M.R. E. ١٢/٣/ ١٩٨٥، ص ص١-٣ .

٣- إطفاء السجاير في جسد الضحية .

٤- صب الماء البارد على الضحية .

٥- الصدمات الكهربائية .

٦- إجبار الضحايا على الوقوف لساعات طويلة مع مد الذراعين والرجلين، وكانوا يضربون إذا تحركوا.

٧- الإعتداء الجنسى، أو إدخال العصى أو المواد الأخرى في الشرج .

٨- التعذيب العقلى أو النفسى، مثل :

أ- التهديد باغتصاب المعتقل أو أقاربه أو الإعتداء عليه أو عليهم جنسياً أو التهديد باغتصاب زوجة المعتقل أمامه .

ب- الإرغام على سماع صراخ الآخرين أثناء تعذيبهم .

جـ- التهديد بقتل المعتقل أو سجنه لأمد غير محدد .

د- إخبار المعتقلين بأنهم سوف يصابون بالجنون أو العجز الجنسى من آثار التعذيب .

هـ- تغمية العيوب بصفة مستمرة .

و- المنع من الذهاب لدورات المياه .

ز- الحبس الإنفرادى لمدة طويلة .

قانون *الطوارئ*:

وبموجب قانون الطوارئ توسعت سلطة الشرطة، وعلقت الحقوق الدستورية، وفرضت الرقابة، وقيد القانون بشدة أى نشاط سياسى، غير حكومى مثل: تنظيم المظاهرات، والمظاهرات السياسية غير المرخص بها، وحظر رسميا أى تبرعات مالية غير مسجلة، وبموجب هذا القانون احتجز حوالى ١٧,٠٠٠ شخص ووصل عدد السجناء السياسيين ٣٠,٠٠٠ وبموجب قانون الطوارئ فإن للحكومة الحق في أن تحجز أى شخص لفترة غير

محدودة بسبب أو بدون سبب واضح، وبمقتضى هذا القانون لا يمكن لشخص الدفاع عن نفسه، وتستطيع الحكومة أن تبقيه في السجن .

وتعمل الحكومة على بقاء حالة الطوارئ بحجة الأمن القومي، وتستمر الحكومة في ادعائها على اعتبار أنه بدون حالة الطوارئ فإن جماعات المعارض كالإخوان المسلمين يمكن أن تصل إلى السلطة في مصر .

التعذيب :

وقد انتشرت ظاهرة التعذيب، فقد دأبت الحكومة المصرية على تعذيب خصومها السياسيين، وعلى وجه الخصوص بعد قتل أنور السادات. فقد أكدت لجنة الشريعة الإسلامية بنقابة المحامين في يناير ١٩٩١، أنها رصدت ٢٥٠ ألف قرار اعتقال، وأن حوالى ٣٠٠ معتقل ما زالوا قيد الإعتقال منذ ثلاث سنوات، ويتجدد اعتقالهم تلقائيا. وحددت اللجنة أسماء الضباط الذين يرتكبون جرائم التعذيب، وكذلك رؤساء الجامعات وأمراء الكليات الذين يصدرون قرارات بفصل الطلاب[١].

وقد أكدت منظمة العفو الدولية في أحد تقاريرها عن أملها في أن تدرس الحكومة المصرية جدياً مسألة تطبيق ضمانات معينة افترضتها المنظمة ضد استخدام أساليب التعذيب والمعاملة السيئة . .

وأعربت اللجنة عن قلقها إزاء التقارير التى كانت تتلقاها منذ عام ١٩٨١ والتى تفيد بأن المعتقلين السياسيين كانوا قد تعرضوا لمختلف أنواع التعذيب.

قيل أنه إذا كان الشاب الجامعى محمد بوعزيزى الذى قام بإحراق نفسه في السادس عشر من ديسمبر ٢٠١٠ بمدينة سيدى بوزيد وأمام مقر الولاية هو الذى أشعل ثورة تونس، حيث كان الشرارة الأولى التى كسرت حاجز

١- جريدة الشعب. العدد ٦٣٢ في ٧ يناير ١٩٩٢، ص١.

الخوف في قلوب التوانسة ليخرجو على حكم زين العابدين بن على، ويجبروه على الفرار إلى خارج البلاد، فإن في مصر كان حدث مقتل والوفاة الوحشية للشاب المصرى خالد سعيد الذى توفى على يد اثنين من رجال الشرطة في منطقة سيدى جابر محافظة الإسكندرية، يوم ٦ يونيو ٢٠١٠ واعتديا عليه بالضرب حتى الموت أمام العديد من شهود العيان، لأنه رفض امتهان كرامته، علما بأن الفترة السابقة قد شهدت وجود العديد من الكتابات ولقطات الفيديو لانتهاكات الشرطة حقوق الإنسان، ولكنها لم تشهد هذا الإتحاد من قبل الجميع للتهديد به .

وفى يوم ٢٥ يونيو قاد محمد البرادعى المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية تجمعاً حاشداً في محافظة الإسكندرية منددا بانتهاكات الشرطة ثم عاد وزار عائلة خالد سعيد لتقديم العزاء .

وقد شعر المصريون بالصدمة عندما شاهدوا صورته حياً وميتاً، وأدركوا أن ما حدث قد يتكرر معهم في أحد الأيام، ورغم أن سمعة الأمن المصرى سيئة في انتهاك حقوق الإنسان، إلا أن وفاة خالد سعيد كان أمراً استثنائياً لأنه كان شاباً عاديا لا ينتمى لأى تيار سياسى، ولم يرتكب خطأ يستحق عليه ما حدث وبالتالى قد صار رمزا ترتكز فيه كل تصورات الشباب المصرى عن الظلم.

وتزايد غضب الشباب بعد أن حاولت السلطات تبرئة القاتلين من خلال الادعاء أن خالد سعيد توفى باسفكسيا الخنق نتيجة ابتلاعه: لفافة بانجو كان يحاول إخفاءها من رجال الأمن. وقد عبّر الشباب عن رأيهم في هذه الجريمة بإنشاء صفحة على الفيس بوك بعنوان "كلنا خالد سعيد" وكانت هذه الواقعة هى الأفيونة التى ألهبت شباب مصر، وألهبت مشاعر المصريين، وهى المحرك الأول لتنفجر ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

ثم توفى شاب آخر يبلغ من العمر ٣٠ عاماً، وهو السلفى سيد بـــلال، وهو يقطن بالإسكندرية، اعتقله رجال جهاز أمن الدولة، ومعـــه عـــدد مـــن السلفيين للتحقيق معهم في تفجير كنيسة القديسين، وقاموا بتعذيبهم في مباحث أمن الدولة بالإسكندرية، وترددت أنباء عن تعذيبه بشدة حتى الموت. وكانت الشرطة المصرية قد اقتادته من مسكنه فجر الأربعاء ٥ ينـــاير ٢٠١١، ثـــم أعادته إلى أهله في اليوم التالى جثة هامدة .

وقد انتشر على نطاق واسع فيديو يظهر آثار التعذيب في رأسه وبطنه وقد أحدثت هذه الحادثة صدمة في مصر وفى العالم كله .

وقد حصل سيد بلال على دبلوم صناعى وعمل فى شركة بتروجيـــت حتى سنة ٢٠٠٦ حين اعتقل وأودع سجن أبو زعبل، ثم عمل بـــراد لحـــام. وهو أب لطفل عمره سنة وشهران .

وقد تقدمت أسرة الشاب السكندرى ببلاغ رقم ٢٠١١ إلى النائب العـــام تطالب فيه بالكشف الطبى عن ملابسات وفاة ابنها أثنـــاء احتجـــازه أمـــام سلطات الأمن بالإسكندرية .

ورفضت مديرية الأمن في الإسكندرية التعليق علـــى ســـبب الوفـــاة. وسارت حالة من التكتم الشديد داخل الجهاز الأمنى - وتكرر الموقف عنـــد محاولة الحصول على تعليق من أجهزة الأمن على مستوى الوزارة، حيـــث اكتفت المصادر التى تحدثت إليها الشروق بالقول، أنه سيتم الـــرد علـــى أى أسئلة عندما تتاح معلومات مؤكدة عن الحادث[١].

ولذلك يقول أحمد ماهر منسق حركة ٦ إبريل لم يكن رحيل الـــرئيس مطلباً يسعى ائتلاف شباب ثورة الغضب لتحقيقه أثناء استعدادهم ليـــوم ٢٥

١- جريدة الشروق الجديدة. العدد، ٧٠٧ في ٨ يناير ٢٠١١، ص١ .

يناير، بل كنا نسعى لإقالة وزير الداخلية من منصبه، وتنفيذ أحكام القضاء بصرف ١٢٠٠ جنيه كحد أدنى للأجور.

وقام النظام بتضييق الخناق على قوى المجتمع المدنى، فقد أصبحت النقابات المهنية، بعد صدور القانون رقم مائة لعام ١٩٩٣، وفرضت الحراسة القضائية على بعضها، وحرمت من أن تكون منابر سياسية، كما كان عليه من قبل في مطلع التسعينات من القرن الماضى. ثم امتدت يد الحكومة إلى الجمعيات الأهلية، لتحويلها إلى مجرد هيئات للنفع العام، وليس منابر اجتماعية وسياسية وثقافية حقيقية[١].

كما تفجرت وانطلقت حركات اجتماعية في مصر طوال حكم مبارك، وذلك مثل الحركة المصرية من أجل التغيير أو كفاية (سبتمبر ٢٠٠٤)، للاحتجاج على انتخابات الرئاسة، وتركز سلطات صنع القرار في مؤسسة الرئاسة، وقانون الطوارىء وغيره من القوانين المقيدة للحريات المدنية. وتولد من حركة كفاية شباب من أجل التغيير و "كفاية من أجل التغيير".

ويمثل الإخوان المسلمين أكبر الجماعات المعارضة في مصر، وقد نجحت الجماعة في حشد الدعم من أجل الإصلاح السياسى الذى يأخذ شكل الأحكام والقيم الدينية، وكرد فعل على استبعادهم القسرى من المجال السياسى، دعوا إلى حركات سياسية خاصة وجماعية والمطالبة لوضع حد لقانون الطوارئ، وإزالة القيود الأخرى على النشاط السياسى. وشن القضاة الإصلاحيون في نادى القضاة حملة لاستعادة استقلال السلطة القضائية، وضمان شفافية عملية الإنتخابات من خلال الإشراف القضائى ومراقبة الإنتخابات.

١- د. عمار على حسن. الحركات السياسية الجديدة – صعوبات التجذر الإجتماعى، نقلا عن د. أحمد ثابت (محرر)، حدود الإصلاح السياسى، ص ص٢٢٤- ٢٢٥.

وقبل وقوع الثورة – حدث حراك سياسى في مصر تجلى في ظهور محمد البرادعى وعمرو موسى وغيرهما، والذى أثر في عودة الأمل والنشاط للحراك السياسى. إذ طالبت هذه المجموعة الجديدة بتغييرات دستورية لضمان نزاهة انتخابات الرئاسة. كما تشكلت مجموعة من الشباب ظهرت باسم الحملة الشعبية المؤيدة للبرادعى وغيره من المواطنين، الذين ظهروا إبان ذلك، وجمعوا توكيلات من الناس للبرادعى وغيره، حتى يطالبوا بتعديل الدستور.

الفساد:

استشرى الفساد في المجتمع المصرى قبل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وظهرت مقولة تقول: الكفن ليس له جيوب. وعندما تفجرت الثورة كان العالم كله يتحدث عن الثروة التى جمعتها أسرة الحاكم، والتى بلغت عشرات المليارات من الدولارات[١].

فقد تعددت الشركات التى تنوء بالقروض، والتى تسجل دفاترها خسائر كاملة. كما أن هناك العديد من الوحدات الرابحة والتى تعرضها الشركات القابضة للبيع. وتسير الخصخصة على أسس غير سليمة لاسيما في التقويم ولا في الإعلان ولا في البيع. ويبدأ الإضطراب في تحديد الأولويات، وفى الإعلان عن بيع بعض الوحدات وعند التقويم، خاصةً إذا خضع هذا التقويم لخبراء أجانب، أو قامت به بنوك مصرية، أو شاركت فيه الشركات القابضة.

فمن حيث الإعلان فإنه يضفى السرية على كل العمليات، ويبدو أن المقصود ألا يراه إلا أناس هم أصحاب المصلحة في رؤيته لأنهم المستفيدون الوحيدون منه. وتقوم الحكومة بعملية الخصخصة وكأنها ترتكب عملاً خارجا عن العرف والقانون وهو في حقيقة الأمر خارج عن مصلحة الناس، إلا أن

١- انظر . د. محمد عمارة. ثورة ٢٥ يناير، ص ص٥٥- ٦٢.

الحكومة قد ارتضته كوسيلة للإصلاح الاقتصادى سواء أكان قرضا من صندوق النقد، أم باقتناع كامل منها .

وتتم عمليات الخصخصة في الخفاء، ويفاجأ الناس بأنه قد تم بيع كذا وكذا ويتساءل الناس أين تذهب حصيلة البيع؟ هل توضع في صندوق خاص كما قيل لإنشاء مشروعات أخرى، أم تدخل خزانة الدولة؟ أم تتسرب هنا وهناك بحيث لا يعرف أحد مصيرها .

ويقول رجال الأعمال أن عملية الخصخصة تسير ببطء أكثر من اللازم، ففى خلال عامين باعت الدولة ثلاثة شركات كاملة فقط، ويشمل ذلك شركتين لتعبئة المشروبات الغازية وشركة للغلايات. أما وزير قطاع الأعمال فيقول: أن الرقمين المستهدفين للأصول المباعة والتى طرحت للبيع في نهاية ديسمبر ١٩٩٥ يشكلان حوالى ٢٠% من كل أصول شركات القطاع العام المصرى. واستطرد يقول: سننشر إعلانات تدعو الناس إلى شراء الأسهم كل يوم، واعتبار من العاشر من يوليو ١٩٩٥ سنعرض أسهم مصانع أسمنت وطلاء وأسمدة وقضبان صلب، ونتوقع أن يفوق الاكتتاب في الأسهم المطروحة بنسبة ٤ إلى واحد عندما تبدأ العروض .

ولا شك أن الحكومة ترغب في الانتهاء من الخصخصة التى تعتبرها، ويعتبرها البنك الدولى، بل وتعتبرها دول كثيرة وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية من أركان الإصلاح الإقتصادى أو من أهمها. وهكذا فالحكومة تعمل على تفسير السياسة الاقتصادية المصرية حسب ما يريده البنك الدولى، وما تريده الولايات المتحدة الأمريكية، وهو التخلص نهائيا من القطاع العام(١) .

١- سعد الدين وهبة. النهب الثالث لمصر، ص ص١٥- ١٩.

وفى ظل النظام السابق شهد المجتمع شرائح مختلفة من الطبقة العليا والوسطى والدنيا، وقد شملت ٧٠ ألف قضية فساد قبل الثورة، فامتلأت سجون المزرعة وطره بأسماء كبيرة وضمت وزراء وكبار، وعدد من المشاهير. وساعد النظام السابق على التزاوج بين المال والحكم وبين من له سلطة اتخاذ القرار، ومن لديه مصلحة في نوع القرار الذى يجرى اتخاذه. وليس من الغريب أن يعين ستة وزراء في حكومة واحدة يشرف كل منهم على وزارة ذات صلة بنشاطه التجارى قبل اعتلائه الوزارة وبعده، مما يعتبر من قبيل تضارب المصالح، خاصة مع المصالح العامة.

وقد أحس بذلك الرئيس السابق محمد حسنى مبارك ووعد شفهيا بالعمل على محو الفساد، ولكنه لم يعرف يومئذ. فقد قال من بين ما قال: لن أرحم أحدا يمد يده إلى المال العام حتى لو كان من أقرب الأقارب، أننى لا أحب المناصب ولا أقبل الشللية والظلم ولا أقبل أن يظلم أحد وأكره استغلال علاقات النسب[١]. وقال في مجلس آخر، الكل سواء عندى أمام القانون ونحن لا نريد قانون الطوارئ[٢]. وقال لمجلة أكتوبر لن أقبل الوساطة وسأعاقب لصوص المال[٣]. ومصر ليست ضيعة لحكامها[٤]، وفى خطاب له قال: الكفن مالوش جيوب، سنعلي من شأن الأيادى الطاهرة[٥].

ومع ذلك فقد استشرى الفساد بين شرائح المجتمع المختلفة . من هم في القوة والسلطة، وبين من هم قريبين من السلطة، أو القادة على الاقتراب

١- جريدة مايو بتاريخ ١٨/١٠/١٩٨١م.

٢- جريدة نيورك تايمز بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٨١م.

٣- جريدة أكتوبر بتاريخ ٢٦/١/١٩٨١م.

٤- مجلة المصور بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٨١م.

٥- خطاب له في فبراير ١٩٨٢ .

منها. فقد قام ممثلون من العاملين بشركة القناة للتوكيلات الملاحية ببلاغ إلى النائب العام ضد د. عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء الأسبق فهؤلاء يتهمونه ببيع الشركة للتوكيلات الأجنبية الخاصة، مما أضاع على الدولة أكثر من ٩ مليارات جنيه سنويا. خلال الفترة من بداية ١٩٨٩ حتى ١٩٩٤ كانت تدخل خزانة الدولة.

وأكد العاملون أن الشركة سددت للدولة ضرائب بـ ٣٧٦ مليون جنيه، وحصلت رسوما سيادية مليارا و١٢ مليون جنيه. وقد توقف ضخ كل تلك المبالغ المالية بسبب تلك القرارات الخاطئة[١] .

وفى ظل النظام السابق حصل عدد من رجال الأعمال على قروض ضخمة من بنوك الدولة دون ضمان وهرب خارج البلاد، وحصل رؤساء تحرير صحف قومية على ثروات ضخمة من حصيلة الإعلانات التى كان يجب أن تذهب إلى الدولة، وذلك مقابل لما يقدمونه لرجال الحكم من خدمات سياسية وشخصية كما قامت شركات وهمية تحمل شعارات دينية، وتجمع بناء على ذلك مدخرات صغار المستثمرين، فتستثمرها في مجالات مجهولة أو غير قانونية تحت سمع وبصر الدولة، وذلك في مقابل أن توزع على كبار المسئولين أرباحا خيالية طبقا للكشوف، وتسمى كشوف البركة، كما كانت تصدر قرارات لرفع أو خفض العمل طبقاً لمصلحة أشخاص من ذوى النفوذ يكونون الثروات من شراء العملة ثم بيعها[٢].

وبعد أربعة أيام من ثورة ٢٥ يناير، كان أول تنازل قدمه الرئيس مبارك هو إقالة الحكومة، والتى كانت تشمل عددا من رجال الأعمال أثيرت حولهم اتهامات الفساد، وذلك بهدف تهدئة الرأى العام الثائر على تفشى

١- الجمهورية العدد ٢٠٨٦٣، بتاريخ ٢٠١١/٢/١٠، ص٣.

٢- د. جلال أمين. مصر والمصريون في عهد مبارك، ص ص٦٣- ٦٤ .

مظاهر الفساد في البلاد، والذى اتخذ أشكالا مختلفة، وشاعت حالة من عدم الانضباط عل كافة المستويات والتسيب والمبالاة وازدياد أنماط من الجرائم، مثل جرائم المال، والنصب، وجرائم شركات توظيف الأموال، والبحث عن الكسب السريع من أعمال غير منتجة كالسرقة والمضاربة وبناء العمارات التى تنهار سببب عدم مطابقتها للمواصفات الهندسية(١).

وعقب إقالة الوزارة ، جرى تحديد إقامة وزراء سابقين ورجال أعمال ومسئولين وتجميد أرصدتهم وتحويل عدد منهم إلى التحقيق، وسط معلومات تفي بأن ثرواتهم تقدر بعشرات المليارات.

وفى إنجلترا كشفت تقارير صحفية تفيد أن ثروة عائلة مبارك تقترب من ٧٠ مليون دولار وأفادت تقارير صحفية بأن عددا من الشخصيات العامة والسياسية تقدمت ببلاغات للنائب العام تطلب التحقيق في ثورة مبارك وعائلته، والتى جاءت نتيجة استغلال السلطات والتربح. وكشفت مصادر قضائية أن ثروة أمين التنظيم السابق في الحزب الوطنى أحمد عز تبلغ ١٨ مليار جنيه – أى ما يعادل ثلاثة مليارات، وهناك من رفعها إلى ٤٠ مليار جنيه.

ونشرت صحيفة المصرى اليوم أن حسابات وزير الإسكان السابق أحمد المغربى عشرة مليارات جنيه – أى حوالى ١,٨ مليون دولار، ووزير السياحة السابق زهير جرانة ١٣ مليار جنيه.

وأورد الخبير الاقتصادى والمتخصص في قضايا الفساد/ عبد الخالق فاروق أن حالة الفساد في مصر تحولت إلى حالة انحرافات تزيد من قمة هرم السلطة إلى سياسة مجتمعية شاملة، وذكر أن هناك نوعان من الفساد، فساد الكبار وهم المتربعون على قمة الهرم الاجتماعى والسياسى، سواء في

١– د. أحمد مجدى حجازى. أزمة القيم. مجلة الديمقراطية. عدد ١، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية. الأهرام، ٢٠٠٣، ص٥٦ .

الفرع التنفيذى (الحكومى) أو التشريعى (مجلس الشعب) حيث شكلوا شبكات مصالح تتنازع أحيانا وتتناغم في توزيع المزايا أحيانا أخرى .

أما النوع الثانى من الفساد فهو فساد الصغار الفقراء، إذ امتد الفساد من الكبار إلى الصغار. ويتمثل ذلك في الفساد والرشوة والوساطة والمحسوبية.

وقد ترتب على هذا الفساد خسائر بشرية ومالية، ويتمثل ذلك في غرق العبّارة المملوكة لرجل الأعمال الشهير/ ممدوح إسماعيل - عضو مجلس الشورى، أدت إلى مصرع أكثر من ألف شخص، وعقْد أرض مدينتى التى اشتراها هشام طلعت مصطفى وأدت إلى خسائر تقدر بعشرات المليارات من الجنيهات. كما حصل العديد من رجال الأعمال الأعضاء في البرلمان والوزراء على آلاف الأفدنة من خلال قرارات تخصيص أراضى بأسعار تقل كثيرا عن السعر الأصلى، مما مثل إهدارا للمال العام وهكذا تحول الفساد في مصر من فساد في الإدارة إلى إدارة الفساد وهذا ما حدى بـ زكريا عزمي رئيس ديوان الجمهورية ، وأحد نواب أقطاب الحزب الوطنى إلى القول " أن الفساد وصل للركب"[١] .

وفضلا عن ذلك فقد جرى فضائح النهب العام، فقد اتهمت تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات الحكم بالإهمال وإهدار المال العام في ٩٠% من مشروعات الدولة، ونزوح الأموال بمئات المليارات إلى الحسابات الخاصة بالخارج. وفى كِتابٌ من إعداد حركة كفاية، الكتاب الأكثر سوادا بلغت قيمة الأموال المنهوبة في صفقات بيع الأراضى والمنشآت إلى ثلاثة تريليونات جنيه. وقد أوكل للملياردير حسين سالم - ضابط المخابرات السابق والمقرب من الرئيس المخلوع مهام التصرف في موجودات شرم الشيخ، كما أوكلت له صفقة تصدير الغاز لإسرائيل[٢].

---

١ - د.الحسيني الحسيني معدّى ثورة ٢٥ يناير ص ص ٥٧ - ٥٩ .

٢ - عبد الحليم قنديل. الأيام الأخيرة. ص ص ١٥٤ - ١٥٥ .

وقبل ثورة ٢٥ يناير كان أغلب الموظفين في الدوائر الحكومية مرتشين لأن حقهم مهضوم[1] .

تدهور الوضع الإقتصادى :

فقبل توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل في ٢٦ مارس ١٩٧٩ كانت تجربة مصر الكبرى باهرة في التنمية والتصنيع، تحقق أكبر معدلات التنمية في العالم الثالث – حسب ما جاء في أرقام البنك الدولى، فقد كانت معدلات النمو الحقيقى تجرى بمتوسط قدره ٦,٧% سنويا بين عامى ١٩٦٥، ١٩٦٦، وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ تراجعت معدلات النمو، ودفع غالب الموارد للمجهود الحربى، لكن معدلات التنمية ظلت مطردة، فقد حققت مصر بين عامى ١٩٦٧– ١٩٦٩ معدل نمو بمتوسط قدره ٤% سنويا، وبين عامى ١٩٦٩ و١٩٧٣ ارتفع المعدل إلى ٥,١٩% سنويا، وبعد حرب ١٩٧٣ لم تتراجع معدلات التنمية، وإنما جاءت مثقلة بالديون ن فقد ارتفع معدل النمو بين عام ١٩٧٤ و١٩٧٩ إلى ١٠,٩٤% سنويا .

أما ديون مصر فلم تكن حتى رجيل جمال عبد الناصر تتجاوز المليارى دولار، وبعد حرب ١٩٧٣ وحتى ١٩٧٦ تلقت مصر مساعدات عربية وصلت إلى ٦٣٥٤ مليون دولار، كانت نسبة ٥٧% في صورة هبات ومنح لا ترد. لكن باب الاستدانة قد فتح على مصراعيه، فقد تلقت مصر تحويلاً من مؤسسات عربية لتغطية العجز في الميزان التجارى، فزاد التحويل إلى ٦٢١٦ مليون دولار، وبين عام ١٩٧٨ – ١٩٨١ تلقت مصر قروضا أمريكية لشراء أغذية وسلع. وفيما بين عامى ١٩٨٠، ١٩٩٢ إنحطت معدلات النمو فبلغت ١% سنوياً .

---

١ – داليا جمال . غباء بالجملة ، نقلا عن أخبار اليوم ، العدد ٢٤٧٣ بتاريخ ٢٨/٥/٢٠١١ .

وقد تحول اقتصاد مصر إلى اقتصاد يعتمد على السياحة ورسوم قناة السويس وتحويلات العاملين المصريين في الخارج، وكلها موارد معرضة للتأثر بالتغيرات الدولية والإقليمية. وقد توازت هذه المحنة مع زيادة أسعار الغذاء ومنتجات الطاقة دولياً، وارتفعت فاتورة القمح وأصبحت عنصرا ضاغطا على الاقتصاد المصرى، وتحولت مصر إلى المستورد الأول للقمح في العالم. وقد زاد سعر طن القمح في السنتين الأخيرتين وحدهما إلى أكثر من الضعف. فارتفع من ٢٦٠ دولار إلى ٥٤٠ دولار للطن، وهو ما يعني مضاعفة الدعم الموجه لرغيف الخبز، وهى تكلفة فوق طاقة الموازنة إذ تبلغ ثلث إجمالى الميزانية، والمثقلة أصلا بأقساط وفوائد ديون خارجية وداخلية، تفوق إجمالى الناتج القومى، مما يضطر مصر إلى استنزاف معجل للإحتياطى النقدى الاستراتيجى(١).

وقد نتج هذا التدهور عن قيام الحكومة المصرية بإصدار قانون قطاع الأعمال رقم ٥٣ والخاص بالشركات القابضة عام ١٩٩١، ثم أصدرت القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٩٢ والخاص بالقطاع نفسه وبمقتضاه قامت الحكومة ببيع شركات القطاع العام المملوكة للشعب. فتحطمت وانهارت قلاع صناعية كبرى في الإسكندرية وحلوان وشبرا الخيمة وكفر الدوّار، وما تبقى قائما كان قد ضعف في حجمه وتأثيره بعد إحالة مئات الآلاف من العمال إلى المعاش المبكر، ورفعت الحكومة يدها عن التدخل في العملية قدر الإمكان، وفتحت الباب على مصراعيه أمام رأس المال الأجنبى للاستثمار في مصر، بالإضافة إلى الإجراءات التى تقضى إلى تحرير الاقتصاد المصرى(٢).

١- عبد الحليم قنديل. الأيام الأخيرة، ص ص٢٠- ٢١.

٢- انظر، خالد كاظم أبو دوح. التحولات العالمية الجديدة والديمقراطية في المجتمع المصرى، ص١٧.

ومع ذلك فإن ٢٢% من قوة العمل معطلة، بـل وارتفعـت معـدلات البطالة وبدأت في الارتفاع منذ عام ١٩٨٦، فهناك ١٠ مليون عاطل من سن ١٥ إلى ٢٩ عاماً - أى حوالى ٢١,٧ من إجمالى قوة العمل. فلقد تولد لدينا فائض في حجم العمالة بمعنى أن طلبات التوظيف أكثر من المعروض مـن حجم الوظائف، وذلك نتيجة لزيادة السكان نتيجة للفرص المتكافئة للإنـاث في دخول سوق العمل. ونتيجة كذلك للخصخصة، فالمشترى أو المالك الجديد لم يجد في مصلحته الإبقاء على العمال كلهم. ولابد أن يستغنى عـن جـزء منهم.

وقد أدت أزمة البطالة العارضة على زيادة عمليات الخطف مقابل مبالغ مالية، أو قطع الطريق للحصول على أسورة ذهبية، أو فـضية أو تليفـون موبايل، وهكذا خلفت البطالة هؤلاء جميعاً الذين كان من بينهم من يعمل في مصنع من المصانع، أو في محل تجارى صغير، ثم أوصدت دونهم أبـواب الرزق، - والنفس للأسف أمارة بالسوء، فضلا عن الحاجة الصارخة لتوفير الطعام والدواء اللازم للأم أو الإبن أو الأخت المريضة[١].

وقد أصدرت منظمة العمل الدولية تقريرها السنوى فـي ٢٠١١/٢/١م والخاص لعام ٢٠١٠، وفيه أشارت بأن التحدى الكبير الذى يواجه دول العالم الثالث وعلى رأسها مصر هو توفير فرص العمل، خاصـة مـع اسـتمرار ارتفاع مستويات البطالة فضلا عن الإحباط المتزامن بين الشباب العـاطلين، وضعف مستوى العمالة، وانتشار الفقر في المناطق النائية .

ويزداد معدل البطالة بين خريجي الثانوية ليصل إلـى نـسبة ٢٥%، ويصل إلى ٢٢% في خريجى الجامعات، وأن الشباب هم الأكثـر عرضـة

١- انظر، سـمير رجـب. خطـوط فاصـلة. الجمهوريـة، العـدد، ٢٠٩٧١ بتـاريخ ٢٠٠١/٥/٢٩، ص١٦.

للبطالة، حيث يمثلون ٦٠% من إجمالى الفئة العمرية العاملة، وأكثر من ٨٠% من إجمالى العاطلين، وأن أخطر مشكلة تواجه الحكومة هى البطالة[١].

وظل معدل البطالة في الارتفاع، خاصة في عهد وزارة د. أحمد نظيف، وصاحب ذلك ارتفاع في الأسعار .

ويقول وزير قطاع الأعمال، أن هناك عدة بدائل وحلول أولها أن الحكومة ستظل تدفع أجر العامل ومرتبه الأساسي إلى سن المعاش، وهذا حقه، بل هو من حق أسرته، والبديل الثانى هو أن تعرض على من يرغب في ترك العمل مبلغا من المال إذا كان يريد أن ينشئ مشروعا خاصا، والبديل الثالث هو القيام بإعادة التدريب لعله يجد فرصة عمل أفضل في سوق العمل، والبديل الرابع هو إقامة مؤسسات يمكن أن تستوعب فائض العمالة.

وتقول سهير أبو العلا: أنه رغم هذا الارتفاع المستمر في أعداد البطالة، نجد صرخات أصحاب الأعمال تنطلق بسبب نقص العمالة. فقد أعلن أحد أصحاب الأعمال مؤخرا في إحدى الجرائد عن فرص عمل في بعض فروع السوبر ماركت الذى يمتلكه، وكان المطلوب ألف وظيفة، تمت الموافقة على تعيين ٦٠٠ شاب، ولم يتقدم بأوراق تعيينه سوى ٦٠ فقط.

وقال شاب يعمل سائق تاكسى أنه عمل في إحدى محلات السوبر ماركت الشهيرة وبمرتب مجز ويشترك في التأمينات الاجتماعية، ولكنه لم يستمر في هذا العمل لأنه يقوم بتوصيل الطلبات للمنازل، وهو عمل مرهق، ولهذا خرج من هذه الوظيفة، ويبحث حالياً عن وظيفة حكومية أفضل من توصيل الطلبات أو حتى العمل كسائق .

١- سمير الحفناوى. ثورة الشباب المصرية بأقلام وعيون غربية، ص٢٣٦.

وأكد بعض أصحاب المصانع رفض الكثير من الشباب العمل في المصانع إلى جانب أن إنتاجية العامل المصرى تراجعت إلى أقل من ٥٠% مقارنة بالعمالة القادمة من شرق آسيا. أضف إلى ذلك كثرة الأجازات والتباطؤ في العمل رغم أن الأيدى العاملة المصرية في السنوات الماضية كانت من أفضل العمالة التى تطلبها جميع الدول من حيث الكفاءة والمهارة والقدرة على زيادة الإنتاج ... لأن الكل انصرف للبحث عن الوظيفة الحكومية.

وتتساءل سهير أبو العلا كيف يتم بناء الدولة؟ وترد على ذلك بأن نمو الاقتصاد المصرى في ظل أغلبية تفضل الجلوس خلف المكاتب في انتظار راتب شهرى وحوافز ومكافآت .. وترى أنه يجب توعية الشباب بالإتجاه للعمل الحر وإلى زيادة الإنتاج في جميع الأنشطة بدلا من انتظار خطاب التعيين[١].

وعن توزيع الدخل القومى ذكر تقرير لمجلس الشورى، صدر عام ١٩٩٤ أن ١٤% من المصريين يحصلون على ٧٤% من الدخل القومى، وأن ٨٦% من المصريين يحصلون على ٢٦% فقط. وقد صارت الصورة فيما بعد ذلك سوءاً كثيراً فقد أصدر د. رشدى سعيد كتاب بعنوان، الحقيقة والوهم في الواقع المصرى – أن ٢% من المصريين يحصلون على ٤٠% من إجمالى الدخل القومى وهؤلاء يعملون في تجارة الأستيراد والأراضى والعمولات والمقاولات والتوكيلات التجارية، والنصب والتهليب، ويطلق د. رشدى سعيد على هؤلاء "كتلة البشر الطافية" أما الكتلة الثانية فقد سماهم د. رشدى سعيد بكتلة البشر الغاطسة، وهم يمثلون ٩٠% من السكان.

١- سهير أبو العلا. لا للبطالة والخصخصة. نقلا عن جريدة الجمهورية، العدد ٢١٠٠٧ بتاريخ ٤ يوليو ٢٠١١، ص٥.

بالإضافة إلى ذلك فقد هرب بعض الناس من الكتلة الطافية. فهربوا من مصر إلى الخارج بعد اقتراض الملايين من البنوك المصرية. وقد قدّر د. عزيز صدقى رئيس الوزراء الأسبق الأموال المهربة أكثر من ٢٠٠ مليار دولار. أضف إلى ذلك النهب العام بالخصخصة. ففى أوائل التسعينات كانت قيمة القطاع العام المراد بيعه أوائل التسعينيات تصل إلى ٥٠٠ مليار جنيه، ولم تزد قيمة العائد من بيعه عن ٣٥ مليون جنيه، ويعنى هذا إهدار المال العام بمبلغ ٤٦٥ مليار جنيه .

ونتج عن ذلك موجة احتجاجات، فكانت مظاهرة ميدان التحرير في ٢٠، ٢١ مارس ٢٠٠٣ وبعدها ظهرت حركة كفاية في سبتمبر ٢٠٠٤، ونظمت أولى مظاهراتها في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٤ وعن طريق كفاية انتقل التمرد إلى أوساط القضاة وأساتذة الجامعات(١).

ومن بين وسائل علاج المشكلة الاقتصادية في مصر - الاهتمام بالقطاع العام - بقدر الاهتمام بالقطاع الخاص، وذلك يعتبر ضرورى لتوازن الأسعار. ولتوجيه الأسعار لصالح البسطاء والفقراء، ومنع الاحتكارات الأجنبية، فالاقتصاد الحر لا يعنى ترك الحبل على الغارب، وكل شخص حر في أن يفعل ما يشاء ويصنع ما يشاء. وعليه يجب أن يظل في الدولة مخططين، وتحديد المشروعات التى تحتاج إليها برامج التنمية. فالمشروعات الاستراتيجية والحيوية يجب أن تظل مع النظام العام.

وننوه إلى أن الاقتصاد المصرى يعد بلّا هوية. فكل مستثمر معاه قرش يعمل حاجة تحقق له الربح بصرف النظر عن حاجة الاقتصاد لمثل هذه المشروعات. وتتجه معظم المشروعات إلى صناعات استهلاكية مثل مصانع الأكلات السريعة والآيس كريم والشيبسى، والمياه الغازية، ومثل هذه

١- عبد الحليم قنديل. المرجع السابق، ص ص٢٤- ٢٦.

المشروعات لا يقوم عليها اقتصاد. ومنذ الخصخصة لم تنشأ مصانع جديدة، كما أن الاستثمارات التى دخلت البلاد واشترت مصانع قائمة ولم تعمل على إقامة مصانع جديدة، ومع الأسف فإن القطاع الخاص لا يقبل على الاستثمار في المشروعات الكثيفة والتى تحقق عوائد بعد سنوات طويلة. فالقطاع الخاص يبحث فقط عن الربحية[١].

بالإضافة إلى عدم العدالة في توزيع الأجور، فقد نما الاقتصاد القومى نموا جيداً قبل الثورة وبمعدل ١٧% ولكن الأهم هو توزيع هذه الزيادة توزيعاً عادلاً وهذا لم يحدث، ففى مؤسسة ما يتقاضى الموظف ١٠٠٠ جنيه، ويحصل رئيس المؤسسة على ١٠٠,٠٠٠ جنيه شهرياً. وفى مؤسسة أخرى يحصل الفرد على مائتى أو ثلاثمائة جنيه، ويتقاضى رئيس المؤسسة مليون جنيه في الشهر، وترتب على ذلك أن أسراً تسكن القصور، وترفل بالنعيم، وتقف أمامها سيارات ليكزاس الفاخرة، وأسر أخرى تسكن المناطق العشوائية ويغرقون في الفقر حيث يقطن العمال والبستانيون الذين يعملون في هذه القصور ويتكدس كل خمسة منهم في إحدى هذه الغرف، وتجد خرابات مفتوحة تتوسطها قصور مسورة، وقصورا مسوّرة ترى خرابات مفتوحة على مرمى الأفق البعيد. وقد نتج عن هذه الحالة، فلا سكان الخرابات اتسقوا نفسيا، ولا سكان القصور هنأوا في المقابل.

وتقول تقارير أخرى أنه بحلول عام ٢٠١٠ – كان حوالى ٤٠ مليون من سكان مصر يعيشون تحت خط الفقر ويعتمدون على دخل قومى يعادل دولارين يوميا لكل فرد ويعتمد جزء كبير من السكان على سلع مدعمة[٢].

١- هانى صالح. قطاع الأعمال، مقال منشور بجريدة الجمهورية. العدد ٢١٠٠٤، في ٢٠١١/٧/١، ص٤.

٢- الحسيني الحسيني معدّى. ثورة ٢٥ يناير، ص١٩٦.

أما أطفال الشوارع – فقد أكدت الحكومة أنه يبلغ مليون طفل، وتقدره المؤسسات الأهلية المستقلة أنه ثلاثة ملايين.

وتصل حدة الفقر إلى شيوع ظاهرة العنوسة والإضراب الإجبارى عن الزواج، فقد بلغ عدد الشباب والشابات الذين تخطوا سن الزواج – دون زواج– إلى عشرة ملايين – حسب التقديرات الرسمية، أما التقديرات غير الرسمية فقد قدرت الرقم بـ ١٣,٥ مليون[١].

وترتب على ذلك أن انقسم المجتمع إلى طبقتين ليس بينهما وسط، أقلية تملك كل شئ، وهى تمثل ٢٠% فقط من الشعب، وطبقة ثانية هى الأغلبية، ولا تملك أى شئ، وهى تمثل ٨٠% من الشعب. وهذا هو النظام الأوليجاركى الذى يسيطر فيه قلة من السكان على الثروة مستولين على حق الشعب الكادح. وهذا ما يطلق عليه الرأسمالية الاحتكارية التى يحاول فيها رجال الأعمال والمستثمرين السيطرة والإحتكار على هيئات ونظم الدولة محاولين إدارة دفة الحكم لمصلحتهم. فهم بذلك يسيطرون على كل هيئات وسلطات الدولة تشريعية كانت أو تنفيذية بل وحتى قضائية[٢].

ولقد تصورت الصفوة الحاكمة أن الفقراء مشغولون بتدبير احتياجاتهم الأساسية، بينما أبناء الطبقة الوسطى يعيشون في حالة ازدهار، ويدللون على ذلك بزيادة مبيعات السيارات وأجهزة التكييف والتليفونات المحمولة، بل وما ينفقونه على الدروس الخصوصية بينما كان الإزدهار غير متوفر إلا لشريحة محدودة من هذه الطبقة، وهى الشريحة التى ينتمى إليها الأغلبية الأعم من الشباب الذى دعى للمظاهرات .

١- انظر: عبد الحليم قنديل. المرجع السابق، ص٢٢ .

٢- الحسيى الحسينى معدّى. المرجع السابق، ص٢٠٠ .

وقد أصاب هذا التفاوت في الأجور الشباب بالإحباط، ودفع بعضهم الذين لا يجدون عملا ولا سكنا ولا زواجا، إلى المغامرة بأرواحهم في الهجرة غير الشرعية عبر البحر المتوسط، باحثين عن لقمة العيش في أوربا، بما يعنيه من خيانة وطنية دفعهم إليها النظام السابق .

صحيح أن الغنى والفقير هما وجهان لكل عملة مجتمعية أفرزها الماضى والحاضر وسوف يفرزها أى مستقبل. ولكن الفصل بين وجهى العملة بسور هو نوع من الشعور الدفين باستحالة التعايش بين الإثنين، ونوع من أنواع تعزيز هذا الشعور، دائما وأبداً وهذا هو مكمن الخطر(١).

كذلك فإن الحكومة اتخذت بعض الإجراءات التى من شأنها تخفيض أو إلغاء الدعم السلعى، مما زاد من أسعار السلع والخدمات، وزادت الرسوم على الخدمات الحكومية، وزادت الضرائب، وتقلص الإنتاج العام على القطاعات الاجتماعية خاصة التعليم والصحة والإسكان، مما كان له أثر على الفقراء ومحدودى الدخل. وزاد من التدهور الاقتصادى والاجتماعى(٢) .

وهكذا غضب الشعب المصرى نتيجة الفقر وزيادة عدد الفقراء، وتراجع مستوى معيشة طبقات جديدة، وزيادة الفوارق الاجتماعية والطبقية بشكل صارخ، وحالة القلق التى استبدت بأغلبية المصريين حول مستقبل بلدهم، حيث أن المتوسط العام للأجور يزيد قليلا عن ٣٠٠ جنيه شهريا للموظفين – أى أن المصريين أغلبيتهم الساحقة نزلوا تحت خط الفقر الدولى المقدر بـ دولارين يومياً. وتحدثنا الأوضاع أن ٣٤% من المصريين تحت

١- أشرف عبد المنعم، مقال بعنوان: "ياما قلت" نشرت بجريدة الأهرام القاهرية، العدد ٤٥٣٧٨ في ٤ مارس ٢٠١١.

٢- خالد كاظم أو دوح. نحو سوسيولوجيا جديدة لفهم ثورة المصريين – نقلاً عن مجلة الديمقراطية. ٢٥ يناير – العدد ٢٤، ٢٠٠١، ص٥٠ .

خط الفقر. أما الواقع فيقول: أن ثلثى المصريين واقعون تحت خط الفقر بالدخول الرسمية المشروعة إن وجدت.

ولذلك طالب الخبراء في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بوضع حد أدنى للأجور في جميع قطاعات الدولة لتحقيق تناسب بين الحد الأدنى والحد الأقصى، علما بأن زيادة الحد الأدنى للأجور أيدته حكم المحكمة الدستورية وفقا لنص المادة ٢٣ من الدستور. فالحد الأدنى للأجور ينبغى أن يتوافق مع مستويات الأسعار للسلع والخدمات السائدة في السوق .

ولقد كان د. يوسف بطرس غالى وزير المالية الأسبق يستعين بنحو ٤٠ مستشارا يتقاضى الواحد منهم رواتب بين ٢٠ ألف و٣٠ ألف جنيه شهريا. أما مستشارة وزير السياحة السابق فكانت تتقاضى ٦٥٠ ألف جنيه شهرياً.

وقد انتهت وزارة المالية من تحديد الحد الأدنى للأجور بـ ٧٠٠ جنيه، وقيل ٨٠٠ جنيه شهرياً، والأقصى بـ ٢٨ ألف جنيه و ٨٠٠ جنيه. ويسرى الحد الأدنى على موظفى الحكومة والقطاع العام والجهاز الإدارى والقطاع الخاص، ولا يسرى الحد الأقصى على القطاع الخاص. مع تنفيذ هذا البرنامج خلال ٥ سنوات. وقد صرّح مصدر مسئول أن تحديد الحد الأقصى تم على أساس ربط الحد الأدنى مضروبا في ٣٦ سنة، وهى عمر الموظف من سنة تعيينه حتى المعاش .

وقال المصدر أن زيادة الحد الأدنى للأجور إلى ١٢٠٠ جنيه شهرياً، يكلف الخزانة حوالى ٤١ مليار جنيه سنويا، إضافة إلى قيمة الأجور حاليا والبالغة ٩٦ ألف جنيه – ولو رفع الحد الأدنى إلى الف جنيه يكلف الدولة ٣٠ ملياراً. ويتكلف الرفع إلى ٨٠٠ جنيه شهرياً حوالى ١٥ مليار جنيه. وفى حالة تحديده بـ ٦٠٠ جنيه يكلف الخزانة ٦ مليارات جنيه سنوياً. وذلك

على أساس وجود ٦,٢ مليون موظف بالحكومة والقطاع العام[١].

العشوائيات :

يعيش نصف أفراد الشعب المصرى في مساكن لا إنسانية، إما في عشش أو مساكن للإيواء في القبور، فسكن العشش عبارة عن ألواح من الخشب أو الصفيح أو الكرتون أو الحديد أو الصاج أو الطين مقامة في الشوارع، أو تأخذ شكل تجمعات متلاصقة من العشش في مكان أكثر اتساعاً أما مساكن الإيواء فهى إما حجرات مساحتها ثلاثة أمتار مربعة مسقوفة بألواح الأسبستوس المعرج تأخذ شكل صفوف متراصة، مخصص لكل عدد من الحجرات المستقلة دورة مياه في الوسط، أو أخذ شكل حجرة أكثر اتساعاً ملحق بها دورة مياه أو مطبخ، وأحيانا تنقسم إلى حجرة وصالة، بالإضافة إلى دورة المياه والمطبخ. أما مساكن القبور فهى أحسن حالا من سكان العشش، فإسكان المقابر مصنوع من الطوب والأسقف أكثر متانة وتدخلها الشمس والمياه والكهرباء .

وقد أورد تقرير صندوق النقد الدولى للتنمية الزراعية، أن في مصر عام ٢٠٠٨ عشوائيات يسكنها ٤٨ مليون مصرى، وفى تقرير نشر في فبراير ٢٠٠٨، جاء فيه أن ١١ مليون مواطن يعيشون في ٩٦١ منطقة عشوائية. وقد تزايدت هذه المناطق العشوائية، فعددها حالياً طبقا لإحصاء الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء ١٢٢١ منطقة. وكشفت دراسة أجرتها جامعة القاهرة أن أكثر من ١,٥ مليون مصرى يسكنون المقابر. وتقول بعض التقارير أنهم ثلاثة ملايين. أما سكان القاهرة الذين يبلغون ١٦ مليونا يسكنون ما يقرب من نصفهم في المقابر والعشوائيات[٢].

١- أخبار اليوم. العدد ٣٤٧٣ بتاريخ ٢٨، ٢٠١١/١١/٥، ص٣ .

٢- انظر: عبد الحليم قنديل. المرجع السابق، ص٢٣ .

وقد تلاحظ أن الخصوصيات مستباحة بين العشة السابقة والتالية لهـا، علاوة على المارة، ولا تحتاج المسألة إلى التطفل والتلـصص، فالفواصـل الخشبية أو المصنوعة من الصاج والكرتون تنقل الأصـوات خلالهـا إلـى العشش المتجاورة، ووجود فتحات بها تجعل الرؤية ميسورة.

وفى هذه المناطق تسود الأمية بين أفرادها، وتتدنى أحوال المواطنين، وأصبحت أوكاراً للفواحش والمخدرات والبلطجة والجرائم بأنواعها، ويسودها التلوث المرعب، والفقر والجهل والمرض، وأشـكال البـؤس والحرمـان، والأمراض النفسية. ويفضل أطفالها البقاء في الشوارع، ممـا يـؤدى إلـى تعرضهم للإنحراف، ومنه تعاطى المخدرات، والسرقة وتهديد الأمن، و٦٠% منهم محروم من الخدمات التعليمية.

وتتعدد صور التحايل على الحياة في أسر المناطق العشوائية، فقد يكون. غموس الخبز هو الطرشى فقط أو السلاطة المصنوعة من الطمـاطم فـي أوقات رخصها والجرجير أو الخس، وقد تكون الدقة المصنوعة من الملـح هى غموس الخبز .

ومجتمع العشش مرتع لأمراض سوء التغذية. ونتج عن ازدياد وجـود المناطق العشوائية ومن البطالة والفقر والفـساد وغيرهـا مـن الظـواهر المجتمعية غير السوية. وكانت احتجاجية تعبر عن تضرر المـواطنين مـن التقشف، وبخس الضرر الواقع عليهم من رؤساءهم في العمل. ومن خـلال العدوى تحركت هذه الاحتجاجات من مصنع إلى آخر، ومن مؤسـسة إلـى أخرى حتى أصبحت ظاهرة عامة، ففى أحداث ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧ تأكـد لرجال الشرطة الحقيقيين أن سكان عشش الترجمان قاموا بدور بـارز فـي عمليات النهب والسرقة سواء من الأشخاص أو من المحال العامة، وعـشش

الترجمان منطقة عشوائية قريبة من القاهرة وتقع خلف شارع الصحافة، ومن حولها ثلاث مؤسسات صحفية كبرى، وعندما علم الرئيس السادات بذلك اتخذ قراراً بهدم عشش الترجمان ونقل سكانها إلى مدينة السلام شرق القاهرة.

وفى عام ١٩٧٧ قبض على عدد كبير من المتهمين في قضية التكفير والهجرة في مناطق عشوائية ببولاق الدكرور وعين شمس. وفى عام ١٩٨١ قبض على أحد المتهمين في حادث اغتيال الرئيس السادات في منطقة عشوائية شرق القاهرة، وفى عام ١٩٨٦ قبض على المتهمين في تنظيم الناجون من النار في مناطق عشوائية في بولاق الدكرور والقناطر الخيرية والمنوفية. وفى عام ١٩٨٦ قبض على بعض الهاربين من سجن طره والذين كانوا يقضون مدد العقوبة في قضية اغتيال الرئيس السادات في مناطق عشوائية في الشرابية وحدائق المعادى، وفى عام ١٩٨٨ وقعت أحداث عنف في عين شمس .

وفى عام ١٩٩٢ اكتشفت الشرطة أن منطقة المنيرة بإمبابة وهى منطقة عشوائية وقد أصبحت دولة مستقلة وفرض الإرهابيون عليها نظام حكم يقضى بدفع الإتاوات والخضوع تماما لهم، وبلغ بهم الأمر أن أنشأوا عيادات طبية، وبدأوا يقدِّمون خدمات اجتماعية للأهالى وعجزت الشرطة عن دخول هذه المناطق في إمبابة، وفى جزء من القاهرة الكبرى عدة مرات. ثم كان القبض على العشرات من أنصار الجماعات الإرهابية في حوادث الهجوم على محلات الذهب، وفى مقتل الدكتور/ رفعت المحجوب، ومقتل الدكتور/ فرج فودة، ومحاولة اغتيال صفوت الشريف، وحوادث انفجار وإلقاء المتفجرات، وقذف أتوبيس سياحى كان المتهمون جميعاً في هذه الحوادث من مناطق عشوائية. وفى عام ٢٠٠١ بلغ عدد الإحتجاجات ١٠٦ احتجاج، وفى عام ٢٠٠٧، بلغت ٧٥٦ احتجاج.

وقد ظهرت هذه الإحتجاجات في أنماط مختلفة نذكر منها: الإعتصام، التظاهر، التجمهر، ووصلت هذه الاحتجاجات إلى الإضراب الكلي، أو الجزئي، أو التباطؤ. وبدأت هذه الحركات من المصانع، وخاصة مصانع الغزل والنسيج، ووصلت إلى قطاعات أخرى مثل: قطاع الصحة، قطاع التعليم، ولم تقتصر على العمال، وإنما امتدت إلى الموظفين والمهنيين[١].

وبالإضافة إلى ذلك ظهرت حركة ٦ مارس، ومن خلالها احتج أساتذة الجامعات على وجود تدخل مسئول أمن الدولة في الحرم الجامعي، ومن أجل المطالبة باستقلال الجامعات وحرية المجتمع الأكاديمي. فضلاً عن مظاهرات قبطية اندلعت في الإسكندرية. وطالبت بالحريات الدينية، وثارت احتجاجات قبطية أخرى كرد فعل على الهجوم على الكنائس والرموز الدينية ودور العبادة في عام ٢٠٠٤ قامت احتجاجات على قانون الأحوال الشخصية[٢]. كما ظهرت عشرات المسميات للحركات الاجتماعية، كالتي تقول "لا للتوريث" وائتلاف المصريين من أجل التغيير[٣].

وفي مصر يشاهد المارة الأطفال وهم يبحثون عن لقمة العيش في صناديق القمامة. فكل نظام العار هذا مقاصل المجتمع المصري، وذلك بتدمير الثقافات المهنية والعمالية، ومسخ الأحزاب السياسية .

وفي ظل النظام السابق اجتمعت الثروة والسلطة بين قلة من المحتكرين وأصبح ما يزيد عن ٤٠% يعيشون في مصر تحت خط الفقر بينما حاز قلة من اللصوص والسماسرة على الأرقام الفلكية من الثروات التي جمعت من السحت والحرام .

١- عبد الحليم قنديل. الأيام الأخيرة، ص٢٣.

٢- انظر: عمر الشوبكي. الحركات الاجتماعية في الوطن العربي، ص١٠٥ .

٣- د. عليّ الدين هلال. النظام السياسي المصري بين إرث الماضي وآفاق المستقبل، ص ص٤٦٩- ٤٧١.

وقد حدثت هذه الظروف في عهد الفراعنة، وكانت السبب في حـــدوث ثورة عارمة وقعت أثناء فترة حكم ببيى الثانى، فقد تفشى الظلـــم واتـــسعت الهوة بين الطبقات، وأصبح هناك قلة ضخمة من فرط الشبع، وكثرة تعـــانى من قسوة الجوع البالغ أقصى مداه، حيث أكل الناس العشب، واكتفى بعضهم بشرب الماء حتى عجز الطير أن يجد ما يملأ به جوفه، بعد أن نفد الغـــلال من الصوامع، وتركت الماشية تهيم على وجوههـــا، فهجـــم عليهـــا النـــاس وذبحوها والتهموها حتى فنيت. ووصل الأمر إلى أن الناس كانوا يخطفـــون القاذورات من أفواه الخنازير، ومات الكثيرون، وملأت جثثهم الشوارع، حتى أصبحت التماسيح تتزاور بعيدا منها، بعد أن أكلت حتى الشبع.

وحين اشتد الجوع بالناس، هاجموا قصور الحكام والأثريـــاء، وقتلـــوا قاطنيها، ونهبوا ما فيها، وأشعلوا النار فى كثير منها. وفى أتون هذه الفوضى سقط الحكم، بعد أن انهارت الدواوين والمحاكم، ونهبت سجلاتها، وذبح كبار الموظفين، وصار من بقى منهم على قيد الحياة بلا كلمة مسموعة، وعاشـــت مصر مدة ست سنوات بلا حكام فانتشرت عصابات السرقة والقتل، وأفلست الخزانة العامة، ولم ينج قصر الملك نفسه من النهب.

وفيما يمثله ثورة عام ١٩٥٢ عاش المصريين عيشة متدنيـــة وتحـــت مستوى خط الفقر، ولذلك جعلت الثورة من أهدافها: "إســـقاط ســـيطرة رأس المال على الحكم".

وقد قام النظام السابق بتفكيك مفاصل المجتمع المصرى، وذلك بتدمير النقابات المهنية والعمالية، ومسخ الأحزاب السياسية، ولكن اتحدت تلك الفئات مع الحركة الثورية، وتوحدت شعاراتها التى أطلقتها فـــي ميـــدان النـــضال (ميدان التحرير) معبرة عن معاناتها رغم شعار الحرية والعدالـــة والعـــيش الكريم.

التعليم :

وقد اهتمت ثورة ٢٣ يوليو بالتعليم اهتماما بالغا، وأرسلت المئات من الشباب في بعثات بالخارج. أما في فترة حكم مبارك فقد تدهور فيها التعليم، وفشل نظامه في توفير وإدارة قطاع تعليمي سليم بين الأجيال القادمة، وأصبح الناس يتولون تعليم الأولاد والبنات في منازلهم عبر الدروس الخصوصية، مما يكلف الآباء تكاليف باهظة، ومارس المدرسون الضرب والركل لتلاميذهم؛ لأنهم يتقاضون مرتبات رمزية، فيضطرون إلى استكمالها بالدروس الخصوصية.

وقد أفرز التعليم فئات غير مؤهلة لسوق العمل، واهتمت الدولة الآن تدعو صراحة إلى إعادة تأهيل الخريجين لسوق العمل، وهذا أكبر اعتراف بفشل سياسات التعليم .

ولقد كان لهذه السياسات تأثيرها على شخصية الطالب المصرى وعقليته، حتى بات يعانى من تدهور المناهج. كذلك فإن أكتافُ الطلاب تئن بوطأة أثقال الكتب التى يحملها في حقيبته المدرسية خاصة لطالب المرحلتين الابتدائية والإعدادية. فضلا عن المرحلة الثانوية والتى هى حلقة سباق لا يكفى فيها الحصول على مجموع كلى للدرجات يجاوز ٩٥% لدخول ما اصطلح على تسميته بكليات القمة، والتى تضم كليات الطب والهندسة والصيدلة والإعلام والاقتصاد والعلوم السياسية، وما عدا ذلك فهى كليات تنتمى إلى كليات القاع.

وقد نتج عن هذا التدهور أن ٤٤,٧% من المصريين فوق ١٥عاما لا يعرفون القراءة أو الكتابة – أى حوالى ٣٧ مليون مصرى أمى، ٦٢% منهم إناث، ومن يستطيع أن يقرأ ولم يتلق تعليما مدرسيا ٨ ملايين نسمة ومن اقتصروا على الإبتدائية ٢٢ مليون، علما بأن مصر تضم ٢٢ جامعة

حكومية، و١٠ جامعات أهلية – أى جامعة لكل ٣ ملايين نسمة تقريبا، وهو عدد قليل جداً[١] .

ويستلزم ذلك ضرورة تطوير التعليم تطورا شاملاً وكاملاً، فيشمل المعلم والمتعلم والمناهج وطرق التدريس والربط بينها، فعدم الترابط بينها فإن الطالب يتعلم حسب نظرية الحفظ والتلقين، حتى حين يأتي الامتحان وفق نظرية إعمال العقل والتفكير التى لم يدرسها، وذلك يؤدى إلى الفشل، وتفاقم الأزمة. ويأتى الإصلاح بالقضاء على الكثافة المرتفعة وغير المعقولة داخل فصول الدراسة، كذلك ينبغى التجديد والتطوير والتحديث المستمر للمعلومات. ويقال إن كل معرفة تمر عليها ٣ سنوات تصبح متقادمة. أما في العالم العربى فالكتاب يظل كما هو من أيام سينا نوح. وإذا أرادوا أن يطوروه يغيرون جلدته وشكله، حتى أن بعض البلاد العربية يدرس نظريات عفا عليها الزمن، بل وكشف العلم الحديث عدم صدقها.

وقد انقطع البحث العلمى أو كاد، ومحيت الصلة بينه بين العملية الإنتاجية وأصبح الحديث عنه وعن أهمية تطويره حديث مكرر لا معنى له.

وفى التعليم تتعدد الأزمات، فهناك أزمة في مناهج وأزمة في طرق التدريس – وأزمة إدارة تعليمية. وأغلب المدرسين ليسوا من خريجى كليات التربية، وعقود المدرسين والمدربين في مصر لا يتجاوز ٣٠% وهو ما يعنى أن ٧٠% غير مؤهلين.

المجال الصحي :

وحسب ما ورد في تقرير رئيس لجنة الصحة بأمانة سياسات الحزب الحاكم، احتلت مصر المركز الأول في معدلات الإصابة بالمرض على مستوى العالم، وتحتل المركز الثانى في الوفاة بسبب مرض السكر – وفى

١- سمر الحفناوى. المرجع السابق، ص٢٤ .

مصر أعلى معدل وفيات على العالم بسبب انفلونزا الطيور، إلى جانب مخاوف من أنفلونزا الخنازير، وظهور حمى التيفود. ويشير تقرير لوزارة الصحة أن ٢% من سكان مصر يعانون من مرض أنيميا البحر المتوسط الذى يصيب الأطفال. ويقول وزير التعبئة والإحصاء أن ربع سكان مصر يعانون من ضغط الدم. وفى مصر أعلى معدل لوفيات الأطفال، فقد كان في عام ٢٠٠١ (٣٥ طفل لكل ألف طفل) عاد ليرتفع إلى (٥٠ طفل لكل ١٠٠٠ مولود)[١].

وقد تفشت الأمراض الخطيرة وتوحشت أمراض السرطان والفشل الكلوى، والتى وصل عدد ضحاياها إلى الملايين وانهارت الخدمات الصحية والعلاجية للفقراء، وعجزت الحكومة عن توسيع شبكة التأمين الصحى، وتركت المستشفيات دون رقابة وتخبطت في سياستها الصحية واعتمدت على سياسة العلاج على نفقة الدولة التى فتحت بابا للفساد والتمييز الطبقى في الحصول على العلاج من الدولة .

ونتج عن ذلك أن أصبحت مصر الأولى على العالم في الإلتهاب الكبدى الوبائى "فيروس س". وقد قدّرت الحكومة عدد المصابين بالتهاب الكبد الوبائى وسرطان الكبد إلى حوالى عشرة ملايين، وأكدت المصادر غير الرسمية (المستقلة) عدد المصابين بـ ١٣ مليون وهم يمثلون ٣٠% من عدد المصابين بهذا المرض في العالم[٢].

ويعتبر الإلتهاب الرئوى والإسهال القاتل أكثر انتشاراً بين الأطفال، و٢٩% من أطفال مصر لديهم تقزم بسبب سوء التغذية في إحصاء ٢٠١٠، و ١٤% لديهم قصر قامة حاد، وهناك ٣ مليون طفل معاق، نصفهم لديه

١- سمر الحفناوى. ثورة الشباب بأقلام وعيون غربية، ص٢٤١ .

٢- عبد الحليم قنديل. الأيام الأخيرة، ص٢٣ .

أكثر من إعاقة، والعناية بهم تكاد تكون شبه معدومة. وفى عام ٢٠٠٠ كان طفل من كل ثلاثة مصابا بالأنيميا، ارتفع هذا الرقم حالياً ليكون طفل من كل اثنين مصابا بالأنيميا. ففى ١٠ سنين قفزت النسبة من ٥٠% - أى أكثر من ١٠ ملايين طفل مصرى مصابا بالأنيميا، وذلك حسب ما هو وارد في تقرير رئيس لجنة الصحة بأمانة سياسات الحزب الحاكم.

وفى تقرير لوزارة الصحة يقول أن هناك ٢٠ ألف مواطن يموتون سنويا بسبب نقص الرعاية. وقالت د. عزة جوهر مدير المركز القومى للتغذية أن الأمن الغذائى المصرى، قضية أمن قومى. وسوء التغذية ينتج عنه أمراض مزمنة أبرزها الفشل الكلوى والكبد وأمراض القلب والسكر، وقصر القامة، والتقزم، والأورام الخبيثة. وبسبب التلوث وسوء الرعاية الصحية يوجد ٤٠ مليون طفل مصرى مصاب بفيروس (C)[١].

وإذا كانت هذه هى الخطايا أو ظروف الحياة البائسة التى عايشها الشعب المصرى قبيل ثورة ٢٥ يناير، فلماذا صبر المصريون عليها حتى وقعت الثورة؟ نقول أنه إذا كانت الطبيعة السمحة البسيطة المعطاءة قد أعطت صفات إيمانية، وكذلك جانبا سلبيا للمواطن المصرى. فإذا نظرنا إلى الطبيعة المصرية وجدنا النيل السهل المنبسط والزروع الخضراء على ضفتيه، ووفرة الغذاء الناتج عن الأرض الخصبة، والسماء الصافية معظم فصول السنة، والشمس المشرقة على مدار العام، والمناخ المعتدل صيفا وشتاءاً والذى تخلو من التقلبات الحادة والعنيفة والمهددة، كل هذا دعا المصريين إلى الراحة والاسترخاء، وترك بصماتها على شخصيته في صورة ميل إلى الوداعة والطمأنينة والهدوء وطول البال والدعابة والمرح

١- سمير الحفناوى. المرجع السابق، ص ص٢٤٢- ٢٤٣.

والتفاؤل والوسطية وحب الحياة. وتختلف هذه الصفات التى يتميز بها المصريون عن تلك الصفات التى يتسم بها من يعيشون في بيئات مهددة مليئة بالعواصف والنوات على سواحل البحار والمحيطات الهائجة، أو من يعيشون في بيئة صحراوية أو جبلية شديدة القسوة والفقر والجفاف، أو من يعيشون في غابات مليئة بالحيوانات المفترسة يتوقعون الخطر في كل لحظة أو من يعيشون في القطبين تحت العواصف الثلجية، ويلبسون ثيابا ثقيلة تحد من حركتهم وتلقائيتهم وتخنقهم تحت ثقلها .

هذا وللطبيعة السمحة البسيطة جانبا سلبيا يتمثل في الشعور الزائد بالطمأنينة والسكينة وأوصله ذلك إلى حالة من الكسل والتواكل والسلبية والتسليم للأمر الواقع والركوع إلى الاستقرار الذى يصل أحيانا إلى حالة من الجمود. فالشخصية المصرية مثل الطبيعة المصرية لا تتغير بسهولة ولا تتغير بسرعة، بل تميل إلى الاستقرار والوداعة والمهادنة، وتثبيت الوضع القائم كلما أمكن والتصادق معه وقبوله.

أما الحاكم في مصر فقد كان يبدأ بسيطا متواضعاً، ثم بطول المدة واستقرار الأوضاع تتمدد ذاته على أرض الوادى الخصيب وسط أناس طيبين مسالمين وادعين. وشيئا فشيئا تتوحش هذه الذات الحاكمة وتحكم قبضتها على رقابة الشعب. والحاكم يعرف دائما أن الشعب المصرى لا يميل إلى الثورة خاصة في أشكالها العنيفة .

يقول ابن خلدون[١] في هذا الصدد: أهل مصر يميلون إلى الفرح والمرح والخفة والغفلة من العواقب، وربما يفسر ذلك بأن المصريين كانوا يحكمون بواسطة حكام أجانب معظم مراحل التاريخ وكانوا يقبلون ذلك

١- د. السيد أبو داوود. الأمة في مواجهة الاستبداد، ص ص١٧- ١٨.

سماحة أو طيبة أو غفلة أو تهاونا أو رغبة في الراحة والاستقرار. وحين تشتد بهم الخطوب نتيجة لتعسف الحكم الأجنبى المستبد والمستغل، كانوا يستعينون بالنكات اللاذعة والسخرية لتخفيف أحساسهم بالثورة مما يعانون، وكان سلاح السخرية يؤجله قيام الثورة، وربما يجهضها لأنه يعمل على تنفيس الغضب الكامن .

ويتحرك المصرى ويثور في حالات قليلة ومحددة ، هى:

١- حين تنتهك قدسية عقيدته الدينية المتراكمة عبر عصور طويلة .
٢- حين تجرح كرامته الوطنية بشكل مهين .
٣- حين تهدد لقمة عيشه بشكل خطير .

والطغاة المستبدون كانوا يعرفون حدود هذه الأشياء، فيحفظون له بالحد الأدنى منها حتى يضمنوا استمرار ولائه، أو يحاولون خداعه حتى لا يصل إلى حالة الشعور بالمهانة أو العوز المحرض على الثورة .

ومن صفات الشخصية المصرية قدرته على التكيف مع الظروف، ولذلك فالمصريون لديهم مرونة كبيرة في التعامل، ولديهم قدر على قبول الأمر الواقع والتكيف معه أيا كان هذا الأمر، ولديهم صبر طويل على الظروف الضاغطة والقاسية، ولديهم أمل في رحيل من يظلمهمْ بشكل قدرى، لا دخل لهم فيه. والمثل الشعبى يقول:

اصبر على جارك السو، يا يرحل يا تجيله داهية تاخذه، فهم يراهنون على الزمن ليحل لهم المشاكل، أو تتحلل من المشكلات وعزائمهم .

والمصرى كثيرا ما يقبل الأمر الواقع ويغيز في نفسه وفى شخصيته وفى ظروف معيشته لكى يلائم هذا الواقع، وبالتالى لا يفكر كثيرا جديا في تفسير الواقع، بل يميل إلى الإستسلام له، والتسليم به إلى درجة الخضوع

والذل. ولهذا عرف المصريون بميلهم إلى الاستقرار وعدم التغيير، وخوفهم من الجديد، وابتعادهم عن المغامرة أو المخاطرة ورضاهم بما هو كائن، وصبرهم السلبى على ظروف تستحق المواجهة أو التغيير أو الثورة .

وقد رأى المستشرق الفرنسى "جاك إركن" أن الفهلوة هى السلوك المميز للشخصية المصرية، وهو يرى أن هذا السلوك مكّن مصر من أن لا تضيع أبداً، ولكنه جعلها تخسر كثيرا[١].

وقد فرّق الدكتور حامد عمار بين كوْن الفهلوة سلوكا أنقذ مصر على طول تاريخها من الضياع، والخسارة التى ما زالت مصر تتكبدها بسبب الفهلوة، فيقول: عصور طويلة مرت، لكل عصر مناسباته المميزة. وخصائصه الفريدة، وألوانه الخاصة، في تكوين ملامح الفهلوة دون المساس بالأصل. فإذا كانت الفهلوة هى الوسيلة المثالية لبناء جسد يتجاوز به المصرى. المسافة الفاصلة بين قدرته اللامتناهية على الطاعة والقبول بأقل القليل، وبين إحساسه بالبرودة والندية تجاه السلطة، فهو – مثلا- يخاف منها ويطيعها، وهيبته منها تمحو قدرته على الفعل والمشاركة، يخادعها، يتنكر لها، ينتقدها سواء في نكتة أو قعدة فرفشة، وغالبا ما يصل نقده إلى حد السخرية اللاذعة، والتجريح. وطبقا لذلك فقد كونت خفة الظل والخرافة والشطارة والقدرة على المراوغة، كوكتيل سعادة، أعطى المصرى القدرة الفائقة على طى سنوات طويلة سكنها السواد والحزن، وبما يكون هذا هو الجانب المشرق للفهلوة الذى قصده المستشرق الفرنسى .

أما الخسائر فتبدو في أن المصرى البسيط لم يشارك في بناء بلده المشاركة الحقيقية، وإنما ترك المهمة لفئة محدودة اختارت نوع الحضارة والعمران والعبادة والقيم والأعراف. وهذا خلق نوعا من الإذعان والإستسلام،

١- حمادة حسنين. مجلة روز اليوسف، العدد ٣٧٩٨ في ٢٠٠١/٣/٣٠ .

والمخادعة والتملق، بالإضافة إلى نهمه الشديد للكلام، الذى فجر طاقات لسانه، بينما أصيبت رغبته في الفعل وبذل الجهد والعرق بالشكل شبه التام.

فعند نزولك من بيتك في الصباح تسمع شخصاً ويبدو من صوته وعباراته أنه يبيع الهواء في زجاجة، ولديه قدرات خاصة على حبس الفيل في منديل، وسحق عظام من يتوفى بينما هو لا يعرف ماذا يبيع، أو من أين سيأتى بالفيل إذ كان في جيبه منديل، ويخاف من العتمة، تقول في نفسك إنه فهلوى. وهذا حقيقى لأن يعتمد على أحداث أكبر قدر من الضجيج والتشويش وجذب الإنتباه بتضخيم الذات، لتفادى مواجهة الواقع بمشاكله المعقدة، وخيوطه المتشابكة، التى يتطلب حل عقدها الاجتهاد والجهد والعقل.

وشخصية الفهلوى تراها وأنت تركب سيارتك بجانب أى رصيف أو تخرج منها فتفاجأ بأن الأرض قد انشقت وخرج منها شخص يقف وراءك أو أمامك ليقول تعال .. تعال، ويتصرف وكأنه ينظم حركة دخولك وخروجك في الحقيقة فهو يعوق حركة السيارة بوقوفها المستفز أمامها أو خلفها. ويقابلك الفهلوى فى الشارع أو في أي مصلحة حكومية، فيبادرك بالسلام كأنك تعرفه، ويقول لك بشكل سمج وثقيل. كل سنة وأنت طيب يا بيه. أو يقول لك وأنت عائد من المطار حمدا الله على السلامة يا بيه، ومن كثرة تردد هذه الكلمات في مثل هذه الظروف وبهذه الكيفية من هؤلاء الأشخاص، أصبحت ذات مدلول سلبى يجعلك تكره سماعها.

وترى الفهلوى المصرى عند شبابيك تجديد رخص السيارات في إدارات المرور يعرض خدمات عملية، وكثيرا ما يفرض نفسه عليك بتقديم مشورة لم تطلبها. والتلويح لك بأنه قادر على إنهاء الأوراق بسهولة وسرعة، وحمايتك من كل أنواع الروتين والبيروقراطية. ويقابلك فهلوى آخر يعمل ساعياً أو عامل بوفيه في أى مصلحة حكومية، يقابلك في مدخل المصلحة،

ويرى الحيرة والارتباك على وجهك فيصطادك ويعرض عليك تخليص أو تسهيل المهمة. وهكذا أصبح الفهلوى من مكونات المنظومة الاجتماعية المصرية المعاصرة .

ويتلاعب رؤساء مجالس إدارات الشركات بالأرقام ويحولون خسائرهم إلى مكاسب ويوهمون الآخرين وربما أنفسهم بتحقيق إنجازات هامة وحين تتكشف الأمور، ويحدث الإنهيار يلجأون للتبرير والتهرب من المسئولية والبحث عن كبش فداء من صغار الموظفين .

وتظهر الفهلوة واللف والدوران في فترة الإنتخابات، حيث نجد الإعلانات المليئة بالأكاذيب والنفاق والوعود البراقة وإعلانات التأييد والمبايعة التى يشارك فيها الأجنة وهم بعد في بطون أمهاتهم، ويشارك فيها الأموات الذين أفضوا إلى ربهم وتخلو الدعايات الإنتخابية عددا من البرامج الموضوعية التفصيلية الجادة ليحل محلها شعارات عاطفية أو دينية أو تاريخية يتم من خلالها خداع الناخب. وإذا لم تنجح هذه الوسائل، فالتزوير في منع الناخبين الوصول إلى اللجان الإنتخابية وسيلة سهلة لتحقيق المطلوب.

ويميل بعض الدعاة الرسميين والأدعياء إلى تملق السلطة بالفتاوى الميسرة والمبررة للإستبداد والفساد، أو تملق الجماهير .

ولقد غزا إعلامنا سلوك الفهلوة، فسوق الخطاب الإعلامي المزدوج والمزيف والمروج للأكاذيب، والمادح والمهلل لكل صاحب سلطة ويجد فيها وربما يقدسها، ويلمع أنصاف الموهوبين ويفرضهم على الناس، ويصنع نجوماً وقيادات من ورق ويسوقها للجماهير .

ويظهر الفهلوه في صورة المستثمر إذ يقترض الأموال من البنوك أو يجمع أموال الناس تحت أى شعار، ويعطى ضمانات وهمية، ويؤسس

شركات ورقية، وينشر ميزانيات خادعة. وفى لحظة المواجهة. والإنكشاف يهرب إلى الخارج، وقد سبقته الأموال عبر البنوك لكى ينعم بها هناك. ومن هنا تقلصت وضعفت قيم العمل الجاد الدؤوب، وحل محلها قيم الكسب السريع بدون جهد، وفى أقصر وقت ممكن، بأى وسيلة، وهناك من يمكنهم من كل ذلك، بل ويمكّنهم من الهرب بعيدا عن المحاسبة وعن القانون.

الفصل الحادى عشر

مسيرة الثورة

إن كان محمد بوعزيزى هو الذى أشعل ثورة تونس، حيث كان ذلك الشرارة الأولى التى كسرت حاجز الخوف في قلوب التوانسة خرجو على حكم زين العابدين بن على ويجبروه على الفرار إلى خارج البلاد، فإن مقتل الشاب "خالد سعيد" في مصر كان هو الأيقونة التى ألهمت شباب مصر وألهبت مشاعر المصريين لتنفجر ثورة ٢٥ يناير .

تقديم :

يعتبر نشطاء الإئتلاف أنفسهم الدينامو والمحرك لاحتجاجات ٢٥ يناير والمجموعات المتجانسة الإئتلاف إلى حد كبير، وهى التى دعت لتنظيم الاحتجاجات في ٢٥ يناير، وجمعة الغضب يوم ٢٨ ينـاير، والمظاهرات المليونية يوم الثلاثاء، وجمعة الرحيل، وقد شكل الائتلاف لجنة العشرة والتى اجتمعت يوماً لتبحث في آليات تصعيد الإحتجاج، وتبلغ المعتصمين بقرارات اللجنة بعد إذاعة شباب الثورة، والنشطاء المنتشرين بينهم في الميدان .

وقد كلف نشطاء الإئتلاف على وضع خطة لتصعيد احتجاجاتهم لاحتلال ميادين أخرى غير التحرير للإعتصام فيها، ودعوة الجماهير للعصيان المدنى والدخول في إضراب عام. كما اتصلوا بالعديد من القطاعات العمالية، وكانت قد احتجت في وقت سابق، لحثها على الاعتصام إلى مواقع عملها، وذلك لممارسة المزيد من الضغط.

ووضع نشطاء الإئتلاف سيناريوهات ما بعد رحيل مبارك، وذلك بتشكيل مجلس رئاسى مؤقت يضم مدنيين وعسكريين، وحكومة إنقاذ وطنية تضم جميع التيارات لتسيير أمور البلاد خلال فترة انتقالية، وإنشاء جمعية

تأسيسية لوضع دستور جديد يضمن الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة بين جميع المواطنين.

وقد برز فيما قبل الثورة دور لشخص مجهول يدعى وائل سعيد عباس غنيم، من مواليد ٢٣ ديسمبر عام ١٩٨٠، حصل على بكالوريوس في هندسة الكمبيوتر من كلية الهندسة جامعة القاهرة، وشهادة الماجستير في إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ٢٠٠٧، وهو أنشط مصرى لعلم الإنترنيت، ومهندس كمبيوتر، يشغل المدير الإقليمى في شركة جوجل لتسويق منتجاتها في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ويعتبر البعض أنه أبرز مفجرى ثورة ٢٥ يناير، وأطلق عليه لقب قائد ثورة الشباب لدوره في اندلاعها. وقد اعتقلته السلطات المصرية بعد يومين من اندلاع الثورة، وحشرته في مبنى مباحث أمن الدولة مغموض العينين لمدة ١٢ يوماً، لكنه قال بعد الإفراج عنه يوم ٧ فبراير "أنا لست بطلا" أنا كنت وراء الكمبيوتر فقط أنا مناضل الكيبورد، الأبطال هم الذين نزلوا واستشهدوا في شوارع مصر.

وفى عام ٢٠١٠ قام وائل غنيم بتأسيس صفحة "كلنا خالد سعيد" على موقع الفيس بوك. والواقع أن موقع الفيس بوك لعب دوراً أساسيا في تعبئة الجماهير للمشاركة في الثورة المصرية، وذلك من خلال الجماعات المنتشرة على ساحته. وتشير التقديرات التى تتزايد باستمرار حول استخدام المصريين لموقع الفيس بوك، وأثبتت التقديرات أن حوالى ١,٩٩٠٫٠٢ مستخدم من الذكور، في حين يستخدم الموقع ذاته نحو ١,٢١٨,٦٤٠مستخدم من الإناث[١].

١- إحصاءات مستخدمى الفيس بوك في العالم العربى. موقع الإنترنيت، حسب إحصاءات يناير ٢٠١١.

-.http//www.net.vb.showthread.P.h.p. tt = 1554755

وقد دعى موقع الأنترنيت من خلال صفحة "كلنا خالد سعيد" إلى مظاهرات الغضب يوم ٢٠١١/١/٢٥ وهو يوم عيد الشرطة ليعبروا على انتهاك حقوق الإنسان. واعترف منسق ثورة الشباب، أن هدفهم من مظاهرة ٢٥ يناير لم يكن أبدا هو قيام الثورة، ولكن أقصى طموحاتهم أن يستجيب ألف أو ألفان من الشباب لدعوتهم[١].

الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ :

اختار شباب الثورة، وأعلنوا يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١ بداية الثورة وسموه يوم الغضب وهو يوم الاحتفالات الرسمية بعيد الشرطة، واعتبروه يوم غضب للشعب المصرى. وبدأت رحلة الغضب من حى إمبابة وشبرا وبولاق الدكرور، وجامعة الدول العربية، ودار السلام، ومصر القديمة، وانتهت في الكعكة الحجرية بميدان التحرير، الموطن الرئيسى لكل الاحتجاجات المصرية منذ السبعينات، فهو المقصد الرئيسى الذى خرجت إليه المظاهرات من كل فج عميق[٢]. وانضم لهذه المظاهرات الكثير من المثقفين والصحفيين وربات البيوت، وقد حاولت الشرطة منع هذه المظاهرات بشتى السبل مثل القتل، والضرب، والاعتقال، ولكن دون جدوى .

وهكذا خرجت مظاهرات غاضبة تلعن الحكومة التى أفقرتهم وأذلتهم، وكان واضحاً من تعامل الأمن في البداية أنهم استهانوا بما قاله الذين دعوا إلى التظاهر ومن ثم استهانتهم في أنهم لم يعلنوا حالة الطوارئ كما يجرى في حالة أقل من هذه الدعوات. فقيادات الداخلية وضباطها لم يناموا في مكاتبهم كما جرت العادة في أى مظاهرة. بل ذهبوا إلى منازلهم وقضوا

١- انظر: حسين عبد الواحد. ثورة مصر، ص ص ٢١- ٢٤.

٢- رشا عزب. يوم القيامة. مقالة بجريدة الفجر العدد ٢٨٨ في الخميس ٢٠١١/١/٢٧، ص٢ .

ليلتهم فيها حتى الصباح، وتوجهوا إلى أماكنهم في الثامنة صباحاً يوم الثلاثاء، وفى الساعة الثانية ظهرا بدأت المظاهرات والتى بدأت سلمية في البداية، ولم يكن هناك أى احتكاك بالأمن .

بدأت بعد ذلك أعداد المتظاهرين في التزايد بشكل رهيب، ودخل المتظاهرون أقسام الشرطة، وأحدثوا بها تلفيات كثيرة، وحدث اشتباك بينهم وبين قوات الشرطة. وحاولت الشرطة منع هذه المظاهرات بشتى السبل، مثل: القتل، والضرب والإعتقال، ولكن دون جدوى، وقامت بإطلاق الرصاص الحيّ على المتظاهرين وفى الرأس، ويبدو هنا حدوث نوع من المشاركة بين الحزب الوطنى والشرطة لفض المظاهرات .

وفى هذه المظاهرات لم يكن في استطاعة الإخوان رفع شعار "إسلامى" وفى حالات قليلة حاول البعض ترديد شعارات إسلامية، فجاء الرد قويا وفوريا يقول: "إيد واحدة .... إيد واحدة، كما لم يسمح للشباب الذين يمثلون قلب الثورة شعارات حزبية أو فئوية، فقد جذبت الثورة معظم شرائح المجتمع وفئاته، فضمت أبناء الفئات الوسطى ومعهم فقراء وأثرياء، وخرج الآلاف من المواطنين مسلمين ومسيحيين ولا فرق بينهما. فالوحدة الوطنية خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه، ورفع المتظاهرون لافتات تشير لتعانق الهلال مع الصليب، ومصر ليست وطنا نعيش فيه، ولكنه وطن يعيش فينا، وقفت المرأة بجوار الرجل، فالكل يسير في المظاهرات إناث سافرات، ومحجبات، وقليل من المنقبات، ومعهم مهنيون من كل نوع، وفنانون كبار .

وحين شعر المتظاهرون باستعداد من في البيوت للتجاوب معهم، قادوهم هاتفين، "انزلوا من بيوتكم ... جايين نجيب حقوقكم" وبدأ التجاوب بنزول صبية أو فتيات في الشوارع التى اخترقتها المظاهرات لتقديم الماء والعصائر للمشاركين. وقام الإناث بحفز الشباب على الإستمرار. وعندما

ألقيت قنابل مسيلة للدموع وزعت بعضهن قطع من البصل للتغلب على رائحة الغاز. وكانت هذه إحدى خبرات الثورة التونسية التى تناقلها الشباب عبر الإنترنيت.

وبالرغم من أن انتشار التحرش الجنسى في مصر في السنوات الأخيرة، إلا أنه لم يظهر أثر لهذه الظاهرة في هذه التظاهرات، كما لم يظهر للفتنة الطائفية أثناء الثورة، وكانت ٢٥ يوما فقط هى التى فصلت بين أحداث الاعتداء على كنيسة القديسيين في الإسكندرية.وبدأت الثورة وعلت الهتافات تقول: قول يا محمد ... قول يا بولس ... بكره مصر تحصل تونس. وتونس هى الحل، ويسقط يسقط حسنى مبارك ... والشعب يريد إسقاط النظام .

وقد تعذر التمييز بين مسلم ومسيحى إلا في أوقات الصلاة. وأقيم للمرة الأولى، قداس الأحد في ميدان التحرير، والذى فيه من يقومون الليل ويدعون الله أن ينصر الثورة، ومن ينشد أغانى أحمد فؤاد نجم، ومن ينظم حفلات سمر ورقص، أو حلقات نقاش، ومن يتبادل أحاديث الحياة اليومية ويحلمون بمستقبل كان مغلقاً .

وبدأت الثورة هادئة إلى حد ما، واستمر هذا الوضع حتى بعد ظهر اليوم حيث تمكنت الحشود من اختراق حصار الأمن، ووصلت إلى ميدان التحرير، وبدأت حالة من الهياج الشعبى غير المحدود وبعد فترة من التزام الشرطة بالسلبية، أصابها هى الأخرى حالة من الهياج محاولة فض اعتصام آلاف المصريين بالقوة في ميدان التحرير، وعند منتصف الليل. وقد أسفرت الإشتباكات عن سقوط ثلاثة قتلى من المتظاهرين، وجندى من الشرطة، وأعداد ضخمة من المصابين، ومئات المعتقلين .

وبالإضافة إلى مظاهرات القاهرة قامت مظاهرات في دمياط وأسيوط والمحلة الكبرى والإسكندرية والمنصورة والسويس والإسماعيلية وطنطا،

وردد المتظاهرون هتافات مثل: تونس هى الحل، أو يسقط حسنى مبارك و "الشعب يريد إسقاط النظام" كما قامت وزارة الاتصالات بقطع خدمات هواتف المحمول في صباح هذا اليوم وتم إعادة تشغيل الخدمة ليلاً. وعند منتصف الليل لجأت قوات الأمن المركزى لفض اعتصام آلاف المتظاهرين بالقوة في ميدان التحرير وثار الأهالى على الأمن.

الأربعاء : ٢٦ يناير ٢٠١١:

وهو اليوم الثانى لقيام الثورة وفيه كتب وائل غنيم: على ال "تويتر" أنا متجه إلى ساحة التحرير الآن للنوم في شوارع القاهرة، سأحاول الشعور بألم ملايين المصريين، وكانت هذه ال "تويت" أحد الأسباب المباشرة لاعتقاله في اليوم التالى، بالإضافة إلى الكثير من ال "تويتس" الاحتجاجية المنشورة عنده على مدى أسابيع .

وتدخل أحمد شفيق رئيس الوزراء شخصيا للإفراج عنه، وعقب الإفراج عنه ظهر في برنامج العاشرة مساء مع مقدمته منى الشاذلى ولم يعرف وائل غنيم أى نشاط سياسى أو إنتماء حزبى، عرف فقط تقابله مع قضية خالد سعيد، ومن ثم اعتقاله ضمن النشاط الأمنى .

وفى صباح هذا اليوم الأربعاء ٢٠١١/١/٢٦ أدلى وزير الداخلية السابق حبيب العادلى بحديث لمجلة روز اليوسف نشرته ٢٩/١/ ٢٠١١ - أى بعد انهيار الشرطة، ووقوع الإنفلات الأمنى، ونزول قوات الجيش إلى الشارع. فقد قال الوزير أن النظام يواجه تحديا يهدده، مؤكداً أن النظام ليس هشاً، وهو يحظى بتأييد شعبى كبير من الملايين، ولذلك فإن الآلاف من المتظاهرين لا تهزه.

ولقد بذلت محاولات مستميتة لتصفية المتظاهرين قبل انضمام الموظفين إليهم. ومع بداية التظاهر بدأت الإشتباكات وأحداث العنف بين الأمن

والمتظاهرين في معظم المناطق. واعترض رجال الأمن المتظاهرين في محاولة لمنعهم من الوصول إلى ميدان التحرير، اعتقل رجال الأمن بعض المتظاهرين. وفى حوالى الساعة الرابعة مساءً بعد عمليات كرّ وفر وإنهاك للأمن المركزى الذى لم يبدر منه أى هجوم، مكتفيا بقطع الشوارع المؤدية للميدان بحواجز حديدية وصفوف من الجنود، وكانوا يتحركون بحواجزهم تبعا لحركة المتظاهرين. ومن اللحظة الأولى في الميدان أعلن المتظاهرون أنهم سيبيتون ليلتهم في الميدان، وتزايدت أعداد المتظاهرين قادمين من مداخل الميدان المختلفة، ولا أثر قريب للأمن .

ومع عصر اليوم كان المتظاهرون قد نجحوا في السيطرة على مدينتى الإسكندرية والسويس، فقد تم إحراق جميع مراكز الشرطة في الإسكندرية واضطرت قوات الأمن إلى الإنسحاب من المدينة بعد الفشل في قمع المتظاهرين. وفى السويس سيطر المتظاهرون على أسلحة قسم شرطة الأربعين واستخدموا القنابل المسيلة للدموع، ضد رجال الأمن وشاعت أنباء عن سيطرة المتظاهرين على المدينة، وطرد قوات الأمن ذاتها، وإنزال قوات الجيش وفرض حظر التجول .

وفيما بين الساعة ١٢، والواحدة بعد منتصف الليل سمع الناس أصوات القنابل المسيلة للدموع بكثافة، وحدث إطلاق الرصاص على نحو عشرة آلاف متظاهر بميدان التحرير حسب التقديرات الحكومية، ففرقتهم وطاردتهم قوات الأمن إلى الشوارع الفرعية. كما سمع أصوات وصراخ وهتافات جماعية. وشوهد أعداد من المتظاهرين قادمين من ميدان التحرير بعضهم يحمل مصابين ، ويحاول البحث عن نجدة بالصراخ . وشوهد شباب وفتيان تدور أعمارهم حول العشرين[1].

١- انظر: أحمد زغلول الشيطى. بلاغة جديدة ثورة ٢٥ يناير، نشر البيان صباح ٢٠١١/١/٢٦ على صفحة أحمد زغلول الشيطى على موقع الفيس بوك.

وقد برر العادلى تلك المظاهرات للرئيس مبارك بقوله: أن المفاجأة بأن جماعة الأخوان المسلمين قد حشدت شبابها وأنها تلقت تعليمات من الخارج، وهذا هو سر قطع الاتصالات المحمولة لمدة يومين والرسائل لمدة تسعة أيام. وقد أغضب هذا النجاح العادلى، ووقع العنف المفرط، والقتل ضد شباب أعزل. ووصل عدد الضحايا في هذا اليوم ٧ قتلى .

الخميس ٢٧ يناير ٢٠١١ :

وفى صباح اليوم الثالث من الثورة – ٢٧ /١/ ٢٠١١ بدأت عدة مظاهرات في طنطا والإسماعيلية، وانطلقت تعزيزات أمنية في محافظة الإسماعيلية. وبدأت تظاهرات أمام مجمع المحاكم في طنطا، وبلغ عدد المتظاهرين فيها ٥,٠٠٠ شخص وقد اقتحم متظاهرون في صباح اليوم نفسه بوابات وزارة الخارجية المصرية وأضرموا النار في محلات السيارات في الشوارع. وشملت المظاهرات مرة أخرى كالسويس وشبين الكوم. وبنهاية اليوم قامت الحكومة المصرية بقطع شبكات الإنترنت من مصر، وردت القوى الشعبية إلى حمية الغضب بعد الخروج من المساجد ودعت الأقباط للتجمع في الكنائس ثم الخروج في وقت واحد.

وبدأت بعض التعليقات الرسمية في الإعلام الحكومى عن المظاهرات، وكانت تتسم بالتهجم والاستنكار ورفض موقف المتظاهرين.

الجمعة ٢٠١١/١/٢٨ :

كان يوم الجمعة ٢٠١١/١/٢٨ هو اليوم الرابع من قيام الثورة، والتى أسمتها حركة إبريل جمعة الغضب. وقد توقعت أجهزة الأمن أن ثورة ٢٥ يناير مختلفة عما سبقتها من مظاهرات شهدتها مصر من قبل طوال السنوات الماضية. فقد احتمل احتلال ميدان التحرير في هذا اليوم إذ تدفقت الحشود من مساجد القاهرة بعد صلاة يوم الجمعة، وراحت تصب كلها في الميدان وتلتحم ببعضها، وتصبح نسيجاً بشرياً واحداً .

وكان الهدف من هذا اليوم تأكيد أن الثورة الأمنية لن تهزم، فتتبع الأمن المظاهرات وقطع طريقها بالمتاريس الحديدية، بصف أو صفين من جنود الأمن المركزى، وسقط الشهداء واحدا عقب الآخر، حتى وصل ٦٠ شهيدا في هذا اليوم وحده، فرد المتظاهرون على ذلك بحرق سيارات الشرطة، ودفعهم هذا الحال إلى رفع سقف مطالبهم، فأفضت حالة الثورة إلى ثورة حقيقية، مرددين: إنهم يقتلوننا، إذن فليذهب مبارك، ولنستعيد حريتنا، أو فلنستشهد كلنا. وهو شعار يماثل الشعار الذى أطلقه باتريك هنرى الذى قاد الثورة في ولاية فرجينيا، ومؤداه، أعطنى حريتى أو أعطنى الموت.

وقد انطلقت عدة مظاهرات عقب صلاة يوم الجمعة بعدد من المحافظات كانت بدايتها سلمية، إلا أنها تحولت في بعض المحافظات إلى أعمال عنف وتخريب في الممتلكات العامة والخاصة قادتها عناصر يقال أنها مشبوهة وأعضاء جماعات لها أهداف سياسية، وأعضاء من جماعة الإخوان المسلمين المنحلة، وتم حرق عدد من سيارات الأمن، وقامت عدة محاولات لاقتحام عدد من أقسام الشرطة، وتم إشعال مقر الحزب الوطنى[1].

وقد ردّد المتظاهرون الهتافات تطالب بمحاربة الفساد، وإجراء التغيير، إلا أن أجهزة الأمن حتى صباح الثامن والعشرين من يناير لديها الثقة في قدرتها على السيطرة عليها وفضها، ولكن اللواء أحمد رمْزى مساعد وزير الداخلية لقطاع الأمن المركزى سحب قواته من ميدان التحرير أثناء المواجهات مع المتظاهرين في هذا اليوم – جمعة الغضب – بشكل مفاجئ وترك الساحة لمجموع الغاضبين، عقب تلقيه تعليمات وزير الداخلية بإطلاق الرصاص على المتظاهرين. وقد أصاب هذا الموقف الدهشة لجميع المواطنين، خاصة أن القوات المسلحة نزلت لحماية بعض الأماكن المهمة

١- انظر: أخبار اليوم. العدد ٣٤٥٦ بتاريخ السبت ٢٩/١/ ٢٠١١، ص٦.

فقط، مثل: مبنى الإذاعة والتلفزيون، والمتحف المصرى، وهو ما أدى في النهاية لانتشار ظاهرة السلب والنهب لمحال وبنوك وفنادق وأسواق تجارية[١].

وحوالى الخامسة بعد الظهر نزلت القوات المسلحة بمدرعات الجيش إلى الشوارع والمدن لمساعدة رجال الشرطة التى لم تعد قادرة على تحمل الضغوطات وحدها، بدأت حالة من النهب والسلب التى قام بها البلطجية والمساجين الذين حررتهم وزارة الداخلية من أقسام الشرطة والسجون العامة لترويع المواطنين، وحث المتظاهرين على التراجع، وقد سمع صوت رصاص متقطع من ناحية شارع القصر العينى باتجاه وزارة الداخلية، ومبنى مجلس الوزراء ووردت أنباء عن سقوط قتلى من المتظاهرين، وراحت أفواج البشر تتدفق إلى قلب ميدان التحرير الذى أصبح المقر الرئيسى للاحتجاج والثورة. وقد حاول ١٠ آلاف متظاهر التوجه إلى القصر في مصر الجديدة، ولكن قوات الأمن اعترضتهم، وأشعل المتظاهرون النار في أقسام شرطة السيدة زينب، والأزبكية والخليفة، كما أحرق المتظاهرون مبنى الحزب الوطنى.

وفى الجيزة تظاهر الآلاف واحتجزوا وحدة من قوات الأمن المركزى تضم ٣٠ جنديا وضابطا في أحد العمارات المجاورة لمبنى المحافظة وحطموا سيارة أمن مركزى.

وفى عصر جمعة الغضب أرسل العادلى خطابا إلى الإذاعة والتلفزيون فيه تعليمات صارمة وأوامر مشددة بالكيفية التى يجرى فيها تغطية الأحداث. لكن المسئولين لم يقدروا إذاعته، إذ وجدوه مستفزا، فمرّروا البيان إلى القصر الجمهورى. وتضمن البيان دور الإخوان المسلمين وحملهم مسئولية العنف وحدهم وأن الشرطة سوف تتعامل مع المتظاهرين بمنتهى القسوة.

١- انظر المصرى اليوم. العدد ٢٤٢٢ بتاريخ الأحد ٣٠/١/ ٢٠١١، ص٣.

وبعد دقائق من وصول البيان إلى رئاسة الجمهورية، دق جرس تليفون حبيب العادلى الخاص وكان الطالب هو الرئيس مبـارك الـذى راح يعنفـه ويوبخه، ويسبه بألفاظ نابية وحادة. وأغلق المكالمة: قائلا له: خلاص حينزل الجيش يساعدك ويتفاهم مع الناس أكثر منك: وضع حبيب العادلى السماعة، وهو يتمتم: خلى الجيش ينفعك.

وكان بجوار العادلى عدد من ضباطه ومعاونيه الكبـار، ثـم أعطـى الأوامر بإخلاء الأماكن أمام قوات الجيش - نزلت امشوا انتو. ومع الإخلاء تحركت مجموعات اقتحام السجون السبعة، وأشعلوا النيران فـي الـسجون، واستخدموا بلدوزورات لهدم الأسوار، وطلقات أر بى جى، وفتحت الزنازين بمرزبات قوية .

فور ذلك صدر بيان الرئيس الأول، وفيه قرر تعديل الوزارة، وتعيـين نائب للرئيس، ومع ذلك لم تتوقف المظاهرات .

وفى مساء الجمعة أغلقت محال الصرافة والذهب أبوابها في وسط البلد على خلفية تخوف أصحابها من تعـرض المحـل للتكـسير علـى أيـدى المتظاهرين، كما أغلقت جميع شركات الـصرافة المتواجـدة وسـط البلـد والتحرير، وانقطعت كذلك شبكات الإنترنـت والموبايـل وعنـد المتحـف المصرى وقف المتظاهرون بالمرصاد لمحاولة سـرقته، واسـتنجد بقـوات الجيش لإنقاذ المتحف. كما تجاهل المتظاهرون حظر التجـول واسـتمرت المظاهرات طوال الليل .

وانهارت البورصة المصرية فقد تراجع رأس المال السوقى للـشركات المقيدة في البورصة خلال الأسبوع الماضى من ٤٧١ مليار إلى ٤٠٦ مليار جنيه. وبلغت خسائرها ٧٠ مليار دولار. فقد اضطر صغار المستثمرين إلى

التخارج من البورصة بعد سيطرة حالة من القلق والذعر بسبب المظاهرات التي ألحقت أكبر الضرر بالإقتصاد المصرى.

وفى هذا اليوم قامت سيارة تحمل لوحة معدنية لهيئة دبلوماسية بدهس العشرات من المتظاهرين، وخلفت ١٥ قتيلا على الأقل وعشرات الجرحى، وقد تبين أن السيارة تابعة للسفارة الأمريكية، وهو ما نفته السفارة، كما تعرضت جموع المواطنين لدهس سيارات الأمن المركزى مما خلف القتلى والمصابين.

ونزلت القوات المسلحة إلى الشوارع، ولكنها نزلت لتحمى المتظاهرين لا لتبطش بهم – وقد فهم المتظاهرون ذلك منذ اللحظة الأولى لنزول القوات المسلحة الشارع. فهتفوا الجيش والشعب إيد واحدة. وقد تأكد هذا الشعار عملياً، حيث اعتلى الشباب المدرعات والتقطوا الصور مع أطقم هذه الجماعات، وأيضا حينما كتبوا على المدرعات دون أن يمنعهم أحد من الجنود أحد الشعارات التى رفعوها في مظاهراتهم، وهو شعار يسقط مبارك.

وبنزول القوات المسلحة إلى شوارع المدن المصرية في عصر ٢٨ يناير، عزّز الجيش تواجده في الأحياء، وحاول وقف أعمال النهب، وإلزام الأهالى بحظر التجول، وأعلنت وزارة النقل نهب ١٢ محطة مترو، فقد سرقت الإيرادات وأجهزة الكمبيوتر، كما تعرضت قضبان السكك الحديد في المحلة الكبرى، أمس للسرقة. وفى الإسكندرية قام عدد من الخارجين عن القانون بالسطو على مبنى اللوجستى في ميدان الدخيلة، وقاموا بسرقة أجهزة الكمبيوتر والكراسى والترابيزات والمكاتب.

وفى الدقهلية قتل اثنان، و ٢٠٠ مصاب في اشتباكات الشرطة والمتظاهرين، وقال مسئول في الأسعاف. أن الشرطة منعتهم من دخول ميدان

عبد المنعم رياض، وتعرض مصوروا الصحف لاعتداءات، وسرق البلطجية الكاميرات، واستولى متظاهرون بالأقصر على وحدة سكنية بالقرية[١]. ونهب بلطجية محال الذهب في الحسين عقب احتراق قسم شرطة الجمالية .

وتفيد تقارير سرية أن إسرائيل أبدت دهشتها من سرعة وكفاءة تحرك وانتشار القوات المسلحة، خاصة في القاهرة بانضباط وحرفية وأداء راق لا لبس فيه بعدم استخدام العنف ضد أبناء الشعب .

وقد قرر الرئيس السابق حسنى مبارك بصفته الحاكم العسكرى آنذاك، وقال الحاكم العسكرى في بيانه الأول: نظرا لما شاهدته بعض المحافظات من أعمال الشغب والخروج على القانون وما شهدت من أعمال النهب والتدمير والحرق والإعتداء على الممتلكات العامة والخاصة بما في ذلك بعض البنوك والفنادق، فقرر حظر التجول في جميع أنحاء الجمهورية ابتداء من السادسة مساء إلى السابعة صباحاً. كما أصدر الحاكم العسكرى قرارا بأن تقوم القوات المسلحة بالتعاون مع جهاز الشرطة بتنفيذ هذا القرار، وللحفاظ على الأمن وتأمين المرافق العامة والممتلكات الخاصة. وفور إعلان القرار انتشرت مدرعات الجيش في الشوارع، ووصلت إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون ٤ عربات مدرعة، وتسلمت مدينة السويس من الداخلية .

وفى الساعة الخامسة والنصف أعلنت وكالة رويترز أن الحاكم العسكرى يعلن عن حظر التجول في القاهرة والإسكندرية والسويس وبالرغم من ذلك تحدت جموع المتظاهرين حظر التجول. وبدأت حملة الاعتقالات الواسعة لعشرات من النشطاء السياسيين في صفوف الأخوان المسلمين.

وكانت حصيلة هذا اليوم (جمعة الغضب) الآتى[٢]:

١- انظر: المصرى اليوم. العدد ٢٤٢٢ بتاريخ الأحد ٣٠/١/ ٢٠١١، ص٩.

٢- د. الحسينى الحسينى معدّى. ثورة ٢٥ يناير، ص ص٢٠٧-٢٠٨.

١- انفلتت الأمور من يد الحكومة المصرية خاصة بمحافظتى الإسكندرية والسويس.

٢- خروج المظاهرات من جميع المحافظات تقدر أعدادها بمئات الآلاف.

٣- تدمير كثير من مبانى الحزب الوطنى وأقسام الشرطة في جميع أنحاء مصر.

٤- نزول الجيش محاولاً فرض الأمن على الشارع المصرى، وبالتالى فرض حظر التجول.

٥- مقتل عدد وفير معلوم من المتظاهرين بأعداد بلغت في بعض التقديرات بمائة قتيل، بالإضافة إلى اعتقال الآلاف .

٦- انهيار البورصة المصرية مع خسائر بلغت ٧٤ مليار جنيه .

٧- دهس سيارة تحمل لوحات معدنية لهيئة دبلوماسية بالعشرات من المتظاهرين وخلفت على الأقل ١٥ قتيلا، وعشرات الجرحى واكتشف أنها تابعة للسفارة الأمريكية.

٨- دهس سيارات الأمن المركزى المتظاهرين، مما خلف ورائهم الكثير من القتلى والمصابين .

وفى الحادية عشر من صباح اليوم فاجأ الرئيس السابق الناس ويوعدهم بأنه لن يرشح نفسه للرئاسة القادمة، وأنه كان ينوى ذلك أصلاً، وأنه يعد بحل الحكومة وتشكيل حكومة أفضل تحقق توفير فرص أكبر للشعب المصرى للنمو والرخاء، وأنه يطلب السماح بخدمة الشعب خلال الشهور الباقية من الرئاسة بما يرضى الله والوطن، وأنه يريد أن يعيش ويموت على تراب الوطن.

وقد أشعل الخطاب غضباً فقد كانوا يتوقعون أنه سيتنحى ويتنازل عن صلاحيته لنائبه عمر سليمان، وظهرت لافتات جاء فيها: حسنى مبارك مش حيغور، إحنا قاعين تسعة شهور.

يوم السبت ٢٩ يناير ٢٠١١

كان يوم السبت ٢٩ يناير ٢٠١١ هو اليوم الخامس من قيام الثورة. وفى هذا اليوم قرر الرئيس محمد حسنى مبارك تعيين اللواء عمر سليمان نائباً لرئيس الجمهورية، ووعد بتوفير فرص أكبر للشعب المصرى للنمو والرخاء، وترك مزيد من الفرص للحريات. وفى هذا اليوم أيضاً انتهى الاجتماع الأخير لمجلس وزراء د. أحمد نظيف، وتقدمت الحكومة باستقالتها، وخرج الوزراء عائدين إلى منازلهم من مقر القرية الذكية التى شهدت الاجتماع. وأخذوا وهم خارجون يتحدثون في مجموعات حول ما يدور من أحداث.

ونزلت القوات المسلحة إلى الشارع، ولكنها لم تكن تبغى التصدى للمتظاهرين، أو حتى مجرد إرهابهم بصوت قنبلة مزعج تجعلهم يفرون ويهربون. وقد أكد هذا المعنى المشير طنطاوى قبل اندلاع المظاهرات في ٢٥ يناير والذى ينبه على أفرادها بعدم إطلاق النار على المتظاهرين ومهما تكن الظروف .

ونستنتج ذلك من أقوال اللواء حسن عبد الرحمن المدير السابق والأخير لمباحث أمن الدولة، والذى يقول فيها: إنه تم رصد دعوة في اليوم الرابع وهو الجمعة والتى سميت بجمعة الغضب. ولذلك عقد وزير الداخلية حبيب العادلى اجتماعاً في مكتبه بقيادات الشرطة. وقال مدير مباحث أمن الدولة: أن المظاهرات ستكون حاشدة، وسيشارك فيها الإخوان المسلمين، وأن المظاهرات ستبدأ بعد صلاة الجمعة من جميع المساجد في المناطق الشعبية لتشتيت جهود قوات الشرطة" وصباح الجمعة تصاعدت الأحداث وأخطرت الوزير هاتفيا بأن الوقت أصبح من الصعب السيطرة عليه. ورد الوزير بأنه سيبلغ القيادة السياسية ولم يقل تحديدا مبارك، وبعد ذلك تصاعدت الأمور،

وأبلغ مدير مباحث أمن الدولة بأن الأمر يتطلب تدخل القوات المسلحة والنزول إلى الشارع[1].

وبعد استقالة الوزارة كلف مبارك الفريق أحمد شفيق بتشكيل الحكومة الجديدة. وأصدر مسئول أمنى رفيع المستوى أوامره لقطاعات وزارة الداخلية بإخلاء مواقعه، والإنسحاب من الشوارع والمقار ونقاط التفتيش والدور، وترك أقسام الشرطة، وقالت شهود عيان أن عنصر أمنى قام بإحراق عدد من أقسام الشرطة، وبالمثل رد فعل المتظاهرين والمعارضة هما رفض تعيين عمر سليمان النائب للرئيس، ورفض البيان الرئاسى، بل قالت الجمعية الوطنية للتغيير: أنها لن ترضى بأقل من رحيل الرئيس المصرى .

قررت جهات أمنية الانسحاب ودعم سيناريو الفوضى، وإطلاق سراح المساجين والبلطجية والمسجلين خطر والمساعدة فى أعمال التخريب والنهب. وقامت بعض الجهات الأمنية ببث روح الانتقام إلى صغار الضباط لدفعهم إلى النزول إلى الشارع لممارسة انتقام عشوائى ضد الجماهير والممتلكات العامة. وتزايد وجود البلطجية في الشوارع، وفرضوا إتاوات على المارة، واقتحموا العقارات والمساكن في عدد من المناطق. وفى هذا اليوم نجد اقتحام سجن أبى زعبل شديد التحصين، وحدث إطلاق النار بشكل كثيف، وبدأ انتشار شائعات عن تصفية المعتقلين .

ومع منتصف نهار هذا اليوم بلغت أعداد المتظاهرين حوالى ٥٠,٠٠٠ متظاهر وتصدى الجيش المصرى لمحاولة اقتحام مطبعة البنك المركزى المصرى. وحدثت محاولات لاقتحام وزارة الداخلية، وقام الجيش المصرى بالفصل بين المتظاهرين ورجال الشرطة، وسقط ثلاثة قتلى من المتظاهرين

١- عبد القادر شهيب. الساعات الأخيرة من حكم مبارك، ص ص٩٢- ٩٣.

على الأقل[١]. وإزاء هذه الأحداث تم مد حظر التجول من الرابعة عصراً حتى الثامنة من صباح اليوم التالى .

وأعلن صفوت الشريف الأمين العام للحزب الوطنى أن أحمد عز أمين تنظيم الحزب الوطنى وعضو أمانة السياسات في الحزب قد قدّم استقالته من الحزب وتم عرضها على هيئة المكتب، وقبلت . كما نفى الشريف سفره خارج البلاد قائلا أنا موجود وأعقد اجتماعات مهمة لدراسة الموقف.

وفى هذا اليوم سادت حالة من التوتر الأمنى والتمرد عددا من السجون المصرية خاصة فى ليمان طره، وأبو زعبل. وذكرت مصادر أمنية لرويتر أن ثمانية من نزلاء سجن أبو زعبل قتلوا برصاص الأمن، وأن ١٢٣ أصيبوا أثناء محاولتهم الهروب من السجن، وذكرت مصادر أمنية أن نحو ألف شخص فروا من أماكن الاحتجاز في أقسام شرطة مصرية واقتحموها ونهبوها وأحرقوا أغلبها .

وفى يوم الأحد ٣٠ يناير ٢٠١١

وفى اليوم السادس كثفت القوات المسلحة من تواجدها في القاهرة، ومدن الجمهورية الأخرى، ونصبت الكمائن، وسمع أزيز الطائرات في سماء القاهرة وقد طارت على ارتفاعات منخفضة. وشدد الجيش إجراءاته الأمنية حول ميدان التحرير دون أنْ يمنع المتظاهرين من دخول الميدان، وبدء في تفتيش الداخلين إلى المظاهرة والإطلاع على البطاقات الشخصية .

وتشكلت ائتلاف وطنى من القوى السياسية، وطالب الرئيس بترك منصبه وطالب نشطاء حقوقيون بإحالة حبيب العادلى وعدد من قيادة وزارة الداخلية إلى المحاكمة بتهمة إشاعة الفوضى، والذعر. وتوافد المئات على المستشفيات لتسلم جثث ذويهم وعلاج المصابين، ووصلت عشرات الطائرت

١- انظر : حسين عبد الواحد . المرجع السابق ، ص ٣٢ – ٣٣ .

إلى الغردقة لنقل الرعايا الأجانب، وأستقل ١٨ ألف سائح ١١٠ رحلات طيران إلى خارج مصر.

وقد دار حوار بين العادلى وزير الداخلية، والرئيس مبارك منذ يوم الجمعة الماضى عن كيفية التعاون مع القوات المسلحة في الحفاظ على أمن البلاد وغضب العادلى الذى رفض تدخل الجيش. وأرسل بيانا إلى أسامة الشيخ رئيس الإذاعة والتلفزيون لإذاعته فورا على الهواء. ولكن المسئولين لم يقدروا على إذاعته، إذ وجدوا فيه استفزازا للناس، فردوا البيان إلى القصر الجمهورى.

و:: تحدث البيان عن دور الأخوان المسلمين، وحمّلهم مسئولية العنف، وأن الشرطة سوف تتعامل بمنتهى القسوة مع المتظاهرين، وأنها مضطرة للدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات المقصودة التى تتعرض لها لإسقاط هيبة الدولة وإشاعة الفوضى.

أجرى العادلى عدة اتصالات مع معاونيه وجهاز أمن الدولة، وأعطى أوامر مفادها إخلاء جميع القطاعات الأمنية بشكل كامل، وذلك بإخلاء الأماكن أمام قوات الجيش. الجيش نزل – امشوا انتم وبعدها انسحبت قواته ومع الإخلاء تركت مجموعات اقتحام السجون السبعة مستعملة نيران كثيفة، بلدوزورات لهدم الأسوار وطلقات آر بى جى، وفتحت الزنازين بعد تحطيم أبوابها.

وعقب انسحاب الشرطة سيطرت الفوضى على مناطق وشوارع وميادين مصر، وتشكلت لجانا شعبية لحماية الأهالى والممتلكات حاملين العصى والسكاكين. وشكل الأهالى نقاط تفتيش بعد انتشار عمليات النهب والسلب. من عصابات النهب المسلحة وترددت أنباء عن خروج آلاف

المساجين من السجون وسيطر قطاع الطرق على الطريق الدائرى، وفرضوا الإتاوات على المارة للسماح لهم بالمرور بسلام، وتحول مسجد عباد الرحمن، وهو زاوية صغيرة للصلاة تقع إلى جوار وزارة الداخلية إلى مستشفى شعبى.

يوم الاثنين ٣١ يناير ٢٠١١

وهو اليوم السابع من قيام المظاهرات، وفيه أدت الحكومة الجديدة برئاسة رئيس الوزراء أحمد شفيق اليمين الدستورية، وقد سيطرت الوجوه القديمة على تشكيل الحكومة الجديدة، حيث احتفظ ١٥ وزيراً بمقاعدهم مقابل ١٢ رجل جديد، وخرج من الوزارة العادلى وفاروق حسنى ورشيد وبطرس غالي.

وقد رفض المتظاهرون التعديل الوزارى، واستمر تدفق الآلاف على ميدان التحرير، وتمسكوا بمطالبهم والتى تبلورت حول رحيل الرئيس مبارك، ومحاكمة المسئولين عن الفساد في النظام الحالى، واحتلوا ميدان التحرير استعدادا لصلاة الغائب على أرواح الشهداء .

وتحدى المتظاهرين قرار حظر التجوال الذى تم تحديده من الثالثة عصراً وحتى الثامنة مساءً وواصلوا بقائهم في الميدان، وعلت هتافاتهم التى جاء فيها : "مش حنسيب التحرير ... إلا يوم التحرير" .

ووصف بعض العاملين في مؤسسات رسمية رفيعة للدولة أن هناك تقريرا بأن الوضع سيئ جدا جداً وأن الاهتمام الأول هو تهدئة الناس وإنهاء الإعتصامات بعيدا عن أى استخدام للعنف ضد المتظاهرين، أما قوات الأمن والشرطة قد استأنفت نشاطها من جديد في بعض المدن بعد اختفائها طيلة الأيام السابقة، كما تمسكت القوات المسلحة بموقفها الرافض لأى إطلاق نار على المتظاهرين، وشددت وحدات الجيش إجراءات التفتيش حول العاصمة المصرية، وعززت انتشارها لحماية المرافق الحيوية، ومنها محطات

الكهرباء والمياه، واعتقلت حوالى ٥٠ شخصاً حاولوا اقتحام المتحف المصرى لنهبه وسرقته.

وأصدرت القوات المسلحة بيانا تلاه اللواء إسماعيل عثمان، وتضمن البيان خمس نقاط وهى: أولاً: أن القوات المسلحة على علم ودراية بالمطالب المشروعة التى يطالب بها المواطنون الشرفاء. ثانياً: أن الجيش يكفل التعبير عن الرأى وصحة المسيرات السلمية طبقا لنصوص الدستور. ثالثاً: تحذر القوات المسلحة-جميع الخارجين على القانون الذين يعملون على ترهيب المواطنين وترويع أمنهم، وتؤكد أنها ستستخدم ضدهم إجراءات صارمة بإحالتهم إلى محاكم عسكرية عاجلة، رابعاً: تطالب القوات المسلحة الأهالى بالاستمرار في الحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة من خلال استمرار تنظيم لجان المقاومة الشعبية، التى قامت بدور فعال في القبض على عدد من الخارجين على القانون وتسليمهم للوحدات العسكرية المنتشرة في ربوع مصر. خامساً: القوات المسلحة تؤكد أنها لن تستخدم العنف مع أبناء مصر الشرفاء مع ضمان حقهم في حرية بالتعبير السلمى عن رأيهم.

وهكذا فإن هذا البيان يؤكد أن القوات المسلحة تكفل حماية المتظاهرين، وذلك استنادا إلى أن مطالبهم مشروعة .

وفى اليوم السابع لقيام الثورة دعا المتظاهرون لمسيرة مليونية – يوم الثلاثاء الأول من فبراير عام ٢٠١١ لمطالبة الرئيس مبارك بالتنحى. وذكرت وزارة الإعلام الرسمية أن السلطات أوقفت حركة القطارات في البلاد. كما دعا متظاهرون إلى مسيرة لقصر الرئاسة بمصر الجديدة الرابع من فبراير ٢٠١١. وفى نفس الوقت قررت عدة وكالات سفر أوربية وعالمية إلغاء رحلاتها المقررة إلى مصر. وقرر بعضها إجلاء عملائها عن مصر. وتزاحمت مجموعة من السياح المقيمين في مصر، وكذلك من المصريين

القلقين إلى مكاتب حجز تذاكر السفر في مطار القاهرة في محاولة لمغادر البلاد. وعلق العديد من شركات السفر السياحية رحلاتها المتجهة إلى مصر.

أما ليبريا والهند واليونان وتركيا والعراق ولبنان وأذربيجان التي قتل أحد رعاياها يوم السبت الماضي في القاهرة، فقد بعثت بطائراتها لنقل رعاياها.

ونقل أحدهم أن رئيس مجلس الشعب فتحي سرور ردد لبعض محادثيه خلال اليومين الماضيين أن المجلس شكل "هينحل هينحل" وهو الأمر الذى لا يتفق مع الموقف الأول والذى وصفه بأنه من يتحدث عن حل المجلس والدعوة لانتخابات مبكرة هو "تهريج".

وقال مصدر أمنى أن ضباط المباحث بالأقسام صدرت لهم أوامر عبر أجهزة اللاسلكي بالتوجه إلى معسكرات الأمن المركزى لتسلم المدرعات الأمنية لاستعادة الأمن مرة أخرى بالقاهرة[١].

يوم الثلاثاء ٢٠١١/٢/١

وفى اليوم الثامن، وهو يوم الثلاثاء ٢٠١١/٢/١ أصدرت القوات المسلحة البيان رقم (١) باسم القيادة العامة، وليس باسم المجلس العسكرى، ليحسم الموقف السياسى لمصلحة الثورة. وتبنى البيان حق المواطنين في التظاهر. وهذا معناه استمرار الثورة. كما تبنى المطالب المشروعة للمتظاهرين حول الرحيل الذى ينهى التوريث. وقد تحدث عضو بارز سابق في الحزب الوطنى البائد إلى الأهرام، قائلاً: إننا جميعا نعلم أن جمال مبارك مؤسس أمانة السياسات وأمينها العام يريد وراثة أبيه في منصب رئيس الجمهورية، وإن لم يصرح بذلك علناً حتى داخل هذه الأمانة، ولكننا جميعا كنا متأكدين من أنه لن ينال ما يريد، وأن فرصته لن تتجاوز صفر في المائة عن الدائرة الضيقة جداً المحيطة به من أمثال عز وأنس الفقى[٢].

١- انظر الشروق الجديدة. العدد ٧٣١ بتاريخ ٢٠١١/٢/١، ص١.

٢- الأهرام. العدد ٤٥٤٤١ بتاريخ الجمعة ٢٠١١/٥/٦، ص١.

وفى هذا اليوم بلغت المظاهرات أوجهها، فخرجت المظاهرة المليونية، وقدر عدد المتظاهرين في أنحاء مصر بثمانية ملايين شخص، لإجبار الرئيس حسني مبارك على الرحيل، وفيها قام متطوعون بالتفتيش عن مندّسين من جانب الحكومة. قد يحاولون استثارة العنف. وقد واجه النظام المصرى هذه المظاهرات. بعنف أدى إلى مصرع المئات خاصة في مدينة السويس.

وفي هذا اليوم أغلقت السلطات المصرية كل الطرق المؤدية إلى القاهرة. كما أوقفت خدمات السكك الحديدية والحافلات لمنع المتظاهرين من التوجه إلى القاهرة.

وبمجرد انسحاب الشرطة، وعند قدوم الليل، انطلق آلاف المتظاهرين إلى الأقسام للإفراج عن المتهمين داخل الحجز وإشعال النيران فيها. واقتحم العشرات من أهالى منطقة بولاق أبو العلا عدة محال تجارية، ونهبوا محتوياتها، بعد أن استأجروا سيارات نصف نقل لحمل المسروقات، وحاول البعض اقتحام البنك الأهلى. كما شهدت بنوك أخرى محاولات اقتحام وتخريب والإستيلاء على ماكينات الصرف الآلى.

وتعرضت عدة منشآت حكومية ومحال تجارية في شارع قصر العينى لعمليات تخريب وسلب واسعة، وأشعل مخربون النار في السيارات، وسَطا اللصوص على أكشاك ومحطات بنزين، وحاولوا إشعال النار في محطة بنزين. وأحكم البلطجية قبضتهم على الطريق الدائرى .

وتواصلت مظاهرات الغضب في محافظات ومدن أخرى في المنوفية، وفى البحيرة، وفى كفر الدوار، وأبو المطامير، ودمياط، والدقهلية، وشربين، وفى الفيوم، والإسماعيلية، والمنيا، وسمالوط، والقليوبية، وبيلا، والشرقية، والأقصر، وجنوب سينا، وأسوان، وبورسعيد، وفى الغربية، وفي قنا، وبنى سويف.

وفى هذا اليوم صدر البيان الثانى للرئيس السابق مبارك. وكان البيان أقرب على وجدان الناس، إذ أعلن عدم ترشحه لولاية جديدة. وأنه سيعمل خلال تلك الفترة التى سيقضيها في منصبه حتى سبتمبر المقبل، على إقرار مجموعة من التعديلات الدستورية والتشريعية. كما أعلن نقل صلاحياته إلى نائبه محمد سليمان، وأعلن كذلك أنه سيجرى تنفيذ الطعون فى انتخابات مجلس الشعب الأخيرة، وأعلن أيضا أنه سيجرى تحقيقا مع المتسببين في الإنفلات الأمنى، وأشار إلى ضرورة قيام أجهزة الشرطة بدورها في حفظ الأمن مع كامل الإحترام لحقوق الإنسان.

وأعلن الرئيس كذلك أنه سيطالب الأجهزة الرقابية والقضائية بالعمل على محاسبة الفاسدين، وأنه سيراقب الحكومة في تنفيذ ما كلفها به، والتى تتمثل في مكافحة البطالة وغلاء الأسعار، وأشار أن الأيام الماضية فرضت على المصريين الاختيار بين الفوضى والاستقرار، مما يوجب ضرورة معالجة الأمور بأقصى قدر من الحكمة والحرص، من قبل الشعب والجيش معاً.

واتهم مبارك القوى السياسية بالتمسك بأجندتها الخاصة، ورفض الحوار مع الحكومة، حول التعديلات الدستورية، والتى طلب من نائبه مناقشتها مع القوى المختلفة، مؤكدا أن دعوته ما تزال مفتوحة، لكنه يتوجه بها إلى عموم المصريين وختم كلمته بقوله: أن حسنى مبارك يعتز بالوقت الذى قضاه في خدمتكم، والوقت الذى دافع فيه عن أرض مصر سلاماً وحرباً، وشدّد على أن: الوطن وطنى، ولدت فيه وعشت فيه وسأموت فيه .

وبعدها مباشرة بدأت مظاهرات مؤيدة لمبارك قدّرت بالآلاف، واشتبكت بالمعتصمين المطالبين بإسقاط حكم مبارك أهمها ميدان التحرير في وسط القاهرة، وفى غياب تدخل الجيش، وكذلك في حيّ المهندسين، وأمام مبنى التليفزيون.

وقد أذاعت بعض مصادر الإعلان أن النيابة العسكرية ألقت القبض على حبيب العادلى وزير الداخلية السابق. وكانت مصادر صحفية قد أذاعت أنه لم يظهر في الصورة منذ ٢٨ يناير المعروف بجمعة الغضب.

يوم الأربعاء ٢٠١١/٢/٢

وعقب خطاب الرئيس أمس ظهر ارتياح جزئى لتعهده بإصلاحات سياسية، وتأكيده على عدم ترشحه للرئاسة من جديد، وتنظيم انتقال سلمى للسلطة بعد شهر، لكن هذا الارتياح وأدته مواجهات واشتباكات بين الموالين لمبارك والمتظاهرين، فقط خطط الموالون لمبارك، وهم من أصحاب المصالح، وخليط من رجال الأعمال، ونواب البرلمان، وأعضاء من الحزب الوطنى لاقتحام الميدان من الناحية الغربية، حيث فندق هليتون، وجلبوا معهم البلطجية من عدة أحياء شعبية على الجمال والخيول والبغال من نزلة السمّان، يمتطيها شباب، وتشق طريقها وسط المتظاهرين إلى جنوب الميدان، وامتلأ الميدان، ووقعت فضيحة معركة الجمل، وقد تبين أن هذه الجمال والخيول تخص البلطجية الذين جاءوا يؤيدون مبارك، وأنهم كانوا يحملون سيوفاً ويهاجمون المتظاهرين، وأنهم قبضوا عليهم وسلموهم للجيش، وأن الأحصنة والجمال في طريقها للتسليم للجيش، وقيل أن راكبى الأحصنة كانوا أمناء شرطة وعناصر من شرطة الداخلية السريين .

وقد نزعت معركة الجمل التعاطف الذى أحدثه بيان الرئيس، ووصل القرار إلى التنحى والذى كان سيعلن عنه مساء الخميس ١٠ فبراير .

وقد أحيل أربع قيادات الحزب الوطنى إلى النيابة. وتؤكد التحريات تورط ١٣ نائبا سابقا في هذه الموقعة، وقد قرر المستشار محمد السبروت تجديد حبس القيادات الأربع ١٥ يوماً على ذمة التحقيقات، وهم: حسين مجاور رئيس الإتحاد العام لعمال مصر السابق، وماجد الشربينى أمين

التصويت السابق عن دائرة الهرم والمنوفية، وشريف حسن والى أمين الحزب الوطنى بالجيزة، ووليد ضياء الدين القيادى بوطنى الجيزة .

وقد توصلت التحقيقات إلى ضلوع المتهمين في التحريض والاتفاق والمساعدة، على قتل عدد من المتظاهرين عمداً مع سبق الإصرار، بمعاونة مجموعات من الخارجين على القانون ورجال الشرطة، والبلطجية، واستخدام القوة والعنف والترويع، والإعتداء على الحريات الشخصية للمواطنين المتظاهرين. وأفادت التحريات والمشاهدات التى جمعها تقرير لجنة تقصى الحقائق تورط ١٣ نائبا سابقاً من الحزب الوطنى في الواقعة، فقد عقدوا اجتماعاً في ٢٩ يناير الماضى، بعد أيام من الثورة، وأبدى كل منهم اقتراحاته لمواجهة المظاهرات وكيفية الحفاظ على الحزب الوطنى، والرئيس السابق حسنى مبارك، واتفقوا على تبرع كل منهم بمبالغ مالية وصلت إلى ٢ مليون جنيه لكل منهم، وتحديد الخروج في مظاهرة مليونية تم تأجيلها عدة مرات، وأخيراً اتفقوا على الخروج صباح ٢ فبراير ٢٠١١[١].

وقد طالب دفاع المتهمين بإخلاء سبيلهم لانتفاء مبررات الحبس الإحتياطى، وكان المتهمون قد تقدموا بتظلم للمحكمة لإخلاء سبيلهم في القضية المتهمين فيها على قتل المتظاهرين في موقعة الجمل بميدان التحرير والطعن على قرار الحبس الإحتياطى .

وجاءت مظاهرة أخرى من ناحية شمال الميدان واتجاه المتحف وميدان عبد المنعم رياض وكانت تردد هتاف "مش حنمشى"، وراحت تظاهرة أخرى تردد "مش هيمشى .. مش هيمشى" وأخيرا تراجعت المظاهرة الثورية ناحية الخلف جنوب الميدان، وتركت مساحة فاصلة بين المظاهرتين، وتراجعت المظاهرة المباركة إلى ميدان عبد المنعم رياض، وشامبليون ومقر النيل،

١- انظر المصرى اليوم. العدد ٢٥٠٦ بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٤، ص١.

وبدأت الحجارة تنهال من كل مداخل الميدان، وبدأ المصريون في السقوط بإصابات بالغة. كما تم القبض على أعداد من البلطجية والهرولة بهم إلى مناطق تمركز مدرعات الجيش.

وتعالت الصرخات، صرخت امرأة مسنة، مبارك خرب البيت وعمل فتنة بين أولادنا، وقالت أصوات أخرى: "دا ماعندوش مانع يحرق البلد كاملة من أجل الكرسي". وبدأت مجاميع تخلع بلاط ورخام الميدان، وتقوم بتكسيره إلى قطع صغيرة، وتقوم مجموعات أخرى بنقله إلى الصفوف الأمامية على طول جبهات التقاذف بالحجارة على جميع مداخل الميدان. وبدأت معركة كبيرة لإحكام السيطرة على الميدان، وهى المعركة التى كللت بالنصر بعد تضحيات مروعة[1].

واحتشدت عدة آلاف في ميدان مصطفى محمود بمنطقة المهندسين في القاهرة، للتعبير عن تأييدهم لمبارك، وحدثت اشتباكات بالعصى والحجارة بين المؤيدين والمعارضين. وقيل أن رجال أعمال تابعين للحزب الحاكم، جنّدوا بلطجية للاشتباك مع المحتجين مقابل ٤٠٠ جنيه للشخص الواحد، كما شوهد بعض المتظاهرين يتقاضون مبلغ ٢٠٠ جنيه مصرى[2].

يوم الخميس ٢٠١١/٢/٣

استمرت حرب الشوارع بين مؤيدى الرئيس مبارك ومعارضيه في ميدان التحرير، وتبادل الجانبان القذف بالحجارة، وسمعت طلقات نارية، ووصل عدد الضحايا إلى ٨ قتلى، و١٢٠٠ مصاب، وطالب المتظاهرون بمحاكمة النظام على الجرائم التى ارتكبها بحق الشعب والمتظاهرين، ورددوا هتافات "الشعب يريد محاكمة النظام" مؤكدين أنهم يفكرون في تنظيم مظاهرة

١- أحمد زغلول الشيطى. المرجع السابق، الثورة، ص ص٣٧- ٤٢ .

٢- حسين عبد الواحد. المرجع السابق، ص٤٠.

إلى قصر الرئاسة، وقد دفع هذا الحال القوات المسلحة إلى إعادة الإنتشار وغلق المنافذ المؤدية للمتظاهرين، وتم ضبط عناصر أجنبية بين المتوافدين. كما قامت القوات المسلحة بالتصدى لمحاولات اقتحام مكاتب الجزيرة والعربية وأل بى بى سي.

وقد أعلن د. أحمد شفيق رئيس الوزراء عن اعتذاره للشعب المصرى عن الأحداث الدرامية والمؤسفة التى وقعت في الميدان في اليوم السابق وأسفرت عن خمسة قتلى، و٣٤٨ مصاباً. وتعهد أحمد شفيق بمحاسبة مرتكبيها حتى لو كان حبيب العادلى وزير الداخلية السابق، وأضاف شفيق بأن الحوار مفتوح بمرونة كاملة، وبلا سقف، ويمكن للإخوان المشاركة فيه، ولكن د. محمد بديع المرشد العام السابق للأخوان رفض التفاوض مع أى من رموز أو قيادات النظام الحالى(١).

وواكب ذلك إصدار الدكتور عبد المجيد محمود النائب العام، قراراً بمنع كل من اللواء حبيب العادلى، وزير الداخلية السابق، ومحمد زهير جرانة، وزير السياحة السابق، وأحمد المغربى، وزير الإسكان السابق، وأحمد عز أمين التنظيم السابق بالحزب الوطنى، وعدد من المسئولين بالهيئات الحكومية من السفر خارج البلاد، وتجميد أرصدتهم المالية في البنوك، لحين انتهاء التحقيقات التى تجريها جهات سيادية والنيابة العامة بشأن الإنفلات الأمنى وقضايا فساد أخرى .

وفى لقاء مع قناة أيه بى سى. قال حسنى مبارك، أنه يود الاستقالة، لكنه يخشى الفوضى. وأضاف مستاء من المشاهد العنيفة في البلاد، ولا يريد أن يرى المصريين يقتتلون فيما بينهم، وفى حوار للتلفزيون المصرى أكد نائب الرئيس محمد سليمان أن الرئيس المصرى لا يريد الترشيح للإنتخابات،

١- انظر. الأهرام. العدد ٤٥٣٥٠ بتاريخ الجمعة ٢/٤/ ٢٠١١، ص١.

ولا ابنه السيد/ جمال مبارك كما يدعى البعض. وأضاف أنه أيضا لا يريد الترشيح للإنتخابات الرئاسية حتى يبطل قول القائلين، أن الرئيس مبارك عين سليمان ليتولى من بعده الرئاسة ويكون عونا له ليحميه بعد تركه الحكم. واستطرد قائلا أنه عرض على جميع المعارضين على اجتماع مع الحكومة الجديدة، ويوجد منهم من وافق. وقال أن مصر لن تقبل تدخلاً أجنبياً في شئونها الداخلية، وأبدى اندهاشه لموقف دول كانت تعتبر صديقة، في إشارة على ما يبدو ... إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى هذا اليوم تم ضبط ١٨٠ سجيناً من وادى النطرون والفيوم و٥٧ من اللصوص بالجيزة. كما قامت الأجهزة الأمنية لملاحقة الهاربين من السجون لضبطهم، وتم ضبط ٢٩٧ متهما هاربا و٤٣١ قطعة سلاح من ١٨ محافظة على مستوى الجمهورية حيث تم التحفظ عليهم. كما تم ضبط ٣٦٧ طبنجة و١٣ بندقية آلية مع بعض البلطجية خلال عرضها للبيع[١].

هنا نتساءل من الذى أطلق اللصوص على المحلات التجارية؟ ومن الذى فتح أبواب السجون بكل ما فيها من التحصينات والأبواب الحديدية لتنطلق منها مواكب البلطجية والمجرمين في كل الشوارع، والمدن، ومن الذى أمر بإطلاق الرصاص الحى المحرّم دولياً على صدور شبابنا الثائر ليسقط ٣٠٠ شهيد كما ذكرت وثائق الأمم المتحدة. ومن الذى أقام مذبحة كوبرى قصر النيل ليسجل التاريخ واحدة من أكبر المذابح التى لم تشهدها مصر في أى عصر من العصور؟ هل هى قيادات الأمن؟ أم حكومة النهب والسرقة؟ أم بلطجية الحزب الوطنى وجهاز أمن الدولة؟.

١- فاروق جويدة. يحيا شباب الحرية. مقالة بالأهرام، العدد ٤٥٣٥٠ بتاريخ ٤/٢/ ٢٠١١، ص١٣.

وقد شهدت المحافظات في هذا اليوم ارتفاعاً في الأسعار الغذائية بسبب قلة الموجود من السلع نتيجة صعوبة حركة النقل والمواصلات وتكالب المواطنين على تخزين كميات كبيرة، كما تواصلت طوابير الزحام أمام المخابز ومحطات الوقود .

وفى هذا اليوم قرر البنك المركزى استئناف البنوك لنشاطها إعتبارا من الأحد المقبل ٢٠١١/٢/٦

يوم الجمعة ٤ فبراير ٢٠١١ :

وهو اليوم الحادى عشر. وسمى هذا اليوم بجمعة الرحيل، وايضاً يوم "الغنيمة". وقد شهدت هذه الجمعة احتشاد أكثر من مليون متظاهر في ميدان التحرير، اتفقوا جميعا على مطلب واحد هو "رحيل الرئيس مبارك" وأعلنت قوى المعارضة في مصر على هذا اليوم، يوم زحف الجماهير لإسقاط الرئيس مبارك. أما المؤيدون لمبارك فقد أطلقوا عليه جمعة الاستقرار ، أو "جمعة الوفاء".

وفى هذا اليوم لم يظهر المؤيدون لمبارك والذين وصفوا المعتدون باسم البلطجية، وفشلت محاولت بعضهم في منع المحتجين من الوصول إلى الميدان، ووقعت احتكاكات محدودة في بعض المناطق، واستمرت المظاهرات، وحمل المتظاهرون لافتات تؤكد الاستمرار في الإعتصام حتى الرحيل، ونددوا بالتعذيب والإعتقالات، ورددوا هتافات: هوه يمشى ... موش حنمشى". وأكد أحمد ماهر منسق حركة ٦ ابريل أن شباب المتظاهرين في ميدان التحرير لن يقبلوا بالتفاوض، قبل تقاعد الرئيس أو رحيله .

وفى هذا اليوم أصدر المستشار عبد المجيد محمود النائب العام قرارا بمنع سفر رشيذ محمد رشيد وزير الصناعة والتجارة السابق من السفر خارج البلاد، والتحفظ على أمواله، إلا أن رشيد كان قد غادر البلاد قبل

أربعة أيام إلى أحدى الدول الأوربية، وقال رشيد: أنه ليس لديه علــم بهــذا الأمر، وأنه الآن خارج البلاد حيث يوجد في دبي .

وفى حديث لأحمد شفيق لقناة العربيـــة، قـــال: أن حكومتـــه التزمـــت بوعودها بعدم التعرض للمظاهرات، وإبطـــال حركـــات الحـــزب الـــوطنى الديمقراطى، واختفاء البلطجية والعنف. واستبعد أحمد شفيق تفويض الرئيس مبارك لسلطاته لنائبه محمد سليمان، وقال: إن بقاء مبارك رئيسا لمصر أمان للبلد، وأضاف، نحن نحتاج الرئيس لأسباب تشريعية، وأن مبارك خدم البلاد ٣٠ سنة وهو لايحتاج البقاء لعدة أشهر أضافية حتى موعد انتخابات الرئاسة القادمة في أواخر ٢٠١١. وشدد على أن مبارك لم يرتكب أخطاء في حــق الشعب المصرى. وأكد أن الحكومة تقدم ضمانات للمتظاهرين بعدم ملاحقتهم أمنيا، وأوضح أن الحكومة تجرى نقاشا مع قوى مختلفة من المحتجين، وأننا نقترب من نقاط الاتفاق مع قوى الإحتجاج".

السبت ٥ فبراير ٢٠١١

وفى صباح اليوم الثانى عشر الموافق السبت ٢٠١١/٢/٥ أذاع تلفزيون قناة الجزيرة، إنفجار خط أنابيب الغاز الموصل لإسرائيل بسيناء، والإشتعال مسببا حريق هائل. وقدتمكن الجيش المصرى والدفاع المدنى من الـــسيطرة على ألسنة اللهب الناتجة عن الإنفجار دون حدوث أى خسائر بشرية .

واستشهد في هذا اليوم الصحفى المصرى، أحمد محمود محمد نجيب، متأثرا بإصابته أثناء المظاهرات في يوم ٢٩ يناير، وهو صحفى بجريـــدة الأهـــرام وتمسكت جماعة الأخوان المسلمين بمطالبها، وفى مقدمتها رحيل مبارك.

وسارت مظاهرات في هذا اليوم تهتف: يا سوزان صحيا ليـــه، كيلـــو العدس بعشرة جنيه: هيلا هيلا هيلا، والليلة آخـــر ليلـــة. وراحـــت أعـــداد المتظاهرين تتزايد من كل مداخل ميدان التحرير، وخاصة مـــدخل كـــوبرى

قصر النيل، واصطفت جماهير من المتظاهرين يستقبلون القادمين، ويهتفون: مرحب مرحب بالثوار اللى انضموا إلى الأحرار.

وقرب المغرب كانت المليونية قد اكتملت، بل زادت عن المليون والنصف، وقدرها المتظاهرون أنها اثنين مليون ونصف .

وفى محاولة من جانب الحكومة لإعادة الحياة إلى طبيعتها، وتهميش المظاهرات، استأنفت البنوك المصرية عملها بشكل تدريجى، وحاول الجيش المصرى فتح طريق للسيارات بميدان التحرير الذى يحتشد فيه المتظاهرون، وقد أدى آلاف المتظاهرين صلاتى الظهر والعصر في الميدان، ثم أقيمت صلاة الغائب على شهداء الثورة الشعبية في ٢٥ يناير. وفى وقت لاحق أقام المسيحيون قداسا شهده آلاف المسلمين.

وردد المتظاهرون الشعارات التى تطالب بإسقاط وتنحى الرئيس مبارك، وبذلك نفذ المتظاهرون ما أطلقوا عليه يوم الشهيد في أسبوع الصمود.

وتواصلت الإحتجاجات في مدينة الأسكندرية، وفى المنصورة، والمحلة الكبرى، والزقازيق، وطنطا، وبنى سويف، وأسيوط، ودمنهور، والعريش مطالبة برحيل مبارك .

وفى هذا اليوم قرر الرئيس محمد حسنى مبارك تعيين د. حسام بدراوى أميناً علماً للحزب وأميناً للسياسات، على أن تضم هيئة المكتب د. محمد رجب، ود. محمد عبداللاه، وماجد الشربينى، ود. محمد كمال، ومحمد هيبة، وذلك بعد ان قدمت هيئة المكتب استقالتها، وهم: صفوت الشريف، وزكريا عزمى، وجمال مبارك، ومفيد شهاب، وعلى الدين هلال، بالإضافة إلى أحمد عز الذى قدم استقالته من قبل.

ويجهض هذا التعديل فرصة جمال مبارك في الترشح للرئاسة في الإنتخابات المقبلة، لأن استقالته تمنعه من عضوية الهيئة العليا للحزب التى

يحق لأعضائها الترشح للانتخابات الرئاسية، كما تم وضع وزير الداخلية السابق مع ٣ من قياداته تحت الإقامة الجبرية.

وقد قدر خبراء اقتصاديون ثروة مبارك بنحو ٧٠ مليار دولار أمريكي، تتركز غالبيتها في بنوك بريطانية وسويسرية، وعقارات في لندن ونيويورك ولوس أنجلوس، فضلاً عن امتلاكها مساحات راقية واسعة في مدينة شرم الشيخ على شواطئ البحر الأحمر[١].

يوم الأحد ٦ فبراير ٢٠١١ :

وهو اليوم الثالث عشر، وهو يوم أحد الشهداء، وفيه ظهرت لافتة في الساعة الثانية عشرة ظهراً، جاء فيها: "لا تفاوض ولا تمثيل إلا بعد الرحيل ... لا حكماء ولا إخوان للمطالب في الميدان"، وكان هذا هو رد الميدان العاجل على ذهاب الإخوان للتفاوض مع نظام فقد شرعيته. وفى هذا اليوم أيضاً تم الإفراج عن وائل غنيم صاحب صفحة "كلنا خالد سعيد".

وقال وائل غنيم في حديثه مع الإعلامية منى الشاذلى في برنامج العاشرة مساء أمس الأول على قناة دريم الفضائية: عينى كانت متغمية طول الوقت. أنا ما كنتش شايف ولا سامع ولا عارف أى حاجة بتحصل في الشارع، غير فى آخر تحقيق له قالوا لى فيه كل اللى حصل. وخلال حديثه قال: دى موش وقت تصفية حسابات، ولا تقسيم تورتة، ولا فرض أيديولوجيات، رافضاً اعتباره بطلاً للثورة، حيث قال: أنا موش بطل، كنت نايم طول ١٢ يوم، الأبطال الحقيقيون كانوا في الشارع، واللى اتضربوا، واللى استشهدوا.

واستطرد غنيم: أنا ماتعرضتش لأى تعذيب، والناس تعاملت معى في غاية الاحترام. الناس هنا فعلاً قلبهم على مصر، بس أنا قلبى على مصر

١- د. الحسينى الحسينى عدى. ثورة ٢٥ يناير، ص ص٢٠٩- ٢٢٠.

حاجة تانية، وهمه قلبهم على مصر بيعملوا حاجة تانية، بس الحاجتين باينين إنهم عكس بعض.

ووصف غنيم كيفية اعتقاله يوم الخميس ٢٠١١/٢/٢٧، وكيف قضى أيامه الطويلة داخل المعتقل، وكيف تقابل مع وزير الداخلية الجديد – محمود وجدى – قائلاً: كان بيتعامل معايا من منطلق أنا قوى وزيى زيه. وتابع حديثه: أنا فخور باللى عملته ومستعد أدفع ثمنه، وكنت فخور أوى أن أنا مصرى يوم ٢٥ يناير، وفخور بكل الشباب، إحنا بنحب البلد دى وبنرفض أى حد يزايد عليها.

وأضاف: أنا باكل لب سوبر، وباشجع الأهلى، أما مثقف وابن ناس، وماينفعش يطبق علىّ قانون الطوارئ، علشان أنا مش إرهابى، ولا تاجر مخدرات. واستطرد قائلاً: إن المشكلة إن إحنا مش بنتكلم مع بعض، وفيه إنعدام ثقة بين الحكومة والشعب.

وقد رد وزير الداخلية – محمود وجدى –: "أنا وزير من ٨ أيام وأنتم حققتوا مكاسب ماحدش قادر يصدق أنتم عملتوا كده إزاى، ومش حانرجع لورا تانى[1].

وقد واصل المتظاهرون احتشادهم في القاهرة والمحافظات الأخرى في "أسبوع الصمود" عبر مظاهرة مليونية جديدة في ميدان التحرير، ومئات الآلاف في عدة محافظات، واكتشف المتظاهرون حوالى الواحدة والنصف ظهراً رجلاً مستاء في حوالى الخمسين، يرتدى بدلة أنيقة وتكتل الجميع لطرده، إذ تبين لهم أنه تابع للحزب الوطنى، وأنه يدعو الشباب ويحاول إقناعهم بفض المظاهرة، وكاد الرجل أن يسقط على الأرض، ثم خرج من

١– الشروق الجديدة. العدد ٧٣٩، بتاريخ الأربعاء ٩ فبراير ٢٠١١، ص٢.

بوابة قصر النيل. ولقد كان النظام لا يكف عن إرسال مبعوثين من كل نوع، وأيقن الجميع أنه لا يوجد مقتنع حقيقى بالنظام سوى اللصوص والبلطجية.

ومنذ هذا اليوم تسارعت الإجراءات السياسية للحوار بين نائب رئيس الجمهورية والقوى السياسية، وممثلين من شباب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وقد حضر ممثلون عن جماعة الإخوان المسلمين الحوار، بعد سنوات من وصم الجماعة بـ "المحظورة".

وقد رفض عمر سليمان تنحى الرئيس، أو تفويض صلاحياته، ولكنه دعا المتظاهرين في ميدان التحرير إلى حشود مليونية طوال "أسبوع الصمود"، وأقيمت صلاة الظهر والعصر، ثم أقيمت صلاة الغائب على أرواح الشهداء، وأقام المسيحيون في الميدان قداس الأحد شهده آلاف المسلمين. وقال الناشط مايكل فير إن النظام هو من اضطهد المصريين جميعاً مسلمين وأقباط، ودلَّل على ذلك بعدم تعرض الكنائس لأى اعتداء على مدار ١٢ يوماً رغم غياب الشرطى، والإنفلات الأمنى.

واعترف نائب رئيس الجمهورية بشرعية الثورة، ووقف هو وقيادات الأحزاب والقوى الوطنية "دقيقة حداداً" على أرواح شهداء الثورة قبل بدء جلسة الحوار، وطرحت المعارضة خلال الحوار ٨ مطالب، منها: التنحى، وإلغاء الطوارئ، وحل البرلمان. وقالت جماعة الإخوان أن استكمال الحوار مرهون باستجابة النظام لمطالب الشعب. لكن سليمان تمسك بالشرعية الدستورية، واتفق على إجراءات دستورية "مؤقتة"، على أن تنتهى دراسة التعديلات الدستورية المقترحة في مارس، وتشكيل لجنة وطنية لمتابعة تنفيذ ما تم الموافقة عليه. جرى ذلك وسط اتفاق على ملاحقة المسئولين عن الإنفلات الأمنى، وتنفيذ الطعون على الإنتخابات.

وقد أكد سليمان حرصه على إنجاز فترة إنتقالية، متعهداً بنظام حكم مدنى، وبقبول الرقابة الدولية على الإنتخابات، مؤكداً ان حركة ٢٥ يناير وطنية شريفة.

وقد طلب عدد من ممثلى شباب ٢٥ يناير من عمر سليمان إلغاء جهاز أمن الدولة، وإلغاء لجنة شئون الأحزاب، وضرورة إجراء محاكمة عادلة وفورية لجميع رموز الفساد في النظام المصرى. كما طالب البعض ضرورة إقصاء وزير الإعلام المصرى أنس الفقى من منصبه، ووعد سليمان بتغيير سياسات التليفزيون المصرى وتغيير الخطاب الإعلامى خلال المرحلة المقبلة. وطلب بعض الشباب من سليمان الإفراج عن وائل غنيم، وفى مساء اليوم تقرر الإفراج عنه في يوم ٧ فبراير الساعة الرابعة ظهراً.

وقد استأنفت البنوك المصرية عملها في هذا اليوم (الأحد) بشكل تدريجى. وحاول الجيش المصرى فتح طريق للسيارات بميدان التحرير الذى يحتشد فيه المتظاهرون.

أما القيادى في حركة كفاية/ أحمد بهاء الدين، فقال: إن طلب رئيس الوزراء أحمد شفيق بقاء الإعتصام في ميدان التحرير، وعودة الحياة بشكل طبيعى إلى أنحاء البلاد يستهدف التعويل على عامل الزمن لتآكل حركة الإحتجاجات.

يوم الإثنين ٧ فبراير ٢٠١١ :

وهذا اليوم الرابع شعر لقيام الثورة، وفيه واصل المتظاهرون اعتصامهم واحتجاجاتهم بميدان التحرير رافضين التفاوض على مطالبهم مادام مطلبهم الأول وهو "الرحيل أولاً" لم يتحقق، واعتبروا أن مغادرة الميدان قبل الرحيل يعد بمثابة انتحار. ودعوا إلى مظاهرة مليونية أخرى يوم

الثلاثاء، ونظم المئات من الصحفيين جنازة رمزية للشهيد أحمد محمود الصحفى بمؤسسة الأهرام.

وقد تركزت الهتافات منذ هذا اليوم على مطلبين أساسيين، هما: مش هنمشي هوَّه يمشي، وبالحجارة مرسوم على أسفلت الميدان "Go Out"، وترجمتها بالروسى وبالألمانى والفرنسى في إشارة إلى ضرورة رحيل الرئيس مبارك، بينما كان الهتاف الآخر: عايزين فلوسنا.

وقد ترددت هتافات أخرى: "يا مبارك يا.. للعار ثروتك ٧٠ مليار"، ولافتة مرسوم عليها خبر السبعين مليار وسلفني شكراً. ومنع المعتصمون الجيش المصرى من فتح أهم تجمع حكومى في ميدان التحرير. وكان قائد المنطقة المركزية الوسطى قد زار الميدان، ولجأ الشباب إلى النوم تحت عجلات المدرعات المتواجدة في الميدان، وعند المتحف وجامعة الدول العربية وشامبليون. وكانوا يغنون ويهتفون أمام الدبابات.

وتطوع عدد من الشباب والمدرسين، وقاموا بنصب خيمة أمام بوابة الجامعة الأمريكية لإعطاء دروس خصوصية لكل المراحل التعليمية مجاناً. كما تم إعداد عدد من العيادات المتنقلة لعلاج غير القادرين مجاناً للمصابين من المتظاهرين.

وفى هذا اليوم أعلن الجيش عن تقصير فترة حظر التجول لتصبح من الساعة الثامنة مساء إلى الساعة السادسة صباحاً، وتم الإفراج عن وائل غنيم وعن بعض المعتقلين.

وعقد مبارك اجتماعين الأول مع نائبه عمر سليمان ورئيس مجلس الشورى، ورئيس محكمة النقض، والثانى ضم إلى هؤلاء رئيس مجلس الشورى ووزيرى الدفاع والخارجية، وناقش خلال الاجتماعين الإصلاحات

السياسية والاقتصادية، والملف الأمنى، وتنفيذ الأحكام القضائية المتعلقة بعضوية المجالس النيابية.

وأكد أحمد شفيق – رئيس الوزراء أن الرئيس مبارك لن يغادر منصبه قبل سبتمبر المقبل، وقال لـ "س.إن.إى" نحن في حاجة ماسه لوجوده.

يوم الثلاثاء ٨ فبراير ٢٠١١ :

وفى هذا اليوم دخلت ثورة ٢٥ يناير يومها الخامس عشر، وهو يوم حب مصر، ووصف المتظاهرون هذا الأسبوع بأنه أسبوع الصمود أو أسبوع العناد وقرروا بأن يجعلوا من يوم الثلاثاء من كل أسبوع عيد للاحتفال بالثورة التى انطلقت منها ثورة ٢٥ يناير (وفى المساء شهد الميدان حفل زفاف).

وفى هذا اليوم وصلت المظاهرات إلى مجلس الشعب والشورى، واقتربت من مبنى مجلس الوزراء، ومنع المتظاهرون رئيس الوزراء/ أحمد شفيق من دخول المبنى. وحوالى الساعة ٢,٠٥ ظهراً ظهر بيان شريطى أسفل شاشة قناة الجزيرة، يقول: المتظاهرون يحيطون بمجلس الشعب، وتجمعات كثيرة في شارع رمسيس، وخرج رئيس مجلس الشعب د. أحمد فتحى سرور متخفياً داخل إحدى السيارات خوفاً من المظاهرة الحاشدة التى امتدت بطول الشوارع المؤدية للبرلمان وظلوا يهتفون: "الشعب خلاص أسقط النظام".

وطاف المتظاهرون الشوارع الجانبية للبرلمان، ولم يستطيعوا الإقتراب من البوابة الخاصة لمجلس الشعب حيث تطوقها دبابات الجيش. وحمل المتظاهرون لافتات مكتوب عليها: "مجلس الشعب باطل ... وسرور باطل وسيد قراره باطل" ووصل المتظاهرون إلى وزارة الداخلية، بالإضافة إلى مظاهرات أخرى فئوية في القاهرة ومحافظات أخرى. وحوالى ١٠٠٠ من

أساتذة الجامعات إلى ميدان التحرير، وهتفوا بسقوط د. هانى هلال وزير التعليم العالى. كما انضم إلى المتظاهرين د. عصام شرف وزير النقل السابق الذى ردد هتافات المطالبة برحيل الرئيس مبارك مع الحشود الضخمة.

وأعلن المتظاهرون من موظفى وزارة الصحة خلال احتجاجهم ظهر الثلاثاء داخل الوزارة، أن لهم مطالب أساسية، مشددين على ضرورة استبعاد جميع مستشارى الوزير السابق حاتم الجبلى، والذين وصفوهم بـ "مستشارى مستشفى دار الفؤاد المملوكة للجبلى"، وأضافوا أن هؤلاء المستشارين تصل رواتبهم إلى ٤٠ ألف جنيه للواحد منهم[١].

كما تم تنظيم اعتصام بعض العاملين بالتليفزيون المصرى، وروزاليوسف، وبعض الشركات، وبقيت إلى حوالى الخامسة والنصف، وسط زحام شديد لسيدات بشعر فضى يتحدثن بالإنجليزية والفرنسية مع مراسلى وكالات الأنباء، ومنقبات يخطبن في مظاهرات حاشدة، وأطفال يقودون مظاهرات، وبنات صغيرات على أكتاف آبائهن يرفعن أعلام مصر، باعة لكل شيء، مكبرات صوت وسماعات قوية في كل مكان، ومنصات خشبية تنشأ في أماكن مختلفة.

وكان يبدو أن المسيرة مازالت طويلة، وأن مبارك يتشبث بالحكم خوفاً من المحاكمة على جرائمه هو وأسرته طوال ثلاثين عاماً. وتمسكت المسيرة بنفس المطالب وعلى رأسها تنحى الرئيس.

وفى مدينة الخارجة بمحافظة الوادى الجديد، شهدت المدينة انفلاتاً أمنياً لم يسبق له مثيل بعد انسحاب معظم القوات الأمنية في المحافظة، وانتشار قوات الجيش المصرى في أحياء المدينة، ونجحت في السيطرة على الموقف.

١- انظر. الدستور. العدد ١٢٣، بتاريخ ٢٠١١/٢/٩، ص١.

وفى الإسكندرية احتشد آلاف المصريين قرب مسجد القائد إبراهيم مطـالبين برحيل الرئيس مبارك، وتخلل المظاهرات إضرام النار في مراكز الشرطة.

وفى مدينتى المحلة وطنطا بمحافظة الغربية تجمع المتظاهرون وهتفوا برفض استمرار الرئيس مبارك في الحكم عقب أداء صلاة العصر، وطالبوا برحيله فوراً. وقرر بعض المتظاهرين المبيت أمام ديوان عام المحافظة حتى رحيل مبارك. وشهدت مدينتا السويس وأسيوط تظاهرات شارك فيها الآلاف. وفي بورسعيد تم حرق المحافظة، ورحبت جموع المتظاهرين بوائل غنـيم، الذى اعتقلته قوات الأمن المصرى قبل ١٢ يوم، ثم أطلق سراحه، وقال غنيم في كلمة ألقاها في الجموع: لن نتنازل عن مطلبنا فـي زوال النظـام ولـن نستسلم. وأضاف غنيم: لست بطلاً، إن الأبطال هم الذين استشهدوا.

وفى حديث لوزير الداخلية محمود وجدى، قال: أنا وزير من ٨ أيـام، وأنتم حققتوا مكاسب محدش قادر يصدق انتوا عملتـوا كـده إزاى، ومـش حارجع لورا تانى(١).

وقد أصدر العلماء المشاركون في ثورة ٢٥ يناير بياناً جديـداً شـددوا خلاله على أن الأحاديث النبوية التى وردت في شأن منـع الخـروج علـى الحاكم لا تنطبق على مبارك، لأنها تتحدث عن الحاكم العادل الـذى يـؤمن الناس في أوطانهم، ويصون أعراضهم، ويحارب أعداءهم، واصـفين فـي بيانهم من يقف ضد نظام مبارك الفاسد بالمجاهد في سبيل الله.

وإزاء هذه الأحداث أصدر الرئيس حسنى مبـارك قـراراً جمهوريـاً بتشكيل لجنة لتعديل بعض الأحكام الدستورية التشريعية، على أن تـضاف المادة (٨٨) وتخص الإشراف القضائى على الإنتخابات، وتعديل المادة (٧٦)

١- الشروق الجديدة. العدد ٧٣٩ بتاريخ ٩ فبراير ٢٠١١، ص٢.

والخاصة بشروط الترشيح للرئاسة، والمادة (٧٧) وتتعلق بفترات الرئاسة المفتوحة.

ورفض المتظاهرون ما أسموه بـ "ترقيع مواد الدستور" وقال آخرون أنهم يعدون خروج مسيرة اليوم تضم ١٠ ملايين مواطن تتجه إلى القصر الجمهورى للمطالبة برحيل الرئيس مبارك. وفى نفس الوقت كثفت القوات المسلحة الإجراءات الأمنية بالشوارع المحيطة والمؤدية إلى قصر رئاسة الجمهورية بمصر الجديدة. اما أبو الغيط وزير الخارجية، فقال: "الجيش يتدخل لحماية الأمن القومى من المغامرين".

وصرح عمر سليمان – نائب رئيس الجمهورية لرؤساء تحرير ورؤساء مجالس إدارات الصحف أن تقارير الأجهزة كانت تشير إلى ضخامة عدد المتظاهرين الذين سوف يشاركون في مظاهرات ٢٥ يناير، وأنها تتوقع مشاركة مائة ألف متظاهر، وأكد سليمان أن الرئيس مبارك تعهد بعدم ملاحقة الشباب المتظاهرين، وعدم التضييق عليهم ومنحهم الحرية في التعبير عن رأيهم[١].

يوم الأربعاء ٩ فبراير ٢٠١١ :

وفى يوم الأربعاء ٩ فبراير ٢٠١١، وهو اليوم السادس عشر من عمر الثورة وسمى بيوم المطلب، استمرت المظاهرات الحاشدة في ميدان التحرير وسط القاهرة، وفى بعض المحافظات. ولجأ النظام إلى استخدام القوة الغاشمة منذ اللحظة الأولى بدلاً من الإيماء بها، فبدا أنه آلة يمكن أن تتكسر، ويمكن أن تنيك، كما بدا أنه قوة فقط، مما أثار ضيق المتظاهرين بسبب الإصابات الكثيرة منذ اليوم السابق. وفى هذا اليوم دعى المتظاهرون إلى المسيرة الرابعة الجمعة القادمة بمشاركة ١٠ ملايين مواطن في التحرير.

١- د. عبد القادر شهيب. الساعات الأخيرة في حكم مبارك، ص٦.

هدد عمر سليمان بالإنقلاب العسكرى، فقال: إما الحوار مع المعارضة والتفاوض، وإما شبح الإنقلاب العسكرى. وهنا بدا تهافت النظام المتهاوى على التفاوض.

أما المتظاهرون فقد أكدوا أن أى تفاوض سيكون داخل الميدان، وأى شيء آخر خارجه لن يكون مقبولاً، ودعا المتظاهرون بميدان التحرير إلي تنظيم مسيرة تضم ١٠ ملايين مواطن غداً الجمعة، تحت مسمى "جمعة الحسم" واتفق المتظاهرون على تأسيس نصب تذكارى للشهداء، وقالوا: إن العالم المصرى الدكتور/ أحمد زويل، سيلقى بياناً مهماً غداً داخل الميدان، رافضين في الوقت نفسه أن يتفاوض زويل باسمهم، وشن بعض المتظاهرين هجوماً شرساً على الدكتور/ أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب، باعتباره مسئولاً عن صدور الدستور الحالى، متهمين إياه بالإتفاق مع مبارك ضد مصالح الشعب، وحرصت بعض عربات الجيش على الطواف حول مجلس الشعب والشورى، وطرد المتظاهرون المطرب تامر حسنى من الميدان، وقامت مجموعة أخرى بالتعدى عليه، وتدخل بعض المتظاهرين لإنقاذه، وكان تامر حسنى قد أيد الرئيس مبارك وطالب بفترة رئاسية جديدة له.

وعلى جانب آخر شهد مجلسى الشعب والشورى منذ اليوم السابق حصاراً مكثفاً من أفراد القوات المسلحة لحماية المدنيين من أى اقتحام من قبل المتظاهرين الذين أقاموا المتاريس والكمائن لتفتيش كل من يريد السير في الشارع. ومنع المتظاهرون النواب وموظفى المجلس من دخوله، مما تسبب في تأجيل انعقاد لجنة القوى العاملة التى كان من المقرر اجتماعها لمناقشة مشروع قانون منح العاملين بالدولة علاوة تقدر بـ ١٥%، ومنح العاملون في مجلسى الشعب والشورى أجازة مفتوحة لحين استقرار الأوضاع.

وحاصرت مدرعات الجيش مقار مجالس الشعب والشورى، ووزارة الداخلية وأمن الدولة ووزارتى العدل والمالية لحمايتها، وترك للمتظاهرين حرية التحرك، فافترشوا شارع مجلس الشعب، ونصبوا الخيام، وأعلنوا الاعتصام حتى يستجيب النظام لمطالبهم[١].

يوم الخميس ١٠ فبراير ٢٠١١ :

وهو اليوم السابع عشر في الثورة، والمسمى بيوم الانتصار، وفيه تزايدت الحشود منذ الصباح، وقفز عددهم إلى الذروة – أى ما بين مليونين وثلاثة ملايين نحو الساعة الرابعة مساء في ميدان التحرير– ونظم أطباء القصر العينى مظاهرة من أمام هذا المستشفى الكبير، وخرجت هتافات جديدة في ميدان التحرير، تقول: "دلعوا يا دلعوا .... مبارك شعبوا خلعوا".

وفى هذ اليوم قامت مظاهرات في جامعة أسيوط ضد رئيس الجامعة، كما قام موظفوا الحكومة بعمل اضطرابات ومظاهرات.

وعقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة اجتماعاً برئاسة المشير حسين طنطاوى القائد العام للقوات ووزير الدفاع والإنتاج الحربى لبحث الإجراءات والتدابير اللازمة للحفاظ على الوطن ومكتسباته، وطموحات الشعب المصرى، ولتأييد مطالب الشعب المشروعة.

وأصدر الجيش البيان رقم (١) وجاء فيه: انطلاقاً من مسئولية القوات المسلحة، والتزامنا بحماية الشعب، ورعاية مصالحه وأمنه، وحرصاً على سلامة الوطن والمواطنين ومكتسبات شعب مصر العظيم وممتلكاته، وتأكيداً وتأييداً لمطالب الشعب المشروعة انعقد اليوم الخميس العاشر من فبراير ٢٠١١ المجلس الأعلى للقوات المسلحة لبحث تطورات الموقف، حتى تاريخه، وقرر المجلس الاستمرار في الانعقاد بشكل متواصل لبحث ما يمكن اتخاذه من

١– السيد عبد الفتاح. ثورة التحرير. ص ص ٢٠٦– ٢٠٧.

إجراءات وتدابير للحفاظ على الوطن ومكتسبات وطموحات شعب مصر العظيم(١).

وقال الرئيس حسنى مبارك: أنه سوف يقوم برفع قانون الطوارئ عندما تستقر البلاد، كما ألقى نائبه عمر سليمان خطاباً بعد الرئيس نادى فيه المتظاهرين بالعودة إلى ديارهم، وقالت مصادر أن أحد ضباط الجيش الكبار تحدث إلى المتظاهرين في الميدان، وأكد لهم أنه سيتم الإستجابة لجميع مطالبهم، وقال ضابط آخر: أن مبارك سينقل السلطة للجيش. وأذاعت وسائل الإعلام على لسان الدكتور/ أحمد شفيق أن الرئيس مبارك قد يتنحى. وقال متظاهرون: أن حسام بدراوى أمين عام الحزب الوطنى توقع أن الرئيس/ محمد حسنى مبارك سيستجيب لمطالب الجماهير المتظاهرين قبل يوم الجمعة، وأنه قد يغادر البلاد.

وفى التاسعة مساء ظهر خطيب يخطب في الحشد بلغة صارمة ودون مواربة، وقال: أنتم تقولون الجيش والشعب يد واحدة – ماشي – لكنه علينا أن لا ننسى أن مبارك هو قائد الجيش، وأننا هنا مستعدون للاستشهاد. أصيب الناس بهذه اللهجة القوية ضد الجيش الذى يقف بالقرب من الناس بدباباته. فالخطيب هنا عكس روحاً جذرياً تنبه إلى أن الجيش قد يكون عدواً، وأننا يجب أن نكون مستعدين لما هو أبعد من التظاهر السلمى، حتى لو أدى الأمر إلى حرب شوارع(٢).

وكانت هذه الأيام وهذه الساعات أكثر الساعات قسوة في حياة مبارك بسبب الضغوط التى تعرض لها، وكان أهمها ضغوط أسرته، وتحديداً ابنه الأصغر جمال الذى كان طامحاً في حكم مصر، وظل حتى وقت متأخر جداً

١- الأهرام. العدد ٤٥٣٥٧، بتاريخ الجمعة ٢٠١١/٢/١١، ص١.

٢- أحمد زغلول الشيطى. مائة خطوة من الثورة، ص ص٩١- ٩٢.

مساء اليوم العاشر من فبراير يتصور أنه في مقدوره إنقاذ سفينة حكم والده. التى أشرفت على الغرق، وظل يتصرف وكأنه مازال في منصبه في قيادة الحزب الوطنى الذى أحل مؤخراً بحكم قضائي.

وفى حوالى العاشرة والنصف بدا خطاب التنحى، وفيه أعلن مبارك تفويض سلطاته لنائبه عمر سليمان، وخاطب الشعب قائلاً: دماء الشهداء والمرضى لن تضيع هدراً ومطالبكم عادلة ومشروعة، ولكن كان من الواضح أن الوقت قد فات، وأن عمر سليمان قد فقد الكثير من التأييد الشعبى الذى حظى به قبل أيام عند تعيينه نائباً للرئيس نتيجة حرصه الشديد على إبداء كل مظاهر الولاء الكامل لمبارك، رغم إدراكه أنه أصبح هو الهدف الأساسى لمظاهرات الغضب.

وكان صوت الرئيس مصاباً بالوهن، ولم يفهم في البداية ماذا يقول، ومع استطراده تفوه مبارك بعبارات من نوع سأعمل، وسأكون خلال الأشهر المتبقية من ولايتى، وتكلم الرجل وكأنه باق في السلطة، فقال أنه أصدر تكليفات إلى مجلس الشعب والشورى، وأنه سيعمل خلال المدة الباقية من ولايته على نقل سلس للسلطة، فاندلعت موجة صراخ، وصارت موجة خزى وغضب واختناق.

وهكذا فإن الرجل لن يخرج بإرادته أبداً، وسادت مشاعر متضاربة تجمع بين الحزن والحنق والإحباط، وانطلقت موجة غضب عارمة، ورددوا هتافات تقول: بكره العصر حنكون في القصر، ثم تردد هتاف آخر فحواه "دلوقتى ... دلوقتى". وانقسم الميدان إلى كتل عديدة لمناقشة الأمر. فمنهم من قال: إذا خرجنا من الميدان فلن نستطيع العودة إليه. ومنهم رأى: يستفزنا عشان نخرجوا من الميدان ويحتلوه. وصرخ ثالث يقول: الميدان تحت جنازير ودبابات مش حنسيب الميدان.

وبدأت كتل بشرية في طريقها إلى بوابة الخروج للذهاب إلى القصر، فانطلق رجل بميكروفون خلفهم، وراح يخطب بعضهم: الميدان الميدان مش حنسيب الميدان .. دون جدوى، فقد ركبهم الغضب وقرروا الوصول إلى نهايتها.

يوم الجمعة ١١ فبراير ٢٠١٢ :

وهو اليوم الثامن عشر من قيام ثورة ٢٥ يناير. وسمى بجمعة التحدى، أو جمعة النصر، أو جمعة الزحف، وفيها يجرى الزحف إلى مؤسسات الدولة: القصر الجمهورى، البرلمان، الإذاعة والتليفزيون، وزارة الداخلية. وكانت وحدات القوات المسلحة قد نشرت قواتاً إضافية منذ صباح اليوم السابق تحسباً للمظاهرات المقرر انطلاقها اليوم الجمعة. ووضع جنود القوات المسلحة مزيد من الأسلاك الشائكة وسدودا من أكياس الرمل في كل الجوانب، بالإضافة إلى تحويل اتجاهات بعض الشوارع لتسيير خطوط المواصلات والسيارات الخاصة. واستهدف انتشار القوات المسلحة حماية ٣ مواقع، هى: القصر الرئاسى، والمخابرات العامة، ومبنى التليفزيون. وأكدت القوات المسلحة أن الجيش لا ينوى إخراج المعتصمين بميدان التحرير بالعنف، وأنه لن يجرى منع أى شخص من الدخول إلى ميدان التحرير.

وفى صباح اليوم ألقى الجيش بيانه الثانى قائلاً: انه يكفل إجراء تعديلات دستورية وانتخابات حرة نزيهة، ويضمن الإصلاحات التى تعهد بها الرئيس حسنى مبارك في خطابه الخميس، وتعهد بإنهاء حالة الطوارئ فور انتهاء الظروف الحالية، والفصل في الطعون الإنتخابية لأعضاء مجلس الشعب وما يتبعها من إجراءات، وإجراء التعديلات الدستورية، وإجراء انتخابات حرة نزيهة وصولاً إلى مجتمع ديمقراطى حر.

ودعا الجيش إلى عودى الحياة الطبيعية في البلاد، محذراً من المساس بأمن وسلامة الوطن والمواطنين. وقال بيان الجيش أنه يتعهد بعدم الملاحقة الأمنية للمتظاهرين الشرفاء الذين رفضوا الفساد وطالبوا بالإصلاح. وسئل المشير حسين طنطاوى اختر ما بين الانضباط العسكرى والميل إلى الوطنية، فاختار الوطنية.

وقد خرج ملايين المواطنين في شوارع القاهرة عقب صلاة الجمعة، وانضم إليهم آلاف من المواطنين والمحامين والكتاب والمثقفين وكلية الطب إلى ميدان التحرير لمشاركة المعتصمين في الميدان، استعداداً للمشاركة في المسيرات المليونية التى أعلنوا بتنظيمها اليوم، وتضم نحو ١٠ ملايين مواطن. كما شهدت المحافظات والمدن الأخرى في مصر مظاهرات ومسيرات احتجاجية في المحلة الكبرى وحلوان ومحافظة بنى سويف، وفى قطاع البترول والغاز، وعمال الهيئة العامة للنظافة والتجميل بمحافظة الجيزة، وسائقوا ومحصلوا النقل العام، والمئات من عمال وموظفى شركة المياه، والعاملون في محطة كهرباء شمال القاهرة، والعاملون بوزارة التضامن الاجتماعى، واحتجاجات قطاع البنوك، واستمرت مظاهرات العاملين المؤقتين بالجهاز الرمركزى للتعبئة والإحصاء وأضرب العاملون بقطاع الأمانة العامة بوزارة المالية عن العمل، كما اعتصم الأطباء في القطاع الطبى، وتظاهر العاملون بمعهد بحوث أمراض العيون بالجيزة. ونظم آلاف العاملين في الجامعات المظاهرات، كما تظاهر العاملون بوزارة الثقافة والهيئة العامة للكتاب.

ورفض المواطنون خطاب الرئيس مبارك الذى أعلن فيه تفويض نائبه عمر سليمان بصلاحيات رئيس الجمهورية، والبيان العسكرى رقم (٢)، مؤكدين أن مطلبهم الأساسى، وهو رحيل الرئيس مبارك نفسه لم يتحقق.

وعقب صلاة الشهداء وصلاة العصر خرجت الأصوات تهتف: "إرحل إرحل" و "يا سليمان يا سليمان ..... موش عاوزينك أنت كمان".

وعقب إعلان الرئيس مبارك تفويض صلاحياته إلى نائبه عمر سليمان، انتاب المعتصمين حالة من الغضب لما أعلنه الرئيس، خاصة بعد انتشار "تسريبات" قبل الخطاب تؤكد أنه سيكون إعلان تنحى وليس تفويض صلاحيات. وقرر مئات من المتظاهرين التوجه إلى قصر العروبة. وبعد انتهاء الصلاة توجه ألوف آخرون إلى القصر، وردد المتظاهرون هتافات "ارحل .. ارحل"، و "حرية .. حرية" و "هوة يمشى .. موش حنمشى" و "الشعب يريد اسقاط النظام"[1].

وفى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق، قرر شاهد عيان لمحطة الجزيرة، أن حالة تأهب قصوى في محيط القصر الرئاسى بمصر الجديدة، وتعزيزات من الجيش على طول طريق صلاح سالم، ونشر قناصة الحرس الجمهورى فوق العمارات القريبة وفوق قصر العروبة. وأكد شاهد عيان أنه إذا حدث اى تهديد على للرئيس لن ينجو أى أحد من المتواجدين في محيط القصر الرئاسى بمن فيهم مؤيدى مبارك، إذ سوف يصوب الحرس الجمهورى نيرانه إلى رؤوس وصدور آلاف المتظاهرين حول القصر المحاط بالأسلاك الشائكة.

ويضيف شاهد العيان، أن الحرس الجمهورى سيضرب في النهاية، فهو سلاح منفصل عن الجيش ويتبع مبارك مباشرة، وأكيد كان حريصاً على إرضائه لضمان الولاء المطلق، خاصة بعد اتجاهه لتوريث ابنه الحكم رغم الرفض الشعبى. فالحرس الجمهورى الآن هو خط دفاعه الأخير بعد انهيار الداخلية والأمن المركزى وإعلان الجيش أنه لن يطلق طلقة واحدة ضد

١- السيد عبد الفتاح. ثورة التحرير، ص ص ٢٢٠- ٢٢٧.

المتظاهرين، فقد التزم الحرس الجمهورى بعدم ضرب النار على الثوار الذين حاصروا القصر الجمهورى.

ثم يأتي خبر عاجل من الجزيرة يقول: بلطجية يعتدون على المتظاهرين في محيط القصر الرئاسى. وفى الإسكندرية يتوجه المتظاهرون إلى قصر رأس التين(١).

وعلى الجانب الآخر قامت مشاجرات واختلافات وتشنجات بين أفراد الأسرة الحاكمة مبارك وجمال وعلاء وسوزان. وانضم إليها د. زكريا عزمى رئيس ديوان الجمهورية السابق، وأنس الفقى وزير الإعلام. ولقد تحدثت الصحف المصرية عن مشادة حادة قامت بين علاء وجمال مبارك، حيث اتهم الأول شقيقه الأصغر بأنه شوّه صورة والده الذى ظل يحكم مصر لمدة ثلاثين عاماً. وذكرت جريدة الأخبار أن اشتباكاً بالأيدى كاد يقع بين جمال وعلاء مبارك، ووصل الأمر أن علاء قال لجمال "لقد أفسدت البلد عندما فتحت الطريق أمام أصحابك رجال الأعمال، وهذه هى النتيجة"، وبدلاً من أن يتم تكريم أبيك فى نهاية حياته ساعدت على تشويه صورته على هذا النحو. وقد ترددت أصداء هذه المشاجرة بين ابنى حسنى مبارك في كل أرجاء القصر.

ووقع خلاف شديد بين مبارك ونجله جمال، إذ قال مبارك لابنه: أنت ورّطتنى، أنت وأمك، لقد قضيتما على تاريخى في مصر، وكان مبارك في حالة نفسية سيئة.

ولقد كانت رؤيتا جمال وعلاء على طرفى نقيض، فالأول يبحث عن بصيص أمل في البقاء في السلطة، أما الثانى – علاء – فكان يبحث عن

١- أحمد زغلول الشيطى. مائة خطوة من الثورة. ص ص١٤٢- ١٤٣.

"ترك الجمل بما حمل". ولما علم علاء بما استقر عليه جمال والفقى، انتفض غاضباً، ووجه الشتائم لجمال، واتهمه بأنه هو السبب فيما يجرى. وقد تعرضت السيدة/ سوزان مبارك للإغماء مرتين، ولكنها أحجمت عن ترجيح الوجهة التى يجب أن يشملها خطاب الخميس، مما يعنى الموافقة الضمنية لرؤية جمال والفقى. وفى خضم هذا الزخم صرخ مبارك في وجه الجميع: كفاية ... كفاية ... أنتم ضيعتوا شرفى العسكرى. ووضعت هذه الصرخة حداً لمشاجرة علاء وجمال، ولكنها في نفس الوقت كانت هى المعين إلى ترجيح كفة رؤى جمال والفقى. وكانت الجماهير تنتظر خطاب التنحى، ولما استمعوا لوعوده في الإصلاح. تفجرت الشعارات التى تقول "يسقط ... يسقط ... حسنى مبارك". وعند ذلك التقطت إشارات هى نداءات بتوجيه الثورة إلى القصر الجمهورى، كما خرجت مظاهرات فئوية اندلعت في محافظات مصر، والقطاعات الخدمية في الدولة ووزارات وهيئات.

واتجه المتظاهرون نحو القصور الرئاسية؛ فحاصروا قصر العروبة الرئاسى في القاهرة، وقصر رأس التين في الإسكندرية، إلى جانب محاصرة مقر الإذاعة والتليفزيون.

وفى ظهر يوم الجمعة قبل مبارك في سهولة ويسر التنحى، وقبل مبارك التنحى أو التخلى عن الحكم تليفونياً بعد أن استقر في شرم الشيخ بدون أى مناقشة، ولم يطلب تعديل مجرد كلمة واحدة من كلماته. وكان هذا الطلب قد اتفق عليه مسئولون بعد تشاور بينهم، هم: المشير حسين طنطاوى رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وعمر سليمان نائب رئيس الجمهورية، الذى فارق منصبه بعدها مباشرة، والفريق أحمد شفيق رئيس الوزراء وقتها الذى ترك منصبه هو الآخر بعدها بأسابيع.

وكل ما طلبه مبارك فقط تأجيل الإعلان بعض الوقت حتى يطمئن على ولديه علاء وجمال اللذين يستعدان للحاق به في شرم الشيخ في طائرة ثانية تسبق طائرة والدتهما السيدة/ سوزان – التى تأخرت بعدهما بعد الإقلاع مساء بسبب إصابتها بإغماءة مفاجئة في المطار، واحتاج الأمر إلى بعض الوقت لإسعافها. ولم يقبل هذا الطلب بشكل كامل، إذ تشاور المشير طنطاوى والفريق شفيق واللواء عمر سليمان، واستقر الاتفاق على أن يقوم عمر سليمان بالإتصال تليفونياً بالرئيس السابق لإبلاغه بأن الوقت قاطع، وتأخير الإعلان غير متاح، ولا مناص من الإعلان فوراً عن هذا القرار، ثم صدرت الأوامر من المشير إلى اللواء/ إسماعيل عثمان بإذاعة الإعلان، الذى تم تسجيله ظهراً بصوت عمر سليمان.

وأذاع البيان عمر سليمان، نائب رئيس الجمهورية في النظام السابق بعد أن تبين صعوبة إرسال وفد إذاعى إلى شرم الشيخ لتسجيله بصوت الرئيس السابق، معلناً تنحى وتخلى الرئيس محمد حسنى مبارك، واستغرق إلقاء البيان أقل من دقيقة واحدة.

وكان نص البيان الآتى: "أيها المواطنون ... في هذه الظروف العصيبة التى تمر بها البلاد، قرر الرئيس محمد حسنى مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد، والله الموفق والمستعان"، وبعدها اختفى سليمان من المشهد السياسى، وذكرت المصادر أن مبارك أصبح يعانى من شرود ذهنى في شرم الشيخ، فكان يستمع دون إجابات كثيرة، ويهز رأسه بأسف وأسى، ويغض على شفتيه بحزن بالغ، وكان الشخص الأقرب إليه هو نجله الأكبر علاء.

وعقب إعلان النبأ عمت أفراح كبيرة الشوارع المصرية في القاهرة والمحافظات، وفى البلاد العربية ، واحتضن المتظاهرون في ميدان التحرير

رجال الجيش المرابطين في الميدان، وعانقوهم وحملوهم على الأكتاف ... :

وبعدها صار لدينا رئيس سابق، واختفى عمر سليمان تماماً من المشهد السياسى، حتى وإن كان يذهب أحياناً إلى مقر عمله السابق ويجلس بعض الوقت في مكتب قديم له، حيث صار للمخابرات العامة رئيس جديد بعد ان تم تعيينه نائباً لرئيس الجمهورية.

وقد اتسمت الساعات الأخيرة من حكم مبارك بقسوتها عليه بسبب الاضطراب الذى عانى منه خلالها. وتكشفت هذه الأحداث عن تآكل حكم تظاهر بالقوة والصلابة إلى حد الغرور والعجرفة أحياناً. وتكشف أيضاً عن عجز وقصر في إدارة أزمة عنيفة وحادة. وتكشف كذلك عن ارتباك وتخبط في اتخاذ القرارات التى كان لا غنى من اتخاذها نتيجة لتصور المجموعة التى كانت تدير الأزمة أنها في مقدورها الحفاظ على النظام السياسى القائم بأقل قدر من التنازلات وأدنى حد من الخسائر. حتى يتم التقاط النظام أنفاسه وترتيب صفوفه ثم ينقض بعدها على الذين انتفضوا وشاركوا في مظاهرات واعتصامات طالبت برحيله وإسقاطه[١].

وقد وجه المجلس الأعلى للقوات المسلحة التحية والإعتزاز لأرواح الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فداء لحرية وأمن بلدهم ولكل المصريين. وقال المجلس انه ليس بديلا عن الشرعية التى يرتضيها الشعب. وجاء ذلك في البيان الثالث الذى أصدره المجلس عقب تنحى الرئيس مبارك عن منصبه. ووجه المجلس التحية والتقدير للرئيس محمد حسنى مبارك على ما قدمه في مسيرة العمل الوطنى حرباً وسلماً، وعلى موقفه الوطنى في تفضيل المصلحة العليا للوطن.

١- عبد القادر شهيب. أسرار الساعات الأخيرة في حكم مبارك. نقلاً عن جريدة الأخبار، العدد ١٨٤١١، بتاريخ ١٩ أبريل ٢٠١١، ص٩.

وكانت القوات المسلحة قد حذرت من المساس بأمن مصر وشعبها. وأكدت في بيان لها على ضرورة عودة الحياة الطبيعية وانتظام العمل بجميع المرافق حتى لا يضار المواطنون[١].

وفى اليوم الأول بعد تنحى الرئيس تقرر تخفيض فترة حظر التجوال لتصبح من منتصف الليل إلى الساعة السادسة صباحاً. وأصدر الجيش بيانه الرابع، وفيه أعلن أنه يلتزم بكافة المعاهدات التى وقعتها مصر – كما ناشد المصريين بالتعاون مع الشرطة، وقال: نتطلع لضمان الانتقال السلمى للسلطة في مصر، ومنع أى من المسئولين الحاليين أو السابقين من السفر إلى خارج البلاد. وقامت عناصر من الجيش بإزالة الحواجز من محيط ميدان التحرير، وبقى بعض النشطاء في الميدان إلى أن يقبل المجلس الأعلى للقوات المسلحة وثيقة الإصلاح التى وضعوها. وطالب منظموا الاحتجاجات في مصر، برفع حالة الطوارئ، كما طالبوا بالإفراج عن كل السجناء السياسيين، وحل المحاكم العسكرية، والمشاركة المدنية في العملية الإنتقالية.

هذا وقد أوكل إلى اللجنة القومية لتقصى الحقائق، وأكدت اللجنة بقيام أجهزة الأمن في أحداث ٢٥ يناير بإطلاق الأعيرة النارية والرصاص المطاطى، وكذلك القنابل المسيلة للدموع على المتظاهرين، وقام قناصة بإطلاق الرصاص من فوق أسطح مجمع التحرير، وفندق رمسيس هيلتون، ومبنى ووزارة الداخلية على المتظاهرين.

وأوضح تقرير اللجنة التى يرأسها المستشار عادل فودة رئيس مجلس القضاء الأعلى ورئيس محكمة النقض بأن معظم الإصابات جاءت في الرأس والرقبة والصدر والعين، وكشف اثنان من كبار رجال الشرطة السابقين أن حبيب العادلى وزير الداخلية السابق هو المسئول عن إصدار الأوامر بإطلاق

١- أخبار اليوم. العدد ٣٤٥٨، بتاريخ ١٢ فبراير ٢٠١١، ص١

الرصاص الحى على المتظاهرين. وتوافرت لدى اللجنة معلومات وأشـرطة فيديو حول السيارة التى دهست عدداً من المتظاهرين. وأدلى شـهود عيـان بمعلومات عن سيارة توقفت أعلى كوبرى أكتوبر وبها بلطجية كانوا يحملون قطع حديد وأسلحة بيضاء وجراكن بنزين، وأخبروهم بأنهم قاموا بحرق مقر الحزب الوطنى[١].

١- الأهرام، العدد ٤٥٣٧٨، في ٤ مارس ٢٠١١، ص١.

الفصل الثانى عشر

نتائج ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

نجحت الثورة المصرية ووصلت إلى مشارف الهدف، ولكنها لم تصل إلى مرحلة النصر التى تعنى تحقيق الهدف، وهو الحرية والديمقراطية وكفاءة الأداء وعدالة التوزيع، ومساره القانونى، فقد بانت سلبيات، تتمثل فى الملف الأمنى، وما زلنا نعيش فى انفلات أمنى، وفى المظاهرات الفئوية، واضطرابات العمال، وانتشار البلطجية وسيطرتهم على الحياة فى مصر وانتشار السرقة بالإكراه، والتجرؤ على منصات القضاء، وعلى أقسام الشرطة، وتهريب المساجين، ويبدو الجانب السلبى كذلك فى ما يعرف بالفتنة الطائفية.

ونورد النتائج التى ترتبت على الثورة فى الآتى:-

التأثير المتبادل بين الثورات العربية

إذا قيل أن ثورة ٢٥ يناير فى مصر قد أوحى بها عن طريق الثورة التونسية، فإن الثورة التونسية والثورات المصرية تأثرت بالمظاهرات المتتالية التى تصاعدت في بدايات عام ١٩١٦، وشملت العديد من الدول العربية، مثل: اليمن، والأردن، واليونان، وليبيا، وإيران، وقامت هذه الثورات والمظاهرات ضد كم هائل من الأسباب والخطايا التى تراكمت على امتداد ثلاثة عقود، وأثرت على الثورتين التونسية والمصرية .

أما المصريون فقد نظروا إلى الثورة فى تونس بإعجاب، وإكبار، وتمنوا لو تنجح مثل هذه الثورة فى بلاده. فهم يدركون أن الأوضاع متشابهة إلى حد كبير، فنظام ابن على لا يقل ديكتاتورية وفسادا عن نظام مبارك.

فمن المعروف أن الرئيسى التونسى المخلوع زين العابدين بن علـــى كـــان شخصية أمنية لا يعترف إلا بالأمن، والقيود الأمنية، والإجراءات الأمنيـــة. ولذلك كان نظام هذا الدكتاتور البائد من أشد الأنظمة العربية قمعا للمواطنين، ومصادرة لحقوقهم السياسية والإعلامية.

وكان زين العابدين لا يعترف بالحركات الإجتماعية ولا يحركه الشارع ... والحل عنده هو القمع، وهذا ما يميز طريقة وصوله إلى الحكم، حيث لم يستخدم طريقة سياسية فى ذلك، إنما انقلب على الرئيس بورقيبه الذى عينـــه ووثق فيه وجعله وزير، فخرج عليه وعزله وحدد إقامته.

وجاءت الأمة لتؤكد أن الفشل الاقتصادى والإجتماعى ناتج عن تشكيل ديكتاتورية سياسية، وأثبتت الثورة أن الإصلاحات الإقتصادية والإجتماعية لا معنى لها بدون اصلاحات سياسية. فالفساد السياسى ناتج فجوات لخدمة طبقة واحدة هى طبقة السياسيين والمحاسيب، بينما يتحول باقى الشعب إلى فقـــراء متفرجين ولذلك كانت الهيئة الشعبية الكبرى هى مـــدخل الـــشعب التونـــسى للتحرر من الخوف. ومن قبضة النظام القمعى.

وحينما تأكد نجاح الثورة التونسية، أصيب النظام المـــصرى الـــسابق بالهلع، وأكد النظام أن مصر ليست تونس، وأن ما حدث فى تونس لن يتكرر فى مصر، لأن الأوضاع مُختلفة بين البلدين، فمصر ليس بها ما يدعوا إلى الثورة. وكانت هذه التصريحات مستقرة فى الشارع المصرى، وربما حركت مشاعر الشباب فى اتجاه مزيد من الحماس. فلربما تكون الأوضاع فى مصر أكثر سوءاً من مثيلاتها فى تونس(١).

وإذا كانت الثورة التونسية هى التى أوعزت بقيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فى مصر، فإن ثورة مصر كانت نبراساً لثورات كثير من الـــدول العربيـــة،

١- د. السيد أبو داود. الأمة فى مواجهة الإستبداد. جــ٢، ص ص٣٧٠- ٣٨٥.

فثورة مصر قامت فى ٢٥ يناير ٢٠١١، وقامت الثورة فى ليبيا فى ١٧ فبراير من نفس العام، وفى ٢/٢٠ قامت ثورة فى المغرب، تلتها ثورة فى سوريا فى ١٨ مارس ٢٠١١. ثم تلتها ثورات فى الأردن، والبحرين، والسعودية.

وبالرغم من تمكن بعض هذه الثورات من النجاح، فما زال بعد بعض قادة هذه الدول العربية فى موقف المسيطر على الموقف، وأرضى البعض الآخر شعوبه، وما زالت نار الثورة مشتعلة فى بعض الدول.

كما ألهمت ثورة ٢٥ يناير المصرية العديد من الدول العربية للقيام بثورات مماثلة، من شأنها تغيير العالم العربي إلى الأبد. ويبدو ذلك فى الآتى:-

١- افتتحت ثورة ٢٥ يناير المصرية، حقيقة تاريخية جديدة .
٢- قيل أنه إذا كانت الثورة الفرنسية قد نقلت العالم الأوروبي من العصور الوسطي إلى العصر الحديث، فإن ثورة ٢٥ يناير الشبابية المصرية، قد نقلت مصر والعالم العربي من عصر الظلم إلى عصر الحرية.
٣- عبر ستة أيام من قيام الثورة المصرية، قامت ثورة فى ليبيا، واستمرت الثورة ممتدة لمدة شهور مستخدمة فى ذلك طريق الكر والفر. وأخيرا وفى يوم ٢٢/٨/ ٢٠١١، وأثناء كتابة هذه السطور، أذيع خبر اقتحام الثوار طرابلس.
٤- نظم عشرات الآلاف من العراقيين مسيرات حاشدة ضد حكوماتهم للقيام بإصلاحات وإنهاء الفساد فى البلاد.
٥- احتشد فى اليمن وما زال حتى كتابة هذه السطور عشرات الآلاف من المتظاهرين المناهضين للحكومة بطريقة سلمية للمطالبة بتنحى الرئيس على عبد الله صالح من منصبه.

٦- سمحت سلطات البحرين للمتظاهرين بالنزول إلى الشوارع وعدم اعتراضهم خلال تجمعهم فى ميدان اللؤلؤة، وقرر ملك البحرين منح كل أسرة ٣٠٠٠ دولارا[1].

٧- نقلت وكالة أنباء (د. ب. أ) يوم ٢٠١١/٢/٥ خبرا من السعودية جاء فيه: وصلت توابع الأموال المصرية إلى السعودية - المملكة الأغنى نفطيا فى العالم - حيث أطلق ناشطون سعوديون حملة شعبية للمطالبة بإجراء إصلاحات جذرية فى بلدهم من بينها قيام مملكة دستورية، وذلك بسن دستور مكتوب يقره الشعب، ويقرر الفصل بين السلطات، وإجراء انتخابات تشريعية تحت إشراف قضائي مستقل ونزيه، كما ينص على احترام حقوق الإنسان، والتصريح بفصل مؤسسات المجتمع المدني، وإلغاء جميع أنشطة التمييز بين المواطنين، وإقرار حقوق المرأة، ومعالجة البطالة، والتوزيع العادل للبترول، واعتماد الشفافية، ومحاربة الفساد، وإجراء تنمية متوازية[2].

وشهد أنحاء الوطن العربى فرحة عارمة بعد رحيل مبارك، فقد وصف ديوان قطر قرار مبارك بالتنحى بأنه يشكل خطوة إيجابية هامة على طريق تحقيق تطلعات الشعب المصرى فى الديمقراطية والإصلاح والحياة الكريمة. وأعربت الإمارات العربية المتحدة عن ثقتها فى الحكام العسكرين الجدد فى مصر وقال صالح المطلق، نائب رئيس الوزراء العراقى فى نهاية حكم مبارك أنه يعتقد أن هذا هو مصير أى شخص يقف ضد إرادة شعبه وأضاف أنه يأمل أن يضمن الشعب المصرى انتقالا سلميا وسلساً ومنظما للسلطة في هذا الوقت الحرج.

١- المصري اليوم. العدد ٢٤٣٦، بتاريخ١٣ /٢/ ٢٠١١، ص١٩.

٢- انظر جريدة اليوم السابع. السبت ٢٠١١/٢/٢٦م.

وأعربت حركة حزب الله الشعبية اللبنانية عن شعورها بالفخر والإعتزاز بإنجازات ثورة مصر، وقالت إن إرادة الشعب وعزمه وثباته هو مفتاح القدرة على صنع المعجزات والإنتصارات لقضيته وأمنه. وفى قطاع غزة أطلق السكان الألعاب النارية وطلقات الرصاص فى الهواء ابتهاجا بسقوط مبارك.

وقد شهد ميدان التحرير في مدينة بنى غازى الليبية أول زواج على خطى المصريين، فقد عقد أول قران فى ظل الإحتجاجات والمعارك التى تدور فى البلاد بين الثوار والعقيد معمر القذافى. وجرى عقد القران فى ظروف مؤلمة، فعم العروس لم يمض على مقتله سوى عدة أيام، حيث قضى خلال اقتحام المتظاهرين لمقر كتيبة الفضيلة بوعمر فى المدينة، والتى تعد أحد أهم معاقل النظام الليبى العسكرى فى البلاد، وأعرب والد العروس على صالح لـ "العربية" عن أمله فى أن تستمر الأفراح فى سائر أنحاء البلاد، فيما رفض العريس فيصل محمد أن يعتبر عقد قرانه أمرا غريبا، وقال لـ "العربية" تعالوا كل يوم إلى الميدان وستشاهدون المزيد من الأفراح إن شاء الله. ويقول الذين حضروا مراسم القران فى الميدان أن فيصل وعبير باتا أشهر عروسين فى ليبيا كلها. وقال المأذون لـ "العربية": استغربت في البداية، لكننى شعرت بالسعادة بعد أن رأيت ملامح الفرح تعلو وجوه الحاضرين[١].

النتائج الاقتصادية

دخل الاقتصاد مرحلة الخطر. فقد حذر المجلس الأعلى للقوات المسلحة من تردى الأوضاع الإقتصادية التى تمر بها البلاد فى هذه المرحلة، فقد وصلت نسبة تدفق الإستثمارات إلى الصفر، وتراجع الدخل السياحى بنسبة

١- سمير الحفناوى. المرجع السابق، ص٢٦.

٨٠%، وأصبحنا نخسر يوميا ٤٠ مليون دولار أى ما يقرب من ٢٤ مليون جنيه نتيجة توقف الحركة السياحية، ووصل إجمالى الدين العام المحلى والخارجي إلى ١٠٨٠ مليار جنيه يمثل ٩٠% من إجمالى الناتج المحلى ..

ولقد توقفت العديد من المصانع بسبب الإضرابات والإعتصامات والمطالب الفئوية، ووصل إجمالى الخسائر فى هذا القطاع ما بين ١٠ و٢٠ مليار جنيه خلال الشهر الحالى وبداية الشهر المقبل[١].

وتعد البورصة مؤشرا لمدى ازدهار السوق وانكماشه وضعفه، وتتقلب البورصة بشكل ملحوظ ما بين الإرتفاع والانخفاض، فمنذ الأحد ٣٠ يناير ٢٠١١، وحتى الأربعاء ١٦ /٢٠١١/٢ أغلقت البورصة، وخسرت فى آخر جلستى تداول لها قبل الإغلاق ٦٩ مليار جنيه مصرى – أى ١١,٧ مليار دولار. وبنهاية اليوم قدرت خسائر البورصة بين ٧٢ مليار جنيه.

وفى خلال تعاملات الأربعاء ٦ يوليو ٢٠١١ انكسرت موجة الصعود، واستمرت ٤ جلسات بسبب التوترات السياسية التى تشهدها مصر، وحالة القلق التى سادت القاهرة بعد سماع انفجار تبين أنه ناتج عن اختراق طائرة لحاجز الصوت فى سماء القاهرة.

فقد اتجهت تعاملات المستثمرين العرب للبيع المكثف، وقام المتعاملون بعمليات بيع واسعة، وخسرت الأسهم ٧,٣ مليار دولار من قيمتها السوقية، وأغلق المؤشر الرئيسى للأسهم النشطة EGX30 على إنخفاض بنحو ٢,١% يصل إلى ٥٣٢٠ نقطة[٢].

١- رفعت فياض. حرام عليكم. أخبار اليوم، العدد ٣٤٧٣، بتاريخ ٢١ /٢٠١١/٥، ص١١.

٢- المصري اليوم. العدد ٢٥٨٠، بتاريخ ٧ /٧/ ٢٠١١، ص١.

وخلال العام الماضى حققت السياحة نموا كبيرا، وشكلت ما يقرب من ٤٥% من إجمالى صادرات الخدمات، و٢٠% من حصيلة النقد الأجنبى، ووصل دخل مصر من السياحة ١٥ مليار جنيه. وقال عضو المجلس الأعلى العسكرى مساعد وزير الدفاع للشئون المالية اللواء أركان حرب محمود نصر يوم ١٦ مايو ٢٠١١ أن الدخل السياحى للبلاد تراجع بنسبة ٨٠%، فمصر تخسر يوميا نحو ٤٠ مليون دولار نتيجة توقف الحركة السياحية، فالمظاهرات الأخيرة وما صاحبها من أحداث شغب ونهب وسلب وانفلات أمنى، وما صاحبه من أحداث الفتنة الطائفية فى إمبابة أدت إلى إلغاء العقود السياحية وتراجع الأشغال بنسبة ٢٠%، وأغلقت الفنادق فى الإسكندرية، والغردقة، وشرم الشيخ، وبلغت جملة الخسائر حوالى ٧ مليارات دولار[١].

ومن القطاعات التى تأثرت بالإحتجاجات قطاع النقل حيث ارتفعت الخسائر إلى ١٥ مليون جنيه يومياً. فخسائر تعدد الإنفاق تبلغ مليونا جنيه، أما خسائر السكك الحديدية المصرية فتبلغ ٤ ملايين جنيه يوميا، فيما تبلغ خسائر الموانى المصرية ١٠ مليون جنيه يومياً.

وعلقت مصر للطيران وشركات أخرى رحلاتها من وإلى القاهرة، مع حلول اليوم الخامس من الإحتجاجات، وأفادت مصادر في القاهرة أن ١٥ طائرة خاصة غادرت المطار، وتوجهت معظمها إلى دبى، وعلى متنها كبار رجال الأعمال المصريين والعرب.

وأشارت مصادر نشرتها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (O.E.C.D.) أن سعر مصر تكلفت خسائر تقدر بـ ٩٠ مليون دولار بسبب قطعيا للإنترنيت الذى استمر لمدة خمسة أيام. وهذه الخدمات المعطلة تمثل

١- انظر. أخبار اليوم. العدد ٣٤٥٧، بتاريخ السبت ٥ /٥/ ٢٠١١، ص١٠.

٣% إلى ٤% من إجمالى الناتج المحلى – أى ما يماثل خسارة تقدر بـــ ١٨ مليون دولار يوميا[١].

وأكد رؤساء الشركات القابضة أن خسائر شركات قطاع الأعمال العام بسبب الأحداث بلغت ٨٠٠ مليون جنيه، ومن المتوقع وصولها إلـــى مليـــار جنيه. وصرح د. سمير رضوان أنه تم تشكيل لجنة وزارية تجتمـــع بـــشكل دورى لمتابعة الموقف الاقتصادى ، يوما بيوم.

وأضاف أن حجم الإحتياطى الأجنبى بالبنك المركزى وصل ٢٨ مليار دولار بعد أن كان ٣٦ مليار دولار منذ فترة ما بعد أحداث ثورة يناير. وقال أن معدل النمو الاقتصادى ما بين ١%، ٢%، وكان من المتوقع بلوغه ٦%. كما أن نسبة البطالة وصلت إلى ١٠%، وبلغ إجمالى عجز الميزانية ١٢٩٠ مليار جنيه، وهو عبارة عن ١٠٨٠ مليار دولار خلال عام ٢٠٠١/٢٠١٠؛ يضاف عليها قيمة العجز الجديد خلال الفترة الأخيرة والبالغ ٢١٠ مليـــارات جنيه.

وحذر من ارتفاع معدل الفقر في مصر، وقال أنه يقترب مـــن نـــسبة ٧٠%، منهم ٦% معدم، وأن متوسط دخل الفرد السنوى من الناتج المحلـــى بلغ ٢٧٧٠ دولارا. وأشار إلى أن الدين العام بلغ ٨٨ مليار جنيه يمثل ٧٣% من إجمالى الناتج المحلى، وإجمالى الدين العام المحلـــى والخـــارجى يبلـــغ ١٠٨٠ مليار حيث يمثل ٩٠% من إجمالى الناتج المحلى.

واستطرد أن كافة الموارد قد تأثرت سلبيا نتيجة توقف عمل المـــصانع خلال الفترة الماضية، وأن إجمالى الخسائر من هذا القطاع تقدر بـــ ١٠–٢٠ مليار جنيه خلال الشهر الجارى، وبداية الشهر المقبل[٢].

١– د. حسين عبد الواحد. ثورة مصر، ص ص٧٣– ٧٤.

٢– أخبار اليوم. العدد ٣٤٥٨، بتاريخ ٢٠١١/٢/١٢، ص٢.

وأكد اللواء محمود نصر أن هذه البيانات موثقة من الجهاز المركـزى للمحاسبات. وأبدى تفاؤلا نحو المستقبل. ويعود هذا التفاؤل إلى عـدم تـأثر البنية الأساسية للاقتصاد، فالمصانع لم تتعرض للتدمير، وبالتـالي سـتكون المهمة صعبة، وليست مستحيلة، وأن الفترة المقبلة تحتاج إلى العمل والإنتاج، وليس الكلام، حتى يمكن دفع عجلة الإنتاج والنهوض بالاقتصاد المصرى[١].

وقد حذر المشير محمد حسين طنطاوى رئيس المجلس الأعلى للقـوات المسلحة مساء الأثنين ١٦/٥/ ٢٠١١ في أول تصريحاته عقب الثورة مـن الأخطار الجسيمة التى تحيط بسيادة وأمن الوطن، ودعا إلى ضرورة العودة للعمل والتنمية في شتى المجالات بعد أن دخل اقتصادنا مرحلة صعبة ودقيقة تتطلب سرعة إنهاء كل مظاهر الاعتصامات والاضطرابات الفئويـة التـى نشيدها حالياً والتى أثرت على حركة السياحة وتدفق الاستثمارات إلى بلادنا مع عجز الموازنة إلى أرقام عميقة تقودنا إلى حياة الهاوية.

وكان المجلس الأعلى قد حذر في الندوة التى أقيمت منذ عدة أيام لبحث مشاكلنا الاقتصادية من ارتفاع معدل الفقر ليقترب إلى نـسبة ٧٠% عـلاوة على وصول اجمالى الدين العام المحلى والخارجى إلى ١٠٨٠ مليار جنيـه بما يمثل ٩٠% من إجمالى الناتج المحلى؛ بجانب أننا نخسر يومياً ٤٠ مليون دولار في قطاع السياحة؛ مع ارتفاع معدلات البطالة بصورة غير مسبوقة.

وعلى الجانب الآخر، تراجع احتياطي النقد الأجنبى مـن ٣٦ مليـار دولار إلى ٢٨ مليار دولار، وارتفع عجز الموازنة إلى ١٢٩٠مليار جنيه[٢].

١- الجمهورية. العدد ٢٠٩٥٩، الثلاثاء ١٧/٥/٢٠١١، ص٢.

٢- مجدى عبد العزيز. من مقال بعنوان: انتبهوا قبل فوات الأوان. أخبار اليـوم، العـدد ٣٤٧٢، في ١٥/٥/٢٠١١، ص٣٦.

وإزاء هذه الخسائر المنوه عنها أعلن الدكتور/ عصام شرف رئيس مجلس الوزراء في ٤ مايو ٢٠١١ إلتزام الحكومة باحترام جميع العقود من كافة الجهات والمستثمرين، وأشار إلى أن مصر لن تغير نظام الاستثمار الحالى الآن، إلا في حالة أن يكون البديل أفضل. وأضاف أن جميع أجهزة الدولة مطالبة بالإلتزام بسرعة إصدار التراخيص والموافقات اللازمة لتسهيل عملية الإستثمار، وتنفيذ المشروعات وفقاً للقوانين واللوائح المعمول بها[١].

ومن أجل تحقيق العدالة – عدالة توزيع الأجور – وإحلال العدالة مكان الظلم، قامت حكومة الثورة بوضع حد أدنى للأجور قدره ٧٠٠ جنيه شهريا، وجارى دراسة وضع الحد الأقصى للأجور، إذ المقصود لا الإنتقام والتشفى.

نتائج علمية

تجلى دور الاقتصاد الإلكترونى قبل وأثناء مسيرة الثورة، ولتحقيق التقدم العلمى، بحث الدكتور عصام شرف رئيس مجلس الوزراء، مع العالم المصرى أحمد زويل في ٢٥ مايو ٢٠١١ الخطوات التنفيذية للبدء في مشروعاته العلمية والتى تقام في مصر، ويشمل مشروع زويل للعلوم والتكنولوجيا، والذى يتضمن إنشاء مدينة وجامعة ومؤسسة علوم وتكنولوجيا، لا تهدف الى الربح، وإنما تستهدف النهضة بالبحث العلمى والإبتكارات والإرتقاء بمستوى التعليم والبحوث والتكنولوجيا وتوفير التخصصات العلمية الحديثة[٢].

نتائج سياسية

وحتى يوم ٤ فبراير ٢٠١١ فكر شباب الثورة أن تحصل على مكاسب رائعة. فقد توعد الرئيس أن لا يجدد ترشيح نفسه مرة أخرى، وألغى فكرة التوريث، وعين نائبا لرئيس الجمهورية وقام بتعديل الدستور، وشدد على

١- الجمهورية. العدد ٢٠٠٩٤٧، الخميس١٥/٥/٢٠١١.

٢ – الجمهورية ، العدد ٢٠٩٦٨ بتاريخ ٢٦/٥/٢٠١١ ص ١ .

ضرورة تنفيذ أحكام القضاء ببطلان عضوية الأعضاء المشبوهين في مجلس الشعب.

وخلال اجتماع بين ثلاثة من أعضاء المجلس العسكرى برؤساء التحرير ورؤساء المؤسسات الصحفية يوم الثلاثاء ١٥ فبراير ٢٠١١ قال أحد أعضاء المجلس العسكرى. تخلى مبارك عن سلطاته أنقذ البلد من كارثة لا يعلم مداها إلا الله. فقد كان يوجد رجال حول الرئيس ومعارضون له وكان يمكن أن يحدث صدام كما حدث للقذافى، وعلى صالح، وبشار. وتخليه عن رئاسة الجمهورية يحسب له[١].

وقد قدم مبارك تنازلات عديدة منها :

١- إقالة حكومة أحمد نظيف .

٢- تشكيل حكومة جديدة برئاسة أحمد شفيق.

٣- تعيين عمر سليمان نائبا للرئيس هو اللواء عمر سليمان .

٤- إقالة أحمد عز من التنظيم (بالرغم من أنه أجبر على تقديم استقالته كى يحفظوا ماء وجهه).

٥- إقالة جمال مبارك وصفوت الشريف من الحزب الوطنى .

٦- تم الإبقاء على الحزب الوطنى .

٧- نقل سلطاته إلى عمر سليمان وتعهده بعدم ترشيح نفسه في الإنتخابات.

ولكن كل هذه المحاولات كانت مجرد تسكين للشعب، وباءت بالفشل، وقد رأى البيت الأبيض والدول الغربية، والمتظاهرون المصريون، أن هذه الإصلاحات غير كافية للديمقراطية، وقد علق بعض رؤساء الدول أن مبارك

١- عبد القادر شهيب. الساعات الأخيرة في حكم مبارك. ص٥٦.

يخدع شعبه، وأن الهدف الرئيسى للثوار تنحى مبارك عن الحكم. كى يذهب كل أركان النظام، فوجوده يعنى أن الحكم الديكتاتورى ما زال قائماً، وأنه لا توجد ديمقراطية حقيقية .

لذلك وبعد خلع مبارك من الحكم استمر الاعتصام في ميدان التحرير حتى تتحقق كل مطالب الثورة.

وقد فتحت حكومة الثورة بابها للتقدم لقيام أحزاب جديدة، بحيث لا تقوم على أساس دينى أو طائفى، ولإثبات الجدية يستلزم توقيع ٥٠٠٠ عضو عند نشأة الحزب. وقد انتقد شباب ٦ ابريل حكومة ما بعد الثورة إذ أبقت وزراء في الحكومة تابعين لمبارك والحزب الوطنى سابقا وقالوا أنهم لن يقبلوا استمرار أى منهم، واعتبروا أن التغييرات الوزارية مجرد محاولة لتسكينهم، وطالبوا بحكومة تكنوقراط كفاءات وطنية.

وقد التقى المجلس العسكرى مع نحو ٤٠ من الكتّاب والأدباء والمثقفين، وأكد الجيش بأنه لا يريد السلطة، وأن مهلة الشهور الستة التى سيتولى فيها السلطة ستعدل خلالها مواد الدستور، وتجرى انتخابات برلمانية رئاسية حرة ونزيهة.

وشكلت الحكومة اللجنة الدستورية العليا المشكلة بتعديل المواد الدستورية برئاسة المستشار طارق البشرى. وجاء في التعديلات الجديدة التى أعلنها المستشار البشرى اختصار مدة رئيس الجمهورية على دورتين متتاليين مدة كل منهما ٤ سنوات، ولا يحق له الترشح مرة أخرى مدى الحياة، ولا يقل سن الرئيس عن ٤٠ أربعين عاما، وبدون حد أقصى، وتضمنت التعديلات أن يكون رئيس الجمهورية مصرياً ومن أبوين مصريين، وعدم حصول أى منهم على جنسية أخرى بخلاف الجنسية المصرية، وألا يكون متزوجاً من أجنبية .

وأوضح المستشار البشرى، أن الهدف من التعديلات في المادة (٧٦) هو التقليل أو التخفيف من الشروط التي يجب توافرها في الشخص المرشح لرئاسة الجمهورية، وتمثلت في ثلاث نقاط، هو أن يؤيد ٣٠ عضوا على الأقل من أعضاء مجلس الشعب المرشح لرئاسة الجمهورية، وأن يحصل المرشح على تأييد ٣٠ ألف مواطن من ١٥ محافظة، بما لا يقل عن ١٠٠٠ مواطن من كل محافظة، والنقطة الثالثة أنه يمكن لأحد الأحزاب القائمة وله عضو واحد على الأقل في أي من مجلس الشعب والشورى المنتخبين ترشيح عضو من أعضائه لرئاسة الجمهورية.

وأكد البشرى قيام لجنة قضائية بحتة للإشراف الكامل على الإنتخابات برئاسة رئيس المحكمة الدستورية العليا، وعضوية لجنة قضائية مناسبة من محكمة استئناف القاهرة ومحكمة النقض ومجلس الدولة والمحكمة الدستورية، كما تتولى جهات قضائية أعضاء أيضاً الإشراف على اللجان الفرعية.

وبشأن المادة (١٣٩) قال المستشار البشرى أن التعديلات أوجبت على رئيس الجمهورية أن يقوم بتعيين نائباً له خلال ٦٠ يوما على الأكثر من تاريخ مباشرة عمله، وإذا خلا منصب "النائب"، يقوم بتعيين نائب آخر على الفور، ويشترط به ما يشترط في منصب رئيس الجمهورية، من أن يكون من أبوين مصريين، وأن لا يكون هو أو أحد والديه حاملا لجنسية أجنبية، أو متزوجاً من أجنبية.

ويتضمن التعديل في المادة (١٤٨) والخاصة بحالة الطوارئ، أن يكون الإعلان عن حالة الطوارئ بعرضها على مجلس الشعب خلال سبعة أيام فقط، ويدعى المجلس فورا للإنعقاد إما ؟؟ موجوداً، وألا تزيد مدة حالة الطوارئ عن ستة أشهر، يقوم بعدها باستفتاء شعبى ويتقرر من خلالها مدّها. وبالنسبة للمادة (١٧٩) والخاصة بقوانين الإرهاب فقد تم إلغاءها كاملة. أما

المادة (١٨٩) والخاصة بتعديل الدستور فقد أضيف إليها فقرة تتعلق بطريقة تعديل وتغيير الدستور، واستبداله بدستور آخر .

وأعلن الدكتور البشرى أنه تقرر تعديل المادة (١٨٩) مكرر، التي تتعلق بالوضع الحالي وانتخابات مجلس الشعب والشورى، بحيث يجتمع المنتخبون من هذين المجلسين ويشكلوا لجنة تأسيسية من مائتى عضو لإعداد دستور جديد للبلاد خلال ٦ أشهر من انتخاب المجلسين ويكون مدة الإستفتاء عليه ٦ أشهر أيضاً، وبالنسبة لمجلس الشورى يقوم الناخبون باختيار ثلثيه بالإنتخاب حتى يتمكنوا من إختيار رئيس الجمهورية الذى سيقوم بدوره بتعيين الثلث الأخير لمجلس الشورى .

وأشار البشرى بأن الإستفتاء على الدستور الجديد سيكون بكافة محافظات مصر عن طريق بطاقة الرقم القومى، وليس من خلال الجداول الإنتخابية[١].

وكان هذا التعديل أول خطوة نحو الديمقراطية، ونأمل أن يصدر الدستور الجديد، فقد زاد المطالبون بطلباتهم بوضع دستور جديد يكون بمثابة عقد اجتماعى جديد تتحدد فيه بوضوح مختلف المستويات والواجبات والحقوق والالتزامات الواجب الوفاء بها من جانب الحكومة والشعب حتى نستطيع بلوغ الأهداف والمقاصد العليا للوطن. وتلك أمور تتطلب مشاورات ومناقشات مستفيضة وحوارات واسعة لتبادل الرأى والمشورة قبل الصياغة التى تسبق الطرح على الرأى العام تمهيداً للذهاب إلى التصويت في صناديق الإستفتاء.

ونأمل أن يجمع الدستور الجديد بين كون الدينى الإسلامى هو الدين الرسمى للبلاد، والمواطنة، وقد وعد المجلس العسكرى بإجراء انتخابات

١- د. الحسينى الحسينى عدى. المرجع السابق، ص ص٢٤٩- ٢٥١.

مجلس الشعب والشورى، خلال شهر سبتمبر، وانتخاب رئيس الجمهورية بعدها بشهرين. وقد صدرت قرارات بهذا المعنى تفيد تنفيذ ذلك في المواعيد المقررة.

ودار حوار وطنى يوم ٢٠١١/٣/٣٠ بين د. يحيى الجمل نائب رئيس الوزراء وأحزاب المعارضة وممثلون من الشباب، وتمخض الإجتماع عن وضع برنامج إسكان يستهدف محدودى الدخل والشباب المقبل على الزواج، ووضع حد أدنى للأجور، وقد تم إصدار قرار بذلك وجعل الحد الأدنى للأجور ٧٠٠ جنيه وفى انتظار تحديد الحد الأقصى. وأوصى المتحاورون بتشغيل العاطلين، والحفاظ على حقوق مصر فيما يخص الأموال المودعة بالخارج.

وفى يوم ٢٠١١/٣/٣٠ صدر قرار بتعيين رؤساء الصحف ورؤساء تحرير جدد، ونتج عن ثورة ٢٥ يناير أن تشكلت حكومة د. عصام شرف، وكانت أول حكومة مصرية في التاريخ الحديث تأتى بناء على رغبة الجماهير(١).

وفى يوم الجمعة الموافق ٢٠١١/٤/٨ قرَّر الثوار القيام بمظاهرة مليونية أطلق عليها جمعة "المحاكمة والتطهير". وفيها يطالبون بسرعة محاكمة الرئيس السابق ورموز نظامه، وتطهير مؤسسات الدولة بقايا الفساد، إذ هم قد استشعروا تباطؤ في إجراءات تقديم الرئيس السابق ورموز نظامه إلى المحاكمة، واسترداد أموال الشعب المنهوبة، وكذلك العمل على تطهير مؤسسات الدولة من بقايا الفاسدين، إذ هو لا يتم بصورة سريعة وشاملة، وهذا يثير شكوكا في أن هناك محاولات للإلتفاف على أهداف الثورة، أو أن هناك حماية ما لرأس النظام السابق ورموزه.

١- الأهرام. العدد ٤٥٤٢٧، ٢٢ ابريل ٢٠١١، ص٣.

ويثير الدهشة في أن تظل المظاهرات المليونية في ميدان التحرير هى وسيلة التفاهم أو التواصل الرئيسية بين الثورة من جانبه، والسلطة ممثلة في المجلس الأعلى للقوات المسلحة والحكومة من جانب آخر. ويمثل هذا الحال خللا، جوهره أن الثورة والسلطة ممثلة في المجلس العسكرى والحكومة ينظران لبعضهما البعض، ويتصرفان مع بعضهما البعض كطرفين منفصلين، وليس كطرف واحد كما هو مفترض.

وياليت أن يتم ادماج الثورة في عملية اتخاذ القرارات السياسية، فهذا الإدماج يجعل الثوار يدركون الفرق بين المطالبة والتنفيذ، فهناك اختلاف كبير بين إشعال ثورة أو تنظيم مظاهرة، وإدارة دولة. ولذلك ينبغى على الثورة أن تتفق مع المجلس العسكرى والحكومة على آلية، أو وسيلة أخرى للتواصل والتفاهم. غير المظاهرات المليونية من ميدان التحرير .

وهكذا وجدنا الثورة تستخدم مع المجلس العسكري والحكومة الحالية نفس الوسيلة التى استخدمتها مع النظام السابق حتى أسقطته – وهى وسيلة الضغط بالميدان، أو الضغط بالشارع أو لغة التهديد من أجل تحقيق المطالب، أو الإسراع في خطوات التنفيذ .

ومع إعلان الثوار جمعة المحاكمة والتطهير حتى تسارعت الخطوات وتتابعت القرارات في ملف محاكمة الرئيس السابق ورموز نظامه .

وخلال الأسبوع المهلة الذى وعد به الثوار صدرت قرارات التحفظ على أموال وممتلكات الثلاثة الكبار: صفوت، وسرور، وعزمى، ومنعهم من السفر، وشكلت لجنة قضائية لبحث صحة البلاغات المقدمة حول ثروة الرئيس السابق.

وفى ٢١ ابريل ٢٠١١ قضت محكمة الأمور المستعجلة بالقاهرة رفع اسم الرئيس السابق حسنى مبارك وزوجته وصبورهما من جميع الشوارع

والميادين وكل منشآت الدولة، وذلك لتسببهما في إفساد الحياة الزوجية طوال سنوات حكم مبارك[1].

نتائج امنية

لم يفكر الرئيس في مخاطبة شعبه إلا في مساء اليوم الخامس للمظاهرات، وبعد أن انهارت الشرطة وانسحبت من الشوارع، وحدث فراغ وانفلات أمني كبير، وحرقت أقسام الشرطة، واقتحمت السجون، وانتشر البلطجية يسرقون وينهبون، ويخرجون ويروعون الآمنين في جميع أنحاء البلاد، وبعد أن اتخذ قرار نزول الجيش بالشارع، وبعد أن ارتفعت أصوات في الفضائيات تطالب مبارك أن ينزل مخاطبا إلى شعبه، وحتى ليلتها لم يكن قد استقر على رأيه فى اختيار نائب له .

وقد أسفرت الثورة عن ٨٤٦ قتيلا، عدا الآلاف من المصابين، ومع ذلك نقول: ليس هناك ثورة بدون ضحاياً، ثم أين تلك الأرقام من أرقام ضحايا الثورة الفرنسية، وأرقام ضحايا ثورة ليبيا ضد القذافى – وثورة الشعب السورى ضد بشار الأسد.

وقد لعب فلول الحزب الوطنى والذى حصل الكثير من أعضائه مكاسب – دورا كبيرا، فى الإنفلات الأمنى وظهور البلطجية، وقد غضب الناس من أعمال البلطجة والبلطجية، قطاع عريض تربوا خلال الثلاثين عاما الفائتة في عهد النظام السابق، وقد استخدموا المعارك القذرة بداية من فروع المعارضين، ورفض المظاهرات المعارضة، ونهاية بتزوير الإنتخابات السابقة، وهم يشعرون أن أى حكم ديمقراطى يعنى القضاء عليهم.

١– محمد أبو الحديد. مأزق الثورة مقال بجريدة الجمهورية. العدد ٢٠٢١٩، بتاريخ السبت ١ ابزيل، ٢٠١١، ص٤.

ففى يوم الأحد ٢/١٣/ ٢٠١١ قدم عدد من المحـــامين بلاغـــات الـــى النائب العام، ضد حسنى مبارك رئيس الجمهورية السابق – وحبيب العادلى وزير الداخلية السابق للمطالبة بضبطهما وإحالتهما إلـــى محاكمـــة عاجلـــة والتحقيق معهما في تهم إطلاق الرصاص على المتظاهرين وسحب قـــوات الشرطة من الشوارع، لإحداث الفوضى في الـــبلاد، وتحـــريض البلطجيـــة والمسجلين خطر على تخريب البلاد.

وقدم محامى آخر ٣ بلاغات للنائب العام ضد حبيب العـــادلى، وزيـــر الداخلية السابق، واللواء إسماعيل الشاعر مساعد أول وزير الداخلية لقطـــاع أمن القاهرة، واللواء أحمد رمزى رئيس قطاع قوات الأمن المركـــزى، و٤ ضباط آخرين، واتهمهم بقتل ٣ من المتظاهرين يـــوم ٢٨ ينـــاير بـــإطلاق الأعيرة النارية عليهم بالرأس والقلب.

وقد قرر النائب العام المستشار عبد المجيد محمود حبس أربعة من كبار قيادات الشرطة السابقين ١٥ يوما على ذمة التحقيـــق بعـــد اتهـــامهم بقتـــل المتظاهرين. وهم اللواء اسماعيل الشاعر، والذى استدعته نيابة أمن الدولـــة العليا بعد اتهامه بالإنفلات الأمنى الذى شهدته القاهرة يوم جمعة الغضب في ٢٠١١/١/٢٨، واتهامه بإطلاق الرصاص على المتظاهرين. وكان الشاعر قد وضع قيد الإقامة الجبرية بالمعادى بعد إقالته من منصبه كمدير أمن للعاصمة.

كما تقرر حبس اللواء عدلى فايد مساعد أول وزير الداخليـــة ومـــدير مصلحة الأمن العام السابق. واللواء أحمد رمزى مساعد أول وزير الداخليـــة السابق ومدير قوات الأمن المركزى العام، واللواء حسن عبد الرحمن مساعد أول وزير الداخلية السابق، ومدير جهاز مباحث أمن الدولة الـــسابق، وقـــد أسندت إليهم النيابة تهم ارتكاب جرائم الاشتراك بطريق الاتفاق والتحريض والمساعدة على قتل المتظاهرين والاعتداء عليهم أثناء تظاهرهم السلمى يوم

٢٨ يناير ٢٠١١، وإطاعة وزير الداخلية السابق حبيب العادلى فيما أصدره من تعليمات بعدم تنفيذ الأوامر الصادرة من الحكومة للحفاظ على الأمن العام والإضرار الجسيم بأموال الدولة(١).

ويتمثل الإنفلات الأمنى في صرخة ضابط شرطة قائلاً أمسك حرامى، فتهرول الجماهير نحوه وتخلص اللص من يد الضابط، ويسقط على الضابط الغضب والأستهزاء، وأقول لهؤلاء الشباب، مفيش شرطة مفيش دولة ومفيش قانون يعنى مفيش دولة.

وفى يوم ٢٠١١/٢/٢٨ أصدرت المحكمة العليا العسكرية أحكاما قضائية ضد ٣٥ متهما في جرائم البلطجة من السرقة بالإكراه وخرق حظر التجول، وترويع المواطنين في عدد من المحافظات، وحصل بعض المتهمين على أحكام بالسجن تراوحت بين عامين وخمس سنوات، فيما عوقب آخرون بدفع غرامة تتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ جنيه(٢).

وفى مساء يوم ٢٠١١/٥/٤، قامت أحداث مؤسفة في شارع عبد العزيز بالعتبة بالقاهرة تبادل فيها مجموعة من التجار والباعة الجائلين إطلاق النار، وألقت الأجهزة الامنية بالإشتراك مع القوات المسلحة القبض على ١٤ شخصا، وتم إحالتهم إلى النيابة العسكرية التى بدأت تحقيقها في الواقعة. وفى الوقت نفسه يجرى البحث عن ١٠ آخرين أثاروا الشغب وقاموا بأعمال البلطجة، وقد أسفرت المشاجرة عن إصابة ٨٩ شخصا. وكانت الأحداث قد بدأت عقب قيام مجموعة من السماسرة من منطقة درب المهابيل بمحاولة جذب الزبائن من المحلات أثناء شراء التلفونات المحمولة، فاشتبك الطرفان مما دفع السماسرة إلى إحضار عدد كبير من الأشخاص المسلحين، واقتحموا

١- انظر: جريدة أخبار اليوم. العدد ٣٤٦٢ بتاريخ السبت ١٢ مارس ٢٠١١، ص١-٢.

٢- د. الحسينى الحسينى عدى. المصدر السابق، ص٢٦٠.

بعض المحلات، وحطموا واجهاتها، فضلا عن إتلاف بعض السيارات التي تصادف وجودها بشارع عبد العزيز، بالإضافة إلى إطلاق النار لإرهاب أصحاب المحلات ورواد المنطقة مما أحدث حالة من الرعب والفزع استمرت أكثر من ١٠ ساعات، حتى تمكنت قوات الأمن، بمشاركة القوات المسلحة من السيطرة على الموقف، وعاد الهدوء إلى الشارع وفتحت المحلات أبوابها[١].

وفى يوم الأحد ٢٠/٥/٢٠١١ أكد المتظاهرون رفضهم للتصالح، ووجهوا رسالة بأن الثوار راجعون يوم الجمعة ٢٧/٥/٢٠١١ إلى ميدان التحرير، في مواجهة دواعى العفو والمصالحة مع رموز النظام السابق، وأطلقوا على هذه الجمعة جمعة الغضب الثانية، وهو إعتصام مفتوح حتى محاكمة الرئيس السابق محاكمة علنية وشفافة هو ورموز نظامه.

ولقد أصبح الإنفلات الأمنى يروع قطاعا عريضا من جراء انتشار البلطجية وارتفاع معدل الجريمة. فلا يوجد أمن ولا أمان في الشارع، إذ تعرض أكثر من مواطن إلى حوادث على الطريق، فيتم إيقاف السيارة بأى طريقة ثم الإعتداء على الراكب أو السائق، وتسرق منه السيارة. ويحدث ذلك فى وضح النهار، وفى الساعات الأولى من الصباح وطوال اليوم، وهذا الأمر يتبعه فزع الناس.

ويكفى أن نشير إلى متوسط من يقتلون على يد قطّاع الطرق والمجرمين والعصابات يبلغ الأربعين مصريا في اليوم الواحد، هذا ولم تعد البلطجة حكرا على التشكيلات العصابية، بل أصبحت منهجا في الكثير من المرافق والهيئات العامة والخاصة، وفى بعض المطالب الفئوية غير العادلة ووصلت البلطجة إلى الساحة السياسية فرأينا فصائل ترفع لافتات دينية

١- الأهرام. العدد ٤٥٤٤١ في ٦ مايو ٢٠١١، ص٣.

تحاول فرض أفكارها على خلق الله بالقوة والإكراه والترويع بدءاً من واقعة قطع الأذن إلى هدم الأضرحة[١].

وفى الإسكندرية قامت مجموعة من البلطجية بمحاولة اقتحام قسم المنشية، والإستيلاء على سيارة ترحيلات لبعض المساجين محاولين تهريبهم، وقامت الشرطة بالتصدى لهم وضبط عدد منهم ورشق البلطجية القسم بالطوب والحجارة محاولين تحطيمه[٢].

وقد انتشرت ظاهرة البطالة وترعرعت في ظل النظام السابق، ونمت في عهد العادلى وزير الداخلية السابق، بأن جندت الوزارة ميليشيات من المسجلين خطر، وبعض العناصر الأمنية لتحقيق مصالح الحزب الوطنى وأتباعه، وحتى يكون البلطجى براحته تم الطعن على دستورية قانون البلطجة في عام ٢٠٠٦، مما أدى إلى بطلان ٤٥٠٠ حكم قضائى ضد البلطجية. وتفاقمت المظاهرة بوجود ١٠ ملايين قضية منظورة أمام القضاء. فاندفع البعض لأخذ حقه بيده أو باستئجار البلطجية. وظهرت على الساحة شركات الأمن والتى تخصص بعضها في تنفيذ هذه الأحكام بواسطة رجالها المسلحين مقابل عمولة.

وقد اكتمل السيناريو بالترويج للبلطجة عبر السينما لتصبح نصيحة الأم لابنها وهو متجه للمدرسة: قلمك في إيدك ومطوتك في جيبك، مقولة شهيرة يطبقها التلاميذ الصغار من باب المنظرة واستعراض القوة.

ولأن عدوى البلطجة انتقلت إلى فئات أخرى، فالقضية ليست فقط نصف مليون بلطجي أعلن عنهم وزير العدل، وإنما نحن بحاجة لتغيير ثقافة

١- أخبار اليوم. العدد ٣٤٨٦ بتاريخ ٢٣ ابريل ٢٠١١، ص٢٥.

٢- الجمهورية. العدد ٢٠٩٦٩ بتاريخ ٢٧ مايو ٢٠١١، ص٣ .

المجتمع وتوجهاته، وأحكام السجن التى تصدرها المحكمة العسكرية ضد البلطجية، واستخدام الطائرات إلى جانب الدوريات لرصد أعمال البلطجة لابد أن تتزامن مع مدة تأهيل البلطجي أخلاقياً ودينيا وتعليمهم حرفة ثم توفير فرص عمل لهم(١).

وقد استعان النظام بالبلطجية، فأخرجهم من السجون، ومن أماكن الإحتجاز في أقسام الشرطة، وتسليحهم، ثم يدفع بهم إلى تأديب الخصوم في الحرم الجامعى، وفى الإنتخابات، وحتى المظاهرات السلمية التى تفجرت في ٢٥ يناير ٢٠١١م. .

وقد اعتمد النظام السابق على وحشية الأمن وعلى البلطجية لإرهاب المتظاهرين ودفعهم إلى الهروب. وفى مساء جمعة الغضب ٢٨ يناير ٢٠١١ اختفى رجال الشرطة، وفتحت السجون، وقام البلطجية والهاربون من السجون بأعمال التخريب والبلطجة وإحراق الممتلكات الخاصة والعامة، علاوة على إحراق مبانى جهاز أمن الدولة في بعض المحافظات. وقد أدت هذه الوحشية إلى تعاطف الملايين من أبناء الشعب المصرى.

وقد وقعت أحداث متكررة نذكر منها اختطاف واغتصاب شابة من زوجها على مدى ثلاثة أيام، والمتهم فيها ٢٢ مجرما، وقضية اختطاف فتاة من والدها والشروع في اغتصابها من خمسة عاطلين في شبرا الخيمة، وقضية مصرع طالب ثانوى في سوهاج بيدى عاطل تعرض لوالدته وتحرش بها وهى تسير بجواره، فلما تصدى له عاجله بالطعنات في قلبه، وقضية القبض على فراش في مدرسة ابتدائية في حيّ الزيتون متلبساً بالإعتداء

١- هبة حسين. صناعة البلطجة. نقلا عن جريدة أخبار اليوم، العدد ٣٤٧٣، ٢٠١١/٥/٢٨. ص٧.

الجنسى على تلاميذها بعد انتهاء الدراسة، واعترافه باعتياده ذلك من زمان، وقضية اختطاف عروس من الفيوم لاغتصابها في الجيزة[١].

وطالب مدير مستشفى أم المصريين، د. عبد الرحمن مهدى المجلس الأعلى للقوات المسلحة بسرعة تأمين المستشفى. وقال د. مهدى إن أعمال البلطجة بالمستشفى باتت تروع المرضى والأطباء خاصة في قسمى الإستقبال والحوادث، حيث سرقوا أخيرا الأدوية المخدرة والسرنجات من هذين القسمين، وأضاف أن البلطجية لعبوا دورا هاما في الإنفلات الأمنى، فهم يقومون بالإعتداء على الأطباء والممرضات وتهديدهم بالسلاح الأبيض أثناء السرقة.

وتوقف قسم الاستقبال والطوارئ بمستشفى سيد جلال بباب الشعرية اعتبارا من يوم الإثنين ١٨ إبريل ٢٠١١ عن العمل بعد أن هاجم فجر أمس عدداً من البلطجية الذين حملوا السلاح الأبيض وزجاجات المولوتوف، وقد أدى ذلك إلى إصابة ٣ أطباء وعدد من أفراد الأمن. وقد توافد على المستشفى شباب الثورة الذين شاركوا في إزالة آثار العدوان، وتهدئة الأطباء والموظفين والعمال بالمستشفى[٢].

واعتدى البلطجية على رئيس محكمة وسرقوه، حيث قضت نيابة العجوزة بحبس أربعة بلطجية ١٥ يوما على ذمة التحقيق لقيامهم بالتعدى على رئيس محكمة وسرقته تحت تهديد السلاح أثناء سيره على المحور، إذ قام البلطجية الأربعة، ومنهم ثلاثة يعملون بمصنع "كريستال بشبرا الخيمة" والرابع سائق بالتعدى على رئيس المحكمة بالضرب، ثم قاموا بسرقة أمواله.

١- فتحى سالم. نبض الشارع. عمود في أخبار اليوم. العدد ٣٤٦٩، يوم السبت ٣٠ ابريل، ٢٠١١، ص٣٦ .

٢- أخبار اليوم. العدد ١٨٤١١ بتاريخ ٢٠١١/٤/١٢، ص١٠.

وعند سماع الأهالى صوت استغاثته توجهوا مباشرة إلى مصدر الصوت، وقاموا بمهاجمة البلطجية والسيطرة عليهم، وحماية القاضى الذى قدّم بلاغا ضدهم، فتم القبض عليهم، وبعرضهم على النيابة قررت حبسهم ١٥ يوما على ذمة التحقيق[١].

وتشير إحصاءات وزارة الداخلية إلى أن هناك مائة ألف بلطجى طلقاء في الشوارع يهددون الأمن، ويروعون الناس ويستغلون الظروف الصعبة التى تمر بها البلاد[٢].

ويقول سمير رجب في عموده، خطوط فاصلة "بجريدة الجمهورية" أنه يوجد لدينا الآن ثلاثة ملايين و١٠٠ ألف مواطن متعطلين عن العمل ... وهذا أمر يثير القلق، ويدعو للإزعاج ويجب أن نعلم – لقد قفز العدد إلى هذا الرقم لأسباب استثنائية نتجت عن ثورة ٢٥ يناير.

وأعلن اللواء أبو بكر الجندى رئيس الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء ارتفاع معدل البطالة من ١١,٩% خلال الربع الأول من عام ٢٠١١، في مقابل ٨,٩% خلال الربع الرابع من عام ٢٠١٠، وذلك نتيجة تباطؤ الأنشطة الاقتصادية خلال تلك الفترة، وأضاف أنه ينبغى أن نتحرك، ونتحرك بإيجابية، وأن نبذل أقصى الجهد في سبيل مواجهة تلك الأزمة العاتية وأزمة البطالة[٣].

وأقول لهؤلاء البلطجية والمخربين "اللى يحب مصر – لا يخرب مصر" وقد طمأن الأستاذ محمد حسنين هيكل[٤] من يشعرون بالقلق بسبب

١- أخبار اليوم. العدد ٣٤٧٢ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢١، ص٢٧.

٢- الجمهورية. العدد ٢٩٦٣ بتاريخ السبت ٢٠١١/٥/١٥، ص٣.

٣- سمير رجب. خطوط فاصلة. نقلا عن الجمهورية، العدد ٢٠٩٦٩، بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٧، ص ص١٦، ١٧.

٤- الأهرام. العدد ٤٥٧، بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٣، ص١.

التجاوزات والإنفلات الأمنى قائلا: أن ما يحدث أمر طبيعى ... فنحن في فترة تحولات شديدة، وسنأخذ وقتا حتى تهدأ الأمور، واستطرد: هناك ظروف صعبة وعلينا تحملها.

وقد صرّح د. يحيى الجمل نائب رئيس مجلس الوزراء السابق، بأننا نواجه ثورة مضادة، وأن هناك أيادى حديدية وراء هذه الثورة لا تريد لمصر أن تستعيد دورها الفكرى، وأضاف أن لديه ما يثبت أن فلولاً من النظام السابق تغذى هذه الثورة المضادة وتقارير عن بعض العقول المظلمة[1].

ويتساءل الناس إلى متى سيستمر ذلك؟ وهل هى مؤامرة من بعض رجال الشرطة عقابا للثورة التى أطاحت بهم. ويناشد المواطنون المجلس الأعلى للقوات المسلحة أن يعالجوا مسألة الأمن أولاً، فهى من أهم التعديلات الدستورية والإنتخابات الرئاسية والبرلمانية.

ولقد تقدم المستشار محمد عبد العزيز الجندى وزير العدل، بمشروع قانون يتضمن بعض أحكام قانون العقوبات، بإضافة باب جديد لترويع المواطنين وتغليظ العقوبات لكل من يمارس البلطجة لتصل هذه العقوبات إلى الإعدام إذا أدت إلى الوفاة.

وصرح اللواء صلاح الشربينى – مساعد أول وزير الداخلية لقطاع الأمن المركزى، بأن جهاز الأمن المركزى هو القوة الضاربة لمواجهة أعمال البلطجة والخروج على الشرعية، وأكد اللواء الشربينى أن الأمن المركزى قد استطاع على مدى شهر واحد فقط ضبط ١٥٥٥ متهما، و٦٦ قطعة سلاح آلى، و ١٧٢ قطعة سلاح أبيض، و١٥٥ فرد خرطوش، هذا وقد منح القانون ضباط الإدارة وجميع الضباط والأفراد استخدام القوة في اطار

١- انظر: الشروق الجديدة. العدد ٧٦٩، بتاريخ ٢٠١١/٣/١١، ص١.

الشرعية والقانون والدفاع عن النفس ضد البلطجية وليس لترويع المواطنين، وأضاف أنه يتم حالياً إعداد جميع الأفراد إعدادا بدنيا ونفسيا ومعنويا، ويركز على حقوق الإنسان والحريات للمواطن الحق في التعبير بالطرق السلمية(١).

ونظرا لأن البيوت أصبحت مهددة من قبل البلطجية واللصوص، كما تعرض قائدو السيارات والمارة لمضايقات في ظل غياب الأمن، فقد تشكلت لجان شعبية عند نواصى الشوارع.

الفتنة الطائفية

توقفت أحداث الفتنة الطائفية أثناء مسيرة الثورة، واعتقدنا أن الدنيا قد تغيرت بعد الثورة. ولكنها عادت ثانية في صور غير عاقلة، وبعيدة عن الحكمة، إذ قامت مظاهرة تحت اسم الإسلام أمام مقر البابا شنودة في العباسية، ولم يكن من العقل أن تعيش منطقة منشأه ناصر بالقاهرة ليلة دامية يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١١/٣/٨، بعد وقوع اشتباكات بين المسلمين والأقباط أسفرت عن مقتل ١٣ وإصابة ١٧٠ من الجانبين، حسبما أعلنت وزارة الصحة، ولم يكن من الحكمة أن تقوم فتنة طائفية في اطفيح بمحافظة حلوان، حين خرجت أعداد من المسيحيين للتعبير عن غضبها لما حدث لكنيسة الشهيدين بسيدى بشر الإسكندرية، إذ قام بعض المتطرفين من المسلمين بهدم الكنيسة على رؤوس أهلها احتجاجا على قضية حب فاشلة بين شاب مسيحى وفتاة مسلمة، ورأى أهل القرية الإنتقام من الفتاة وقتلها، واعترض الأب، فقتلوه، وتدخل ابن عمها ولقى نفس المصير وعقب جنازة القتيلين أشعل مجموعة من الغاضبين المسلمين النيران في كنسية القديسين أعتقادا منهم أن الشاب المسيحى اختبأ فيها(٢)، فقامت مجموعة من المسيحيين الغاضبين

١- نفس المرجع. ص١١.

٢- انظر، جريدة الشروق الجديدة. العدد ٧٦٩، بتاريخ ٢٠١١/٣/١١، ص٦.

وقطعوا طريق صلاح سالم، وأوقفوا حركة المرور وحطموا عددا من السيارات، وهو ما أغضب المسلمين الذين خرجوا للتصدى لهم، فوقعت اشتباكات استمرت ست ساعات استخدم خلالها الطرفان الأسلحة النارية والبيضاء وزجاجات المولوتوف والحجارة قبل أن يتمكن الجيش من السيطرة على الموقف.

ولم يكن من العقل أن تقع فتنة طائفية في مركز أبى قرقاص في المنيا يوم ٢٠١١/٤/٢١ وتم أحالتها إلى النيابة العسكرية. وناشد الحاكم العسكرى في المنيا كل الأطراف ضبط النفس ونبذ العنف، وحذّر من اتخاذ إجراءات رادعة ضد من تسول له نفسه زعزعة الاستقرار والمساس بالوحدة الوطنية.

ولم يكن من الحكمة كذلك أن تقتحم مظاهرة من الإخوة الأقباط مبنى التلفزيون، وتحطم أبوابه، ولم يكن من العقل أيضا أن يتبادل المتظاهرون رمى الحجارة وإطلاق الرصاص في ماسبيرو، فقد اعتصم الأقباط أمام ماسبيرو احتجاجا على الأحداث التى شهدتها منطقة إمبابة يوم السبت ٢٠١١/٥/٧، ونصبوا مخيماتهم أمام مبنى الإذاعة والتلفزيون، وهددوا استمرار اعتصامهم لحين الإستجابة إلى مطالبهم، وفى مقدمتها محاكمة قيادات السلفية المحرضة على حادث امبابة، مثل الشيخ حافظ سلامة وحسام البخارى، كما قال القس فلوباتير وقد ألقى الأقباط الحجارة على قوات الأمن المرابطة أمام التلفزيون متهمين الأجهزة الأمنية بالتواطؤ مع السلفيين[١].

وقد ردد المعتصمون بماسبيرو العديد من الهتافات، ومن بينها: مش ماشيين، مش ماشيين لحد ما تحاكموا السلفيين – "الكنيسة اتحرقت ليه – حبيب العادلى راجع ولا إيه" و "معتصمين معتصمين وقدام ماسبيرو مش ماشيين".

١- انظر: فاروق جويدة. من مقال بعنوان: قبل كل شئ أولاً. الأهرام. العدد ٤٥٤٥٥ في ٢٠١١/٥/٢٠، ص٧.

وقال القس فلوباتير أنه يرفض إساءة المتظاهرين الأقباط للرموز والقيادات المسلحة وقيادات الجيش والشرطة. وأضاف أنه ليس كل السلفيين مجرمين، فهناك السلف الصالح المعتدلين الذين يرفضون الإساءة للأديان السماوية واستطرد أن ٩٥% من المسلمين في مصر معتدلون ووسطيون ولا يقبلون الفتنة الطائفية[1].

هذا وقد انتظمت حركة المرور بشارع كورنيش النيل بمنطقة ماسبيرو يوم ٢٠١١/٥/٢١ بعد أن فض الأقباط اعتصامهم أمام مبنى الإذاعة والتلفزيون الذى استمر ١٣ يوما، وقاموا بجمع متعلقاتهم، ورفع الخيام الخاصة بهم فجر ٢٠١١/٥/٢٠. واوضح القمس ميتاس الغر كاهن كنسية مارمرقس وقائد الإعتصام، بأن هذا القرار جاء بعد الأفراج عن ٨ أقباط تم اعتقالهم خلال المشاحنات التى وقعت أمام الكنيسة العذراء بعين شمس، وقيام وزارة الداخلية بإعادة فتح ١٦ كنيسة بحلول يوم الأربعاء ٢٥/٥/ ٢٠١١[2].

وما سنورده تعبيرا عن قلة الأدب، وما يتناقض مع تعاليم الدين الإسلامى، أن يتجمع عشرات من المواطنين حول كنيسة السيدة العذراء بعين شمس رافعين لافتات تقول: "لا للكنيسة، رافضين دخول أى من الأقباط إليها. وفى تصريح قال القس "مرقص برتى" كاهن الكنيسة أنه حتى الآن لم يقم أى قداس بالكنيسة، ورغم حرص الأقباط الذين يقطنون بالمنطقة على عدم التواجد داخل أو خارج الكنيسة، إلا أن سكان المنطقة تجمعوا حولها لمنع دخول أى شخص إلى الكنيسة. كما تصدوا لوسائل الأعلام المختلفة رافضين تصويرهم، وكل ذلك قد تم قبل أن تعقد الجلسة العرفية ليلة أمس بحضور

١- الشروق الجديدة. العدد ٨٢٩، بتاريخ ٢٠١١/٥/١٠، ص١.

٢- الأهرام. العدد ٤٥٤٥٣ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٢، ص١.

كبار العائلة وعدد من قيادات الأمن والكنيسة. لبحث كيفية تهدئة الأمور، وتنفيذ القرار العسكرى والداخلية ومجلس الوزراء لإعادة فتح الكنيسة[١].

وفى يوم السبت ٥/٧ وقعت فتنة طائفية وأحداث شغب في كنيسة العذراء ومارينا بإمبابة والتى قتل فيها ١٥ مواطنا من أجل فتاة أسلمت، وإلقاء القبض على ٢٣ فردا وكان السبب الرئيسى في تلك الأحداث المواطن القبطى صاحب المقهى المجاور لكنيسة مارينا التى شهدت بداية أعمال العنف بين المسلمين والأقباط والتى بدأت باطلاق الأعيرة النارية، وأحيلت القضية إلى القضاء العسكرى، ومثل أمام النيابة ١٩٠ متهما .

وقد ألقت الشرطة القبض على ١٢ متهما جديدا في أحداث إمبابة وتشير التحريات إلى تورط الحزب الوطنى المنحل (ع. ل.) المقبوض عليه في تحريض شباب الأقباط على تجهيز زجاجات المولوتوف لإلقائها على المتظاهرين أمام كنيسة مارمينا بامبابة . ونفى المسلمون مسئوليتهم عن اندلاع الأحداث. إذ قد وصلتهم معلومات حول احتجاز كاهن كنيسة مارمينا لفتاة أسلمت وتزوجت من شاب مسلم، وأنهم قرروا التظاهر سلميا أمام الكنيسة للأفراج عن الفتاة، ثم فوجئوا بوابل من الأعيرة النارية وزجاجات المولوتوف تنهال عليهم من شباب مسيحى داخل الكنيسة وحولها ليتحول الأمر إلى اشتباكات بزجاجات المولوتوف والأعيرة النارية.

أما الشباب المسيحيون ومن بينهم سلفيون ملتحون، فقد هاجموا كنيسة مارمينا بالحجارة وزجاجات المولوتوف على الرغم من إعلان كاهن الكنيسة عدم صحة ما تردد من احتجاز الفتاة، فضلا عن نداء من أئمة المساجد من مكبرات الصوت داعين المتظاهرين من المسلمين، لكن دون جدوى فاضطروا للدفاع عن أنفسهم وقد أسفرت المشاحنات عن مقتل ١٢ فرد.

١- نفس المرجع. بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٢، ص٣.

وقد توصلت جهات التحقيق إلى معلومات تفيد وجود مخطط لإدخال مصر في حرب أهلية عبر إشعال أحداث الفتنة الطائفية. وأوضح المصدر على أن القائمين على هذا المخطط هم رموز الحزب الوطنى المنحل(١).

وقد استعدت محافظة الجيزة لترميم كنيسة العذراء التى احترق منها ٦ أدوار كاملة، والمحال التجارية والمنشآت المجاورة المتأثرة بحوادث اكتشفت بإمبابه على أن تبدأ فور انتهاء العمل الجنائى وأعمال الفحص(٢).

وقد كشفت هذه الأحداث أن المناطق الشعبية والعشوائية هى مصانع الفكر المتطرف ومأوى البلطجة والعنف، وبالرغم من الوعود الكاذبة التى ادعتها حكومات النظام السابق بتطوير هذه العشوائيات، إلا أن الدراسة أثبتت أن هناك ١٢٢١ منطقة عشوائية تنتشر بمحافظات الجمهورية. ويقطن بها أكثر من ١٥ مليون مواطن(٣).

وعقد نائب الحاكم العسكرى لقاء مع رجال الدين الإسلامى، وآخر مع رجال الدين المسيحى لتهدئه الأوضاع. كما حذرت القوات المسلحة من نفاذ الصبر لما يمر بالمجتمع من فتن وأعمال بلطجة. وتعرض لمؤثرات تسهم فيها قوى عديدة داخلية وخارجية، برفض هذه القوى وصول العمل الثورى إلى هدفه(٤).

وفى ٢٠١١/٥/٩ أصدر اللواء منصور عيسوى، وزير الداخلية تعليماته لضباط وأفراد الشرطة بمواجهة الإعتداء على أقسام الشرطة بكل حزم، والسماح لهم باستخدام السلاح للدفاع عن النفس ضد المعتدين، والدفاع عن

١- الشروق الجديدة. العدد ٨٢٩، بتاريخ ٢٠١١/٥/١٠، ص١.

٢- انظر الجمهورية. العدد ٢٠٩٥، بتاريخ ٢٠١١/٥/١٠، ص١.

٣- أخبار اليوم. العدد ٣٤٧١، بتاريخ ٢٠١١/٥/١٤، ص١.

٤- الاهرام. العدد ٤٥٤٢٧، الجمعة ٢٠١١/٤/٢٢، ص١ .

المنشآت طبقا للقانون. وقال مصدر أمنى أنه يتم التعامل للقضاء على أعمال البلطجة وضبط الخارجين على القانون وحائزى الأسلحة النارية والبيضاء، حيث تم ضبط أربعة هاربين من سجن وادى النطرون وأبو زعبل.

وانتهز فرصة الحديث عن البلطجية والفتنة الطائفية، وأناشد المسئولين في الدولة ضرورة العمل على توافر عمل لكل مواطن، فذلك يحد من الأحداث المنوه عنها، والتى نسمع عنها بين فترة وأخرىوقد فجر المشاركون في أولى جلسات الحكماء الدائمة بامبابة بأن منطقة إمبابه بها نحو ٥٠ ألف بلطجى مؤكدين أن السجن ليس حلاً، وإنما المطلوب هو عقد دورات تدريبية لهم لإعادة تأهيلهم ومشاركتهم الفعالة في المجتمع داخل المنطقة التى يسكنونها ما يقرب من ٢٥٠ ألف مواطن(١).

نتائج اجتماعية

يلفت الإنتباه أنه تم عقد قران وزفاف في ميدان التحرير لثلاثة من الشباب على ثلاثة مصريات، بما أضفى على الجو العام في مصر، وخاصة ميدان التحرير روح الفرحةوهذا يدل على أن هذه الثورة سلمية، إذ لو كانت بالسلاح والقنابل أو الزجاجات لما تجرأ أحد على أن يعقد قرانه في الميدان، ولما ذهب أقارب العروس لتخاطر ببنتها في يوم عرسها.

وبعد أن أعلن المأذون عقد القران تعالت أصوات المتظاهرين بالزغاريد والتصفيق، وأطلقوا الصفارات، وهتفوا الشعب يريد أسقاط النظام، وزاد حماس المتظاهرين فرددوا هتافهم الشهير "مش حنمشى .... هو يمشى" و "عايزين فلوسنا".

وقالت إحدى العروسات أن الاحتفال بالزفاف وسط الجيش أفضل بكثير من أى مكان آخر لأنها حقاً "ليلة العمر"، وأن فكرة التضامن مع الشعب

١- الأهرام. العدد ٤٥٤٥٥، بتاريخ ٢٠/٥/٢٠١١، ص١٠.

المصرى في احتياجاته فكرة جيدة، حتى ينظر المسئولون أخيراً لمطالب الشعب، وحتى يعرفوا أن الشعب المصرى يستطيع أن يصنع الفرحة من قلب المأساة، والطريف أن حشود المتظاهرين زفت العروسين على أنغام الأغانى الوطنية بينما هتف البعض: أهُم .. أهُم .. أهُم .. المصريين أهُم[١].

ونظرا للظروف الإجتماعية المتدنية، فقد منحت الدولة الموظفين والعمال علاوة سنوية مقدارها ١٥%. ولقد نظرت الحكومة بعين الاعتبار إلى أن العشوائيات هى مصدر ظهور البلطجية واللصوص، وأن إعاقة زواج الشباب وظهور ظاهرة العنوسة تعود إلى عدم توفر المسكن، ولذلك تم انتشار البناء القومى لإسكان الشباب يستهدف بناء مليون وحدة سكنية لإسكان الشباب على مدار خمس سنوات .

وقد شارك الشباب الشرطة عن طريق اللجان الشعبية. فقد ضرب الشعب المصرى أروع نماذج التحضر والرجولة، والمعدن النفيس، وشارك بكل طوائفه من مسلمين ومسيحيين شبابا وكبارا في حماية ممتلكاته العامة والخاصة وأمن مواطنيه وشوارعه وأعاد بشهامته ووقفته المشهورة السكون والهدوء لنفوس الناس من نساء وأطفال، فقد رفض الشباب دعاوى التخريب والترويع وتفرع في لجان شعبية، فهذا يمسك شومة، وآخر سلاحا أبيض، وآخر ماسورة، وآخر سلاحا مرخصاً يحمى به الأمن والشرعية ضد البلطجية والخارجين على الأمن والقانون. وأصبحت المساجد والكنائس وسائل للحشد والتعبئة لحماية الوطن. فهذه مجموعة تفتش سيارة أو توك توك أو موتوسيكل ... وأقاموا سدادات خشبية ... لقد غادر الشباب مساكنهم وسكنوا الشوارع، وقفوا فيها الليل والنهار[٢].

١- جريدة الشروق المصرية. العدد ٢٠٨٥٦، بتاريخ ٢٠١١/٢/٣، ص١٦.

٢- الجمهورية. العدد ٢٠٨٥٦، بتاريخ ٢٠١١/٥/١٣، ص٨.

وقد أكد د. زاهى حواس، وزير الدولة لشئون الآثار يوم الخميس ٢٠١١/٥/١٢ تعاون القوات المسلحة للمساعدة في تأمين المتاحف والمواقع الأثرية، وبدء انتشار شرطة السياحة والآثار ونوّه في نفس الوقت عن جهود شباب ثورة ٢٥ يناير في حماية المتحف المصرى يوم الثامن والعشرين من يناير أثر الإنفلات الأمنى الذى شهدته العديد من المدن المصرية.

وأضاف د. حواس أن ما حدث من انفلات أمنى يوم ٢٨ يناير وغياب الأمن عن الشارع المصرى لو حدث في أى مدينة أو عاصمة أوروبية لتعرضت متاحفها وأماكنها التاريخية للنهب والسرقة، إلا أن ما قلل من فداحة الإنهيار الأمنى هو وقوف الشباب المصرى حول أسوار المتحف المصرى إدراكاً منهم لأهمية ثروة بلادهم[١].

ولقد أدى الإنفلات الأمنى إلى انفلات أخلاقى، وأكد المستشار محمد عبد العزيز الجندى وزير العدل على أن الإنفلات الأخلاقى لا يتناسب مع حجم وقيمة ثورة ٢٥ يناير، والمقصود بالانفلات الأخلاقى هنا هو إثارة الفوضى، أثناء نظر بعض القضايا السياسية والجنائية لإرباك ساحات العدالة والقضاء واعون لذلك، ولن يسمحوا بتعطيل القضايا.

وقد صرح المستشار أحمد الزند رئيس نادى القضاة، بأن القضاة قد هددوا بتوقف المحاكم عن العمل أمام الهجمات العديدة على المنصة والإعتداء على القضاة. ووصف الزند ما يحدث تجاه المحاكم والقضاة هو انفلات أخلاقى، وجهل بكيفية التعامل مع حراس العدالة وحماتها الذين هم الحصن الحصين لحقوق المواطنين وأمنهم ونشر العدل بينهم.

١- الجمهورية. العدد ٢٠٩٥٥، بتاريخ ٢٠١١/٥/٣، ص١٦.

وأضاف أن الاعتداء على المحاكم والقضاة هو حدث جلل وخطأ جسيم، ينبغى أن يتصدى له المجتمع بأسره وينتفض له. ويستطرد الزند قائلاً أننا سنطالب بتطبيق القانون على المتطاولين على القضاة[1].

١- أخبار اليوم. العدد ٣٤٦٨، بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٣، ص١٥.

الفصل الثالث عشر

تعليقات أجنبية على ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

قال العالم الغربى أن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ هى أنبل ثورة حدثت في العالم، ووصفها آخرون بأنها أهم ثورة في تاريخ البشرية، فهى أعظم من الثورة الفرنسية والأمريكية، وبالفعل فقد حققت إنجازا لم يكن في الحسبان(١).

وأشاد زعماء عالميون بقرار مبارك التنحى بعد ثلاثين عاما قضاها في السلطة، أعلن الإنتقال إلى الديمقراطية سلمياً. فقد علق باراك أوباما على سقوط نظام مبارك وقال: إن تنحى مبارك يعكس إرادة الشعب، ودعا الجيش المصرى إلى ضمان الإنتقال إلى "ديمقراطية حقيقية" وأضاف أن تنحى مبارك ليس نهاية المرحلة الإنتقالية، ولكنها بداية لتحول مصر إلى الديمقراطية.

وأضاف أوباما: يجب أن نربى أبناءنا ليصبحوا كشباب مصر ألهمونا وسوف يلهمون العالم. والعدالة لا تتحقق بالإرهاب، والحرية تأتى بالإحتجاج السلمى، فقد شاهدنا محتجين يهتفون سلميا، ورأينا عسكريين لا يطلقون النار على شعب أعزل. لقد شاهدنا محتجون يهتفون سلميا لا فرق بين مسلم ومسيحى - كلنا بلد واحد، إن القوى الأخلاقية التى تحلى بها المصريون تُرجع فينا قوة غاندى(٢).

وأكد أوباما أن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون صديقة وشريكة لمصر، ومستعدة لتقديم أى مساعدة ضرورية للإنتقال إلى الديمقراطية. وشدد

١- الجمهورية. العدد ٢٠٨٥٦، بتاريخ ٢٠١١/٥/٣، ص١٠٦.

٢- انظر: سمير الحفناوى. ثورة الشباب المصرية بأقلام وعيون غربية، ص٩.

على أن الجيش المصرى يجب أن يرفع قانون الطوارىء، ويحيله مساراً واضحا لإنتخابات حرة[١].

وأشارت مجلة النيوزويك الأمريكية إلى أن غضب الشعب المصرى كان حاضراً بقوة قبل أحداث الثورة التونسية. وكان الداعى لهذه الإحتجاجات واسعة النطاق هى "صفحة كلنا خالد سعيد" على الفيس بوك. وعرضت كافة الأوضاع السيئة والمطالبة بتصحيحها بدءاً من وحشية الشرطة وانتهاء بالأجور المتدنية.

وأضافت المجلة أن قوى التغيير في مصر قد أثير غضبها بشدة عند تزوير الإنتخابات التشريعية الأخيرة، ولكن أحداث تونس هى التى حركت لهيبها وألمحت المجلة على الدور الكبير الذى لعبته مواقع التواصل عبر الإنترنيت، مثل: فوتيرو والفيس بوك، وحمل الناشطون لافتات مكتوب عليها منشورات يتم توزيعها في الشارع على الناس من أجل المشاركة في الحدث.

وعلقت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية على ثورة ٢٥ يناير بأن النظام المصرى يواجه نوعا جديداً من المعارضة غير المعتادة. بطله الشباب الغاضب الذى سأم من ضيق العيش وانتشار الفساد والقمع والقهر. وأضافت أن مبارك تبنى نهجا بارعا مع خصومه السياسيين على مدى عقوده فقد سمح بوجود معارضة بلا أنياب من المفكرين الليبراليين الذين خلقت حملاتهم الإنتخابية غير المجدية مواجهة للعملية الديمقراطية.

ونوهت النيويورك تايمز أن النظام تعامل مع جماعة الإخوان المسلمين على أساس أنها جماعة من المتشددين الذين يتسمون بالعنف، يمثل تهديدا على أمن واستقرار البلاد واستخدم ذلك لتبرير البوليسية. غير أن هذه العلاقة

١- انظر. حسين عبد الواحد. ثورة مصر، ص١٧٧.

الآثمة تعرضت لهزة عنيفة بقيام الثورة، والتى تمثلت في قيام عشرات الآلاف من الشباب المصرى الذى نزل إلى الشوارع بدون قائد مطالبة بوضع نهاية لحكم الرئيس مبارك الذى استمر ثلاثة عقود.

وألمحت الصحيفة إلى أن محمد البرادعى المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية، والحائز على جائزة نوبل للسلام كان الوجه العام لحركة تنشيط وتوحيد المعارضة المصرية المقسمة وغير الفعالة. وأنه قال أن حركة الشباب تحققت بجهود الشباب فقط الذى مكنهم استعدادهم للتصدى للقنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطى وقوات الشرطة[١].

وأبدى الكاتب والصحفى الأمريكى اليهودى الشهير توماس فريدمان في صحيفة نيويورك تايمز إعجابه بالثورة، وأشار إلى أن مصر تشهد حاليا تطورات سريعة مذهلة بعد انتصار ثورة التغيير ووصف في حوار مع شبكة تلفزيون س. بى إس بأنها فريدة، وأضاف أن ثورة ٢٥ يناير لم يسبق لها مثيل، فقد انطلقت من مبادئ حقيقية تنم عن رغبة الشباب في التحكم في مستقبلهم. كما أن ما حدث ينم عن تضحيات حقيقية، فقد لقى بعض الشباب مصرعهم من أجل تلك المبادئ. كذلك لم نرَ من قبل شيئا كهذا ينطلق من القاعدة إلى القمة.

وتلخص صحيفة لوس انجليوس تايمز أحداث ثورة ٢٥ يناير في الآتى:-

١- الأحداث في ساحة التحرير (مدهشة).

٢- إن توقيت الاحتجاج قد يكون تأثر بالثورة في تونس، وهو يعكس شعورا بالإحباط من النظام السياسى العقيم، والفاسد في مصر، ووحشية قوى الأمن، وغياب الفرص للشباب المتعلمين .

١- د. السيد عبد الفتاح. المرجع السابق، ص ص١٥- ١٦.

٣- لم يسجل أن تعبير بعد التعرض للحرية بهذا الشكل منذ سقوط جدار برلين[١].

٤- إن المشهد السياسى في عهد الرئيس مبارك هيمن على الحزب الوطنى خنق جماعات المعارضة وجماعة الإخوان المسلمين، ولكنه على ما يبدو يتغير بسبب حركة الشباب الجريئة، وبعض أعضائها مطالبون بدور أكبر في تشكيل الديمقراطية الحديثة[٢].

وذكرت صحيفة الواشنطن بوست أن ثورة ٢٥ يناير غيرت انطباع الأمريكان عن الإسلام، فالكثير من الأمريكيين كانوا عندما يسمعون لفظ مسلمين تذكروا طيارات تحلق فوق مركز التجارة العالمى، أو شباب يقوم بالإنتحار وتفجير نفسه، وبقيام ثورة ٢٥ يناير تحولت مساهمات المواطنين المسلمين الذين تحدوا بكل شجاعة الغازات المسيلة للدموع وهراوات الشرطة، وهم يهتفون سلمية .. وهم يسيرون في ميدان التحرير ويحملون القرآن والإنجيل جنبا إلى جنب، وهم يهتفون "مسلم ومسيحى كلنا مصريون".

وأكد الكاتب الأمريكى في مقاله عن أسباب المعارضة الشرسة لبناء المساجد في المجتمعات الأمريكية الأوربية، هو اعتقاد الناس أن مهاجما انتحاريا سيأتى للصلاة يوم الجمعة وسيتسبب في تفجير المحلات الخاصة بهم، لأنهم يعتقدون أن كلمة مسلم تعنى "أسامة بن لادن" واستطرد الكاتب: هذا لم يعد موجودا الآن لأن ٢١ سبتمبر لم يعد التاريخ الذى يشير إلى المسلمين، لأن ثورة ٢٥ يناير أصبحت هى التاريخ الذى يحظى بهذا الشرف[٣].

١- بوابة الأهرام المصرية. السبت ١٢ فبراير ٢٠١١ .

٢- اليوم السابع. الأربعاء فبراير ٢٠١١.

٣- صحيفة واشنطن بوست. في ١٧ فبراير ٢٠١١.

وعلقت محطة س إن إن الأمريكية على الثورة المصرية قائلة: أنه لأول مرة في التاريخ نرى شعبا عظيما كالشعب المصرى يثور هذه الثورة البيضاء العظيمة، ويقوم بعدها بتنظيف الشوارع وترميم المنشآت بنفسه[١].

وقد قلدت مظاهرات إحتجاجية في بعض الولايات الأمريكية – ما حدث في ثورة ٢٥ يناير المصرية، ففى ولاية ويسكونسين الأمريكية تظاهر العمال في مواجهة قوانين تضر بنقاباتهم ومصالحهم، وكانت شعاراتهم المرفوعة أهلا بكم في ميدان التحرير. وهم يقصدون بذلك، ميدان التحرير الذى كان بوتقة لصهر قوى المصريين جميعاً لحماية الثورة، والإستمرار فيها حتى تنحية مبارك عن السلطة. ذلك هو ميدان التحرير الذى أصبح ميدان الشهداء الذين دفعوا أرواحهم ثمنا لحرية يبصروا مستقبلها. وكان الأمريكيون المتظاهرون يرددون "لتكن مسيرتنا كمسيرة المصريين"، فلقد ولد ميدان التحرير هوية جديدة هى هوية الحرية والعدالة والتغيير والنهضة والكرامة.

ومما يدعوا إلى الدهشة في مظاهرات الطبقة الوسطى والعمال في ولاية وسيكوتسين أنهم رفعوا صورة حسنى مبارك وكتبوا تحتها اسم حاكم الولاية سكوت ووكر في إشارة إلى قوة الاستبداد والديكتاتورية التى عطلت طاقات المصريين وأوقفت تطورهم.

ولقد كانت كلمة سلمية ... سلمية .... التى أطلقها المتظاهرون في مظاهراتهم كانت في مواجهة قمع الشرطة والأمن لتقول إن الحق يمكن أن يهزم السيف، وأن الدم يمكن أن يقهر البغى والظلم .

وحلل المتظاهرين في أمريكا الوضع الإقتصادى على الطريقة المصرية، فهناك شلة هى التى تسيطر على الثورة وتتحالف مع السلطة.

١- حسين عبد الواحد. المرجع السابق، ص١٧٥.

وتمثل ركباً يستنزف طاقات البلد لصالح الأغنياء في مواجهة العمال والطبقات الوسطى الذين يتعرضون للظلم، بينما الفئات الغنية تكتنز الأموال دون أن تدفع للمجتمع الضرائب التى توازى ما يكسبونه، كذلك فإن عمليات النهب لصالح أمريكا تتم بالقوانين، وهو ما يعنى وجود فساد مقنن كما في مصر في عهود كثيرة، وخاصة عهد مبارك .

وهكذا فهذه هى المرة الأولى التى تصبح فيها الثورة المصرية السلمية التى قادها الشباب وشارك فيها الشعب، وكانت عنوانا لمطالب الحرية والكرامة والعدل الاجتماعى، نحن قبل ذلك كنا نستلهم النماذج الغربية، ونعتبر الثورة الفرنسية والأمريكية هي مصدر الإلهام لنا، أما اليوم فالثورة المصرية تؤكد أننا يمكن أن نكون نموذجاً للعالم(١).

ولقد استخدم حسنى مبارك كل وسائل القمع والترهيب، من أجل إخماد الثورة، ولذلك قال أوباما أن العدالة لا تتحقق بالارهاب، وحكم الشعب لا يكون بالقهر، وحرية الأشخاص مكفولة للجميع ولا تتأتى إلا بالإحتجاجات السلمية. ولقد قام الشعب المصرى بثورته السلمية، دون أن يستخدم سلاحاً، ولا ينهك عرضا، ولم يخرب أرضاً(٢).

وعلّق **ديفيد كاميرون رئيس الوزراء البريطانى** على ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ إن ما يسره فيما حصل في مصر أنه لم يكن ثورة إسلامية، ولم يقم بها متطرفون، هؤلاء أشخاص يريدون الحصول على الحرية التى تأخذها مُسلّما بها في بريطانيا. ويجب أن تستمر سلمية حتى تحقيق سيادة الشعب والديمقراطية الكاملة، والقضاء على الفساد ووصفها بأنها نموذج مثالى ينبغى أن يدرس في المدارس البريطانية، وناشد رئيس الوزراء البريطانى الجيش

١- سمير الحفناوى. ثورة الشباب المصرية. بأقلام وعيون غربية، ص ص٢٤- ٢٦.

٢- نفس المرجع، ص٣٥٧.

المصرى العظيم أن ينأى بنفسه عن السياسة ويستمر كمؤسسة عسكرية محترمة هدفها الأساسى الدفاع عن التراب الوطنى لمصر[١]. وأضاف أننا سنظل أصدقاء لمصر والشعب المصرى ومستعدون للمساعدة بأى وسيلة نستطيع، ودعا في ختام زيارته للقاهرة إلى بذل المزيد من الجهد لنتمتع بتمثيل أكثر انفتاحا وديمقراطية.

وأعلن وزير الخارجية البريطانى ويليام هيج[٢] أن التعبير الحقيقى عن مطالب الشعوب الإسلامية كان في ميدان التحرير بالقاهرة، وليس في جراند زيرو بنيويورك عام ٢٠٠١ وقال: إن تأثير ما يحدث من احتجاجات للحصول على الحرية والديمقراطية في الشرق الأوسط أكبر من هجمات ١١ سبتمبر، والأزمة المالية العمالية عام ٢٠٠٨، واصفا الاحتجاجات بأنها الأهم على الإطلاق خلال القرن الحالى. ووجه هيل حديثه إلى الحكومتين الليبية والسورية قائلاً: إن الحكومات التى تحاول قمع المطالب المشروعة لشعوبها ستفشل في ذلك ولن تبقى طويلاً، وأن فكرة الحرية لا يمكن أن تسجن خلف القضبان .

ومن أبرز المقالات التى نشرت في هذا الصدد مقال الصحفى البريطانى روبرت فيسك الذى تواجد في الأحداث، وهو بعنوان، رحيل طاغية ونشوة شعب، فقد رصد فيسك ردود فعل الشعب المصرى في القاهرة بعد إعلان تنحية الرئيس. يقول فيسك: فجأة انفجر الجميع بالغناء والضحك والبكاء ... فجأة ركع الكثيرون على الأرض وبدأوا بتقبيلها بدأ البعض الرقص، والبعض شكر الله على تخلصه من الرئيس. فلقد رحل الرئيس العجوز، ولم يسلم السلطة لنائبه ولكن للجيش .

١- الأهرام. العدد ٤٥٤٤١، الجمعة ٢٠١١/٥/٦، ص١.

٢- أخبار اليوم. العدد ٣٤٦٢، في ٢٠١١/٣/١٢، ص١.

ويعلق فيسك: إذا كانت مصر أم الدنيا، فالثورة هى أم الثورات. وهـذا ليس مجرد كلام .... فعلى طريقة الثورة المصرية: تظاهر مئات العمال في ولاية ويسكونسين الامريكية لليوم الخامس على التوالى ضد مشروع قـانون للحد من قوة النقابات العمالية، وحقها في الإضراب، ورفـع المتظـاهرون لافتات كتب عليها المصريون علمونا "وحاربوا كالمصريين، حتى يـشجعوا سكان الولاية على البقاء والصمود، مثلما فعل الثوار في مصر.

وعلقت صحيفة وول ستريب جورنال البريطانية على مصر الجديـدة بأنها أفضل فرصة منذ اعتداءات ١١ سبتمبر لتفسير العالم العربى المتصلب، ويجب أن ينتهزها المصريون وأصدقاؤهم وذكرت أن ثورة الشباب قد فتحت الباب أمام دول أخرى بالمنطقة وهزت منطقة الشرق الأوسط بأسرها، بـل وجعلت الأنظمة العربية الأخرى باتت على حافة الهاوية حيث تمكن هـؤلاء الشباب المصريون من إجبار رئيسهم على التنحى بعد ثلاثين عاما من الحكم.

وأضافت الصحيفة أن الثورة المصرية كانت بمثابـة الدفعـة الأولـى للإطاحة بالفساد في كافة أجهزة الدولة. فقد خرج معظم المـوظفين بـشتى المؤسسات الحكومية احتجاجاً على ظلم وفساد رؤسائهم فـي العمـل. كمـا تظاهر المئات من الأئمة ضد شيخ الأزهر لأنه ظل بجوار رئيـسه مبـارك حتى الساعات الأخيرة له في الحكم .

وعلقت صحيفة الفاينفشيال تايمز البريطانية بأن الشعب اكتشف سلطته على بلاده يوم ١١ فبراير، وأشادت بثورة الشباب في ٢٥ يناير وقالـت: إن ثورة الشباب في مصر. كانت مثل القطار الذى يتحرك بسرعة فائقـة ودون قائد ، وكان هذا جمالها ودقتها .

ووصفت صحيفة الجارديان تحت عنوان مصر عـالم عربـى جديـد وشجاع – الثورة المصرية بأنها أنهت ثلاثين عاما من الديكتاتورية فـي ٣٠

ثانية وهى الرمز الذى استغرقه إعلان نائب الرئيس عمر سليمان نبأ تخلى حسنى مبارك عن منصب الرئيس وتسليم السلطة إلى المجلس العسكرى الأعلى وتمضى الصحيفة تقول: أن ما حصل بالفعل يعد لحظة تاريخية مهمة، فقد أعادت ترسيخ مكانة مصر كقائده للعالم العربى. والشعب المصرى في الصميم الأخلاقى لهؤلاء العالم .

وأضافت أن مصر سياسيا قد أصبحت شبيهة بتركيا ولكن المصريين من هذه الثورة لم يستقلوا فقط عن مبارك، ولكنهم أعلنوا استقلالهم عن الولايات المتحدة وحلفائها.

واستطردت أنه بعد ١٨ يوما من الإحتجاجات المتواصلة، قاوم خلالها الشباب المعتصمون في ميدان التحرير كل ما واجههم به النظام الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة من البلطجية واطلاق النار والاعتقالات إلى قطع خدمات الإنترنيت وشبكات الهاتف النقال وملاحقة وسائل الأعلام. ومع كل ذلك استطاع الشعب المصرى أن يوصل صوته في النهاية.

وتطلع الرئيس الفرنسى **نيكولا ساركوزى** Nicola Sarkozy إلى انتخابات حرة وشفافة لتحول مصر إلى بلد حر وديمقراطى. وتناولت الصحف الفرنسية موضوع ثورة ٢٥ يناير فقالت صحيفة ليبراسيون في افتتاحيتها أن أنصار الثورة المصرية وقبلها التونسية في أقل من شهر من مطلع ٢٠١١ بعث أكثر من رسالة على قدرة الشعوب العربية على تغيير حاليا وهى الشعوب التى وصفت بأنها غير جديرة بالديمقراطية لقرون عدة.

وأضافت الصحيفة أن ما حصل في كل من مصر وتونس كان بعيدا عن أى دعم خارجى بل ربما في أحيان كثيرة قوبل بتواطئ واضح وخفى من أجل إجهاض هذه الثورات.

وقالت مجلة لوبوان الفرنسية، في الحقيقة أن سقوط محمد حسنى مبارك كما سقط زين العابدين من قبل هو سقوط لشخصيتين كانتا على الدوام تمثلان ركائز المصالح الغربية في المنطقة العربية، حيث قدّم الرئيس المصرى كما قدّم الرئيس التونسى نفسيهما على اعتبارهما صمام الأمان ضد ما يسمى بخطر الأرهاب الإسلامى في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وأضافت المجلة بسقوطهما المتوالى في أقل من شهر، اتضح أننا أمام مرحلة جديدة أصبح الغرب ينظر فيها لرجال يتساقطون الواحد تلو الآخر بشكل دراماتيكى مثير للإنتباه[١].

وقالت المستشارة الألمانية: انجيلا كيرمل، في مؤتمر صحفى يوم التنحى، أشاطر الشعب المصرى فرحته، واليوم هو يوم سعادة عظيمة ودعت ميركل مصر إلى احترام معاهداتها مع إسرائيل، وقالت: أن على المسئولين من البلاد الآن أن يضمنوا أن تكون التطورات سلمية ولا رجعة فيها. وقال وزير الخارجية الألمانى، أتطلع إلى زيارة مصر، والحديث مع قادة الثورة.

واتفقت مجلة دير شبيجل الألمانية مع غيرها من صحف العالم الغربي مشيدة بقدرة الشباب في ميدان التحرير. وقالت إن رحيل الرئيس المصرى يمثل انتصاراً لهم وهزت البلاد رافضة الأستسلام: وأشارت المجلة الألمانية إلى أنه بتنحى مبارك فقد الغرب الطاغية، الأكثر تضليلا لهم، حيث لعب دورا بارزاً في الشرق الأوسط طوال العقود الثلاثة الماضية، ونفوذه بعيد المدى في العالم العربى، مما أدى إلى جعله لا غنى عنه حتى بات رؤساء الولايات المتحدة المتعاقبون وفرنسا ورؤساء وزراء بريطانيا يعملون على الإحتفاظ بعلاقات وثيقة معه.

١- سمير الحفناوى. ثورة الشباب المصرية، بأقلام وعيون غربية، ص٢٠٦.

وفى ايطاليا قال رئيس الوزراء سيلفيو برلسكونى Silvio Berlusconi: لا جديد في مصر فالتاريخ يجدد نفسه، فالشعب المصرى هو الذى يصنع التاريخ، ويغير النظام العالمى الجديد، كما كان دائما على مر العصور.

أما رئيس وزراء النرويج ستولتنبرج Jens stolestenberg: فقد قال: اليوم كلنا مصريون. وتمنى أن تعم الديمقراطية أجواء مصر بعد الثورة العظيمة التى شبهت بسقوط حائط برلين وأضاف: لدى كل الثقة أن الشعب المصرى هو وحده القادر على اختيار من يقوده في المرحلة المقبلة. وأشاد بالوعى المصرى ومدى رقى التظاهر السلمى. ووعد بأنه سيستمر في تأييد الشعب المصرى حتى يحقق كل أهدافه من بين ديمقراطية حرة تسعى للرفاهية والسلام.

وأكد رئيس وزراء النمسا "هينز فيشر Heinz Fischer" في حديث للتلفزيون النمسوى: أن الشعب المصرى أعظم شعب على وجه الأرض ويستحق جائزة نوبل للسلام عن العام الحالى. وأضاف أنه على العالم كله أن يتعلم من المصريين، كيف حققوا مطالبهم دون وعنف بشكل راقى، ويجب أن يتعلم العالم من المصريين حب الوطن وحبهم لبعضهم البعض، وخوفهم على بعض، وأن ما حدث في مصر لم يغير مصر فقط، بل سيغير العالم أجمع، فشكراً لشعب مصر. وأنهى حواره بأن قال إنه أعطى تعليمات لحكومة النمسا بأن تقدم أى مساعدات للمصريين، من مساعدات طبية لعلاج المصابين، ومساعدة أوربية في إعادة ترتيب أوراق الدولة الجديدة لمصر العريقة. وأعلنت سويسرا أنها ستجمد الأرصدة المحتملة للرئيس المصرى ومساعده.

وأعلنت مسؤولة العلاقات الخارجية بالإتحاد الأوربى **كاترين أشتون**: إن الاتحاد الأوربى يحترم قرار الرئيس حسنى مبارك اليوم بتنحيه عن السلطة بكونه استمع إلى صوت الشعب المصرى، وفتح الطريق أمام إصلاحات أسرع وأعمق. ومن المهم الآن أن يتم الإسراع بحوار يقود إلى حكومة مؤسسة تحترم تطلعات الشعب المصرى، وتحقق له الاستقرار، وقال بان كى مون الأمين العام للأمم المتحدة أنه على مصر الآن أن تجرى انتخابات حرة ونزيهة.

وأعرب **الرئيس الروسى ديمترى ميد فيديف** عن أمل بلاده في أن تتم العملية الديمقراطية في مصر في أسرع وقت، مع إقامة انتخابات نزيهة مؤكداً أن وجود مصر قوية وديمقراطية هو عنصر مهم لعملية السلام في الشرق الأوسط. وفى **طوكيو** عبّر رئيس الوزراء اليابانى، "**تاوكان**" عن احترامه لإرادة الشعب المصرى في التعبير، مفيدا أن ما حدث في مصر خطوة نحو الديمقراطية. وفى **أنقره** أعلن **وزير الخارجية التركى أحمد داوود أوغلان** أن: بلاده تأمل أن تؤدى استقالة الرئيس حسنى مبارك إلى تشكيل حكومة جديدة تستجيب لمتطلبات الشعب المصرى وتطلعاته .

وقال **مسؤول إسرائيلى** أن إسرائيل تأمل ألا يؤدى تنحى مبارك إلى أى تغيير في علاقتنا مع القاهرة. كما أبدى عدد كبير من الإسرائليين إعجابهم بالثورة المصرية[١].

١- جريدة اليوم السابع. الإثنين ٧ مارس، ٢٠١١م.

المراجع

أولا : المراجع العربية

١- ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. طبعة القاهرة الأولى.

٢- أبو حيان التوحيدى. الإمتاع والمؤانسة. الجزء الأول. اعتنى به وراجعه هيئة خليفة الطعيمى. بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٩م.

٣- أحمد حمروش. قضية ثورة ٢٣ يوليو. القاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٧٧.

٤- د. أحمد ثابت (محرر). حدود الإصلاح السياسى. القاهرة، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥- أحمد زغلول الشيطى. مائة خطوة منذ الثورة - يوميات ميدان التحرير. القاهرة، "بيروت" ٢٠١١م.

٦- د. أحمد عبد الله (محرر) وآخرون. الجيش والديمقراطية. القاهرة، مينا للنشر، ١٩٩٠م.

٧- د. إسماعيل على محمد. الإتجاهات الحديثة في علم الإجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

٨- الجبرتى. عجائب الآثار. طبعة القاهرة، ١٩٦٥م.

٩- الإمام الجوزى. أبى الفرج عبد الرحمن. أم الهدى. بيروت. دار الكاتب العربى، ١٤٣١- ٢٠١٠م.

١٠- د. الحسينى الحسنى معدّى. ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ - انتفاضة شعب وسقوط الفرعون. القاهرة.

١١- د. السيد الحسينى. علم الإجتماع السياسى. المفاهيم والقضايا، القاهرة، ط٥.

١٢- السيد أبو داود، الأمة في مواجهة الإستبداد - خبرات ثورة ٢٥ ينـــاير ٢٠١١. القاهرة، مكتب جزيرة الورد، ٢٠١١م.

١٣- السيد عبد الفتاح. ثورة التحرير - أسرار وقضايا ثورة الشباب - يوم لا تنساه مصر. القاهرة. دار الحياة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م .

١٤- الشهرستانى. نهاية الإقدام في علم الكلام. تحقيق الفريد جيوم.

١٥- الغزالى، أبو حامد. إحياء علوم الدين. القاهرة. طبعة دار الشعب.

١٦- القرطبى. الجامع لأحكام القرآن. طبعة دار الكتب المصرية .

١٧- أنور عبد الملك. المجتمع المصرى والجيش. بيـــروت، دار الطليعـــة، ١٩٧٤.

١٨- النويرى. نهاية الأدب. طبعة دار الكتب المصرية. د.ت.

١٩- د. جلال أمين. مصر والمصريون في عهــد مبـــارك. القـــاهرة، دار ميريت، ٢٠٠٩ .

٢٠- حسن شحاته سعفان. أسس علــم الإجتمـــاع. القـــاهرة، دار النهـــضة العربية، د. ت.

٢١- د. حسين عبد الحميد رشوان. الطفل دراسة في علم الإجتماع النفسى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ط٤، ٢٠٠٧ .

٢٢- حسين عبد الواحد. ثورة مصر - ١٨ يوما هزت العـــالم. دار أخبـــار اليوم، قطاع الثقافة، ٢٠١١م .

٢٣- خالد كاظم أبو دوح. التحولات العالمية الجديـــدة، والديمقراطيـــة فـــي المجتمع المصرى، رسالة ماجستير غير منشورة، سوهاج، ٢٠٠٤م.

٢٤- رشاد كامل. الصحافة والثورة. ذكريات ومذكرات، القـــاهرة، مكتبـــة الأسرة، ٢٠٠٢ .

٢٥- سعد الدين وهبة، النهب الثالث لمصر، من الانفتاح إلى الخصخصة. القاهرة، دار الخيال، ١٩٩٧.
٢٦- سمير الحفناوى. ثورة الشباب المصرية بأقلام وعيون غربية - الثورة التى هزت وجدان ومشاعر العالم - القاهرة، مكتب جزيرة الورد، ٢٠١١م .
٢٧- طارق حبيب. ملفات ثورة يوليو، شهادات ١٢٢ من ؟؟ ومعاصريها. القاهرة ، مركز الأهرام للتوعية والنشر ، ١٩٩٧ .
٢٨- عادل الجوهرى، فيدل كاسترو - الأب الروحى للثورة، ومحرر أمريكا اللاتينية. القاهرة، دار الكاتب العربى، ط١، ٢٠٠٧ .
٢٩- عبد الرحمن الرافعى، تاريخ الحركة القومية. طبعة القاهرة، ١٩٥٨.
٣٠- عبد الحليم قنديل. الأيام الأخيرة. القاهرة، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ .
٣١- عبد القادر شهيب. الساعات الأخيرة من حكم مبارك. القاهرة، اخبار اليوم، قطاع الثقافة، ٢٠١١م .
٣٢- عبد الهادى الجوهرى. أصول علم الإجتماع السياسى. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م .
٣٣- د. على الدين هلال. النظام السياسى في مصر بين إرث الماضى وآفاق المستقبل، ١٩٨٩- ٢٠١٠م .
٣٤- محمد إبراهيم الدسوقى. الغضب بين الدين والعلم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٨م.
٣٥- المستشار/ محمد أحمد رجب - ثورة رائدة. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٤م.
٣٦- محمد الطويل. برلمان الثورة. القاهرة. مكتبة مدبولى، ١٩٨٦.

٣٧- الإمام محمد عبده. الأعمال الكاملة. دراسة وتحقيق. د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق، القاهرة ،١٩٩٣ م .

٣٨- د. محمد علي محمد. أصول علم الإجتماع السياسي، السياسة والمجتمع في العالم الثالث، الجزء الأول، الأسس النظرية والمنهجية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠م.

٣٩- د. محمد عاطف غيث، تطبيقات في علم الإجتماع، الأسكندرية، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠.

٤٠- د. محمد عمارة. ثورة ٢٥ يناير وكسر حاجز الخوف. القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١١ .

٤١- محمود عبده. صدام حسين - مرحلة النهاية أم الخلود. القاهرة، دار الكتاب العربى، ط١، ٢٠٠٧.

٤٢- د. مريم أحمد مصطفى وآخرون، التغير الإجتماعى ودراسة المستقبل، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤ .

٤٣- د. مصطفى الفقى. من نهج الفكر إلى فكر الإصلاح. القاهرة، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢ .

٤٤- د. هالة مصطفى. انتخابات مجلس الشعب. ٢٠٠٠. القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، ٢٠٠١ ..

٤٥- د. وحيد عبد المجيد. ثورة ٢٥ يناير - قراءة أولى. القاهرة، مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع، ط١، ٢٠١١.

ثانيا - منظمات دولية وبرامج وخطب :

٤٦- برنامج العاشرة مساء، فضائية دريم - منى الشاذلى السبت ٢٠١١/٢/١٢ .

٤٧- منظمة العفو الدولية. التعذيب في مصر ١٩٨١- ١٩٨٣ أدلة منظمة العفو الدولية، ورد الحكومة المصرية عليها، أغسطس ١٩٨٥، Al Emlex, M. D. E. ١٢/٣/١٩٨٥

٤٨- تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٨ العقد الإجتماعى في مصر - دور المجتمع المدنى، ط١، القاهرة، مطبوعات البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة، مايو، ٢٠٠٨ .

٤٩- .... لعام ٢٠١١ تنمية الديمقراطية في عالم مفتت، نيويورك، مطبوعات برنامج الأمم المتحدة الإنمائى، ٢٠٠٢ .

٥٠- جمال عبد الناصر. خطب في المؤتمر بجامعة القاهرة، في ٣ ديسمبر، ١٩٥٣.

ثالثا - مواقع على الإنترنيت :

٥١- أحمد تمام. الأزهر يغلق أبوابه. أسلام أون لاين، ٢٣ يوليو، ٢٠٠١.

٥٢- أحمد زغلول الشيطى. بلاغة جديدة ٢٥ يناير ٢٠١١. في صفحة على موقع الفيس بوك.

٥٣- رياض حسن محرم. الجماعات السلفية الجهادية – وفقه التكفير
http, www.ahewar.org.

٥٤- محمد حسنين هيكل. برنامج العاشرة مساء، فضائية دريم، مساء السبت ٢٠١١/٢/١٢ .

٥٥- نرمين خفاجى. ثورة القاهرة الأولى. موقع الحوار المتمدن، العدد ٢٥٩٨، في ٢٧/٣/ ٢٠٠٩ .

٥٦- وفاء الغزالى، اختلاس أحلام أمة، أخبار اليوم ٣٤٧١، بتاريخ ٢٠١١/٥/١٤ .

57- http. www.net.vb.Show thread.ph. F.7t= 1554755.

رابعا - المجلات والكراسات :

٥٨- احسان عبد القدوس. شخصية الأسبوع نقلا عن مجلة روز اليوسف في ١٧ نوفمبر، ١٩٥٢ .

٥٩- أحمد مجدى حسنين. أين القيم. مجلة الديمقراطية، عدد ٤٢، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، ٢٠١١.

٦٠- حسنين توفيق إبراهيم. التعديلات الدستورية ومستقبل التطور السياسى الديمقراطى في مصر. كراسات استراتيجية، العدد ١٨٥، مركز الثقافة السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٨ .

٦١- حمادة حسنين. مجلة روز اليوسف، العدد ٣٧٩٨ في ٢٠٠١/٣/٣٠.

٦٢- د. عمرو الشبكى. الحركات الإحتجاجية في الوطن العربى. نقلا عن مجلة المستقبل العربى، العدد ٣٨٤، مركز الوحدة العربية، بيروت، فبراير ٢٠١١.

٦٣- محمد سعد أبو عامود. الوظائف الجديدة للدولة في عصر العولمة. نقلا عن مجلة الديمقراطية، العدد (٣) ٢٠٠٦ .

٦٤- وحيد القلش. الفن والثورة. مجلة الديمقراطية، ٢٥ يناير، العدد ٤٢، مؤسسة الأهرام، ٢٠١١.

خامسا - المجلات :

٦٥- مجلة أكتوبر ١٩٨١/١٠/٢٦

٦٦- روز اليوسف ٢٠١١/١/٢٩

٦٧- مجلة المصور في ١٩٩٩/١٠/١

سادسا - الجرائد :

٦٨- أشرف عبد المنعم. مقال بعنوان: ياما قلت الأهرام، العدد ٤٥٣٧٨ في ٤ مارس ٢٠١١ .

٦٩- رشاد غريب. يوم القيامة. نقلاً عن جريدة الفجر، العدد ٢٨٨ الخميس ٢٠١١/١/٢٧.

٧٠- رفعت فياض، حرام عليكم نقلاً عن أخبار اليوم، العدد ٣٤٧٢ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢١م .

٧١- سعد هجرس. مصر بعد مائة يوم .. ثورة. نقلاً عن جريدة الجمهورية، العدد ٢٠٩١ في ٢٠١١/٥/٢ .

٧٢- سمير رجب. خطوط فاصلة. نقلاً عن جريدة الجمهورية، العدد ٢٠٩٦٩ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٧.

٧٣- .... نقلاً عن جريدة الجمهورية، العدد ٢٠٩٧١ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٩.

٧٤- سمير أبو العلا. لا للبطالة المقنعة. نقلاً عن جريدة الجمهورية، العدد ٢١٠٠٧ بتاريخ ٢٠١١/٧/٤.

٧٥- فاروق جويده. يحيا شباب الحرية. نقلا عن جريدة الأهرام العدد ٤٥٣٥٠ في ٢٠١١/٢/٢ .

٧٦- فتحى سالم. نبض الشارع. نقلاً عن جريدة أخبار اليوم. العدد ٣٤٦٩ السبت ٢٠١١/٤/٣٠.

٧٧- عبد الرحمن الأبنودى. عبد الناصر ثائر. والسادات مغامر. ومبارك رئيس الصدفة ، اخبار اليوم، العدد ٣٤٧١ بتاريخ ٢٠١١/٥/١٤م .

٧٨- عبد العظيم حماد. الخطر والأمل. نقلاً عن جريدة الأهرام، العدد ٤٥٤١٣ بتاريخ ٢٠١١/٤/٨.

٧٩- عبد القادر شهيب. أسرار الساعات الأخيرة في حكم مبارك. نقلاً عن جريدة الأخبار، العدد ٤٨٤١١ بتاريخ ٢٠١١/٤/١٩.

٨٠- فاروق جويدة. من مقال بعنوان: قبل كل شئ - مصر أولاً، الأهـرام، العدد ٤٥٤٥٥ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٠ .

٨١- محمد حسنين هيكل. الثورة وصلت إلى مشارف المدن لكنها لم تبلغ مرحلة النصر، نقلاً عن جريدة الأهرام، العدد ٤٥٤٤٨ بتاريخ ٢٠١١/٥/١٣.

٨٢- محمد عبد القدوس. الرأى العام زعلان. نقلاً عن جريدة أخبار اليوم. العدد ٣٤٦٢ بتاريخ ٢٠١١/٣/١٢.

٨٣- محمد أبو الحديد. مأزق الثورة. مقال بجريدة الجمهورية، العدد ٢٠٩١٩ بتاريخ الخميس ٤/ ابريل / ٢٠١١ .

٨٤- د. نهى الزينى. مقالة في المصرى اليوم. بتاريخ الخميس ٢٠٠٥/١١/٢٤ م.

٨٥- هانى صالح. القطاع العام. نقلاً عن جريدة الجمهورية، العدد ٢١٠٠٤ بتاريخ ٢٠١١/٥/١ .

سابعا - الجرائد :

٨٦- الأهرام، العدد، ٤٥٣٥٧ في الجمعة ٢٠١١/٢/١١م .

٨٧- بوابة الأهرام المصرية. السبت ٢/١٢/ ٢٠١١م .

٨٨- الأهرام، العدد، ٤٥٣٥٠ في الجمعة ٢٠١١/٢/٢٤م .

٨٩- الأهرام، العدد، ٤٥٣٧٨ في ٢٠١١/٣/٤م .

٩٠- الأهرام، العدد، ٤٥٤٢٢ في ٢٠١١/٤/١٧م .

٩١- الأهرام، العدد، ٤٥٤٢٧ في الجمعة ٢٠١١/١/٢٢م .

٩٢- الأهرام، العدد، ٤٥٤٤١ في الجمعة ٢٠١١/٥/٦م .

٩٣- الأهرام، العدد، ٤٥٤٥٤ في الخميس ٢٠١١/٥/١٩م .

٩٤- الأهرام، العدد، ٤٥٤٥٥ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٠م .

٩٥- الأهرام، العدد، ٤٥٤٥٧ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٢م .
٩٦- أخبار اليوم، العدد ٣٤٥٨ بتاريخ ٢٠١١/٢/١٢م .
٩٧- أخبار اليوم، العدد ٣٤٥٦ بتاريخ ٢٠١١/١/٢٩م .
٩٨- أخبار اليوم، العدد ٣٤٥٧ بتاريخ ٢٠١١/٥/٥م .
٩٩- أخبار اليوم، العدد ٣٤٦٨ بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٣م .
١٠٠- أخبار اليوم، العدد ٣٤٦٢ بتاريخ ٢٠١١/٣/١٢م .
١٠١- أخبار اليوم، العدد ٣٤٧٣ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٨م .
١٠٢- أخبار اليوم، العدد ٣٤٧٢ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢١م .
١٠٣- أخبار اليوم، العدد ٣٤٨٦ بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٣م .
١٠٤- الجمهورية، العدد ٢٠٨٥٦ بتاريخ ٢٠١١/٢/٣م .
١٠٥- الجمهورية، العدد ٢٠٨٦٣ بتاريخ ٢٠١١/٢/١٠م .
١٠٦- الجمهورية، العدد ٢٠٩٢٩ بتاريخ ٢٠١١/٥/١٣م .
١٠٧- الجمهورية، العدد ٢٠٩٧٤ بتاريخ ٢٠١١/٥/٥م .
١٠٨- الجمهورية، العدد ٢٠٩٥٢ بتاريخ ٢٠١١/٥/١٠م .
١٠٩- الجمهورية، العدد ٢٠٩٥٥ بتاريخ ٢٠١١/٥/١٣م .
١١٠- الجمهورية، العدد ٢٠٩٥٩ بتاريخ ٢٠١١/٥/١٧م .
١١١- الجمهورية، العدد ٢٠٩٦٣ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢١م .
١١٢- الجمهورية، العدد ٢٠٩٦٨ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٦م .
١١٣- الجمهورية، العدد ٢٠٩٦٩ بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٧م .
١١٤- الدستور، العدد ١٢٣٢ بتاريخ ٢٠١١/٢/٩م .
١١٥- الشرق الأوسط، العدد ١١٧٥٩ في ربيع الأول ١٤٣٢هـ، ٧ فبراير ٢٠١١ .
١١٦- الشعب ، العدد ٦٣٢ بتاريخ ١٩٩٢/١/١

١١٧- الشروق الجديدة. العدد ٧٣١ بتاريخ ١ فبراير ٢٠١١م.
١١٨- الشروق المصرية. العدد ٢٠٨٥٦ بتاريخ ٣ فبراير ٢٠١١م.
١١٩- الشروق المصرية. العدد ٧٠٦ بتاريخ ٧ فبراير ٢٠١١م.
١٢٠- الشروق الجديدة. العدد ٧٠٧ بتاريخ ٨ فبراير ٢٠١١م.
١٢١- الشروق الجديدة. العدد ٧٣٩ بتاريخ ٩ فبراير ٢٠١١م.
١٢٢- الشروق الجديدة. العدد ٧٦٩ بتاريخ ١١ مارس ٢٠١١م.
١٢٣- الشروق الجديدة. العدد ٨٢٩ بتاريخ ١٠/ ٥/ ٢٠١١م.
١٢٤- مايو. بتاريخ ١٨/١٠/ ١٩٨١.
١٢٥- المصرى اليوم. العدد ٢٤٢٢ بتاريخ ٣٠/ ١/ ٢٠١١م.
١٢٦- المصرى اليوم. العدد ٢٤٣٦ بتاريخ الأحد ١٣/ ٢/ ٢٠١١م.
١٢٧- المصرى اليوم. العدد ٢٤٦١ بتاريخ ١٠/ ٣/ ٢٠١١م.
١٢٨- المصرى اليوم. الخميس ٢٤/ ١١/ ٢٠٠٥م.
١٢٩- المصرى اليوم. العدد ٢٥٠٦ بتاريخ ٢٤/ ابريل /٢٠٠١م.
١٣٠- المصرى اليوم. العدد ٢٥٨٠ في ٧/ يوليو/ ٢٠٠١م.
١٣١- اليوم السابع، السبت ١٢ فبراير ٢٠١١م .
١٣٢- اليوم السابع، السبت ٢٦ فبراير ٢٠١١م .
١٣٣- اليوم السابع، الأثنين ٧ مارس ٢٠١١م ؛
١٣٤- واشنطن بوست في ١٧/٢/٢٠١١م .

ثامنا : المراجع الأجنبية

135- Abdalla, Ahmed, The student movement and National Politics in Egypt, London Alzaki Book, 1985.
136- Bennett, John W. Tumin Melvin M. Social life structure and function to general sociology, Ivy- Alfred A. Knoff, 1949 .

137- Burke, E., Reflections on the Revolution in France Penguin Book 1969.
138- Gamble, Andrew, An Introduction to socia and Political thought, London. Macmillan Press, 1981.
139- Johnson. Chalmers. Revolutionary change, Boston, Little 'Brown and comprons. 1960.
140- Kaufmann, Daniel, The world wide, Governance Indication Mehtoddogy and Analytica Issues, word bank policy Research working paper, No, 5430, 2010
141- Lindemschmidt, James from virtual common to virtual , enclsures, Revolution and counter revolution in Information Age , 2004.
142- Mondialisation Securites. Edition Anep. Alger, 2003.
143- Rubin, Barrs, Islamic foundationatism in Egyptian Politics st. Martin Press, New york, 1990.
144- World, Bank. Report 2006 Eauqlity and Development washington . P .C. Oxford unit 70. press 2005.

ثورات الربيع العربى مقارنة بالثورات العالمية

رقم الإيداع	: ٢٠١٣/١٦١١٢
الترقيم الدولي	I.S.B.N :
	978-977-90-230-1

ثورات
الربيع العربى
مقارنة بالثورات العالمية

ثورات الربيع العربى

دكتور
حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دكتوراه فى علم الإجتماع
دكتوراه علم الإجتماع بدرجة مدير عام
كبير مدرسى علم الإجتماع بدرجة مدير عام
أستاذ بجامعة الإسكندرية (سابقا)

د/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان

مؤسسة شباب الجامعة



مؤسسة شباب الجامعة
40 ش د / مصطفى مشرفة
تليفاكس :4839496 الإسكندرية
Email:shabab_elgamaa2@yahoo.com

